Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دراسات في جغرافية الإنسان

الاتجاهات البرائية

دكتور
بشرى الجوهري
نائب رئيس جامعة المنيا "سابقاً"
رئيس قسم الجغرافيا - كلية الآداب
جامعة المنيا

Bibliotheca Alexandrina
0146996

الناشر
الإشعاع
Alesha'a
ت ٥٢٧٥٢٩١
دار الطباعة المحمدية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

دراسات في
جغرافية الإنسان
الجماعات البدائية

يسري الجوهري
نائب رئيس جامعة المنيا "السابق"
رئيس قسم الجغرافيا - كلية الآداب
جامعة المنيا

١٩٩٧

الناشر
مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة والتوزيع: المنشأة - أبراج مصر للتعمير رقم ١ ☎ ٥١٧٥٤٩١
المطابع: المعمورة البلد - بحري - شارع ٣٦٨ ☎ ٥٦٠٠١٢٦ إسكندرية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

رقم الايداع
بدار الكتب

الترقيم الدولى

حقوق التأليف
محفوظة للمؤلف

حقوق الطبع
والنشر والتوزيع
محفوظة للناشر

الناشر
مكتبة الإشعاع للطباعة والنشر والتوزيع

الإدارة والتوزيع: المنتزة - أبراج مصر للتعمير رقم ١٤ ☎ ٥٤٧٥٤٩١
المطابع: المعمورة البلد - بحري - شارع ٢٦٨ ☎ ٥٦٠٠٤٧٩ إسكندرية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

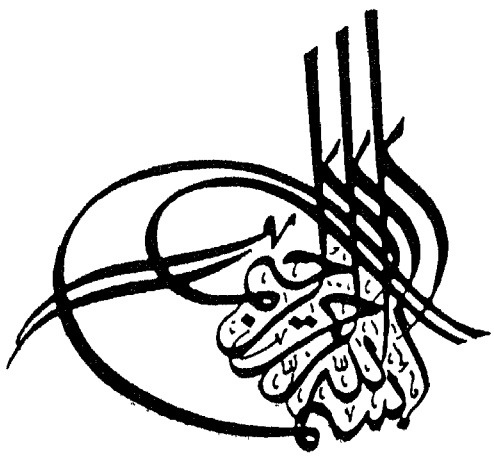

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

إهـــــداء

إلى

من كـان وراء هـذا العمل

اعـزازاً وتقـديراً

إلى

رفيقـة حيـاتي

السيدة سعدية سليمان

يسرى الجوهري

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

مقـدمـــــة

يرجع اهتمامى بدراسة الانسان إلى فترة تزيد على عشرين عاماً حينما كنت أشغل وظيفة محاضر للجغرافيا التاريخية بجامعة الاسكندرية وألفت فى عام ١٩٦٥ كتاباً تحت عنوان « السلالات البشرية » حاولت فيه مخلصاً أن اسير على درب استاذى الدكتور محمد السيد غلاب وأكمل فيه ما قدمه فى تطور الجنس البشرى و « البيئة والمجتمع » . ومنذ ذلك الوقت انكببت للتعرف على جوانب الانسانية فى الانسان بالبحث عن أصوله وتتبع أماكن تواجده وانتشاره واختلاطه وأيضاً بالتعرف على معالم بيئته الإنسانية .

وفى جميع الأحوال كان رائدى الحرص على ادراك مدى التفاعل القائم بين الانسان وإنسانية من ناحية والوسط الجغرافى الذى يعيش فيه من ناحية أخرى الأمر الذى دفعنى إلى أن أصدر سلسلة من الكتب تعالج جوانب عديدة من جغرافية الإنسان ذلك إلى جانب بعض المقالات التى تناولت درس ظاهرة حضارية بعينها فى بيئة محدودة كأحياء الصفيح فى مدينة بيروت التى ظهرت فى عام ١٩٧١ .

وفى عام ١٩٧٨ قدمت للقراء ما اسميته « بالجغرافيا الاجتماعية » أوضحت فيه علاقة البيئة الاجتماعية فى تفاعل الانسان مع بيئته الجغرافية وركزت فيه على اتصالَ العلوم الإنسانية بعضها بالبعض الآخر . وقد كان هذا العمل الأخير دافعاً قادنى إلى أن اتعرض لدراسة الجماعات البدائية فى بيئتها الجغرافية ولاصورها تحت عنوان « دراسات فى جغرافية الإنسان » لتشمل تحليلاً دقيقاً لاسلوب حياة انماط من الجماعات والقبائل والممالك والمجتمعات البدائية التى ينتمون إليها ، وهى بذلك دراسة تجنح نحو التحليل الانثروبولوجى لعديد من الجمعات التى تتناثر فى مناطق ركنية فى العالم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وينقسم الكتاب إلى أربعة أبواب تناول الأول منها دراسة الجماعات البدائية حيث ضرب المثل فى هذا الصدد بجماعات الاندمان والياغان والاسكيمو بينما اختص الباب الثانى بتحليل انثروبولوجى للتانجوس بسيبريا وقبائل الشين التى تنتمى إلى هنود أمريكا الشمالية وقبائل الجيفارو فى حوض الامزون بأمريكا الجنوبية والتاهيتيون فى جزر بوليتزيا وقبائل النوير الإفريقية .

أما الباب الثالث فحتوى على دراسة الكالينجا . حيث ما زالت هذه الجماعات تمارس حياتها فى بيئتها الطبيعية .

أما الباب الرابع فمجال تجواله مجتمعين قرويين أحدهما فى شبة القارة الهندية والأخر فى أحدى قرى المغرب العربى وقد كان اختيار هذين المجتمعين هادفاً إذ روعى فى احدهما أن يكون على تخوم الحضارة العربية والأوربية والثانى فى قلب حضارة الشرق الأقصى .

وقد زود الكتاب بعدد من الصور التوضيحية التى تساعد على فهم بعض ما ورد ما بين السطور بالاضافة إلى خريطة وزع عليها أماكن توطن الجماعات التى ذكرت فى سياق الدرس والتحليل .

وإذ اقدم هذا العمل أرجو أن يكون لبنه فى التعرف على السمات الحضارية للإنسان كل إنسان وأى انسان .

والله ولى التوفيـــق ،،،

د. يسرى الجوهرى

السـيوف ١٩٧٩

يسعدنى أن أقدم طبعة جديدة من دراسات فى جغرافية الإنسان التى يدور محورها عن الحديث على مجتمعات بشرية يمكن أن يطلق عليها مجتمعات تذكارية فى اطار العالم المعاصر الذى يتجه نحو الحضارة العالمية الواحدة والتحضر .

والله ولى التوفيـــق ،،،

د. يسرى الجوهرى

السـيوف ١٩٩٦

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الأول

الجماعات البدائيه

- جماعات الياغان فى أمريكا الجنوبية
- الاندامـــان
- الاسكيمو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جماعات الياغان
فى امريكا الجنوبية

The Yahgan of South America

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جماعات الياغان فى أمريكا الجنوبية

جماعات الياغان جماعات منقرضة ومن ثم فيتركز الحديث عنها والدراسة وذلك قبل أن ينفرط عقدها وتندثر .

تعتبر جماعات الياغان من أكثر الجماعات البدائية الموجودة فى العالم تعاسة ، حيث كانت تقطن فيما مضى الساحل الجنوبى لجزيرة تيبرا دلفويجو وبعض الجزر الصغيرة الممتدة جنوبا حتى رأس هورن فى أقصى جنوب أمريكا الجنوبية .

ومنطقة الياغان منطقة متطرفة من الأرض نوجد حيث تنتهى السلسلة الساحلية من جبال الأنديز وتتعمق جنوبا فى المحيط ، وتتكون هذه المنطقة من مجموعة من الجزر والقنوات والفيوردات والرؤوس الصخرية الضاربة فى البحر ومن ثم فهى منطقة تبعث على اليأس والاحباط البشرى .

فمن ناحية المناخ نجد أن الرياح الشديدة والصقيع يصحبان السحب القاتمة والضباب الكثيف باستمرار ، كما أن المنطقة تتعرض لاعتى العواصف المحيطية فى العالم ونادراً ما تنخفض درجة الحرارة إلى ما دون الصفر المئوى غير أن المنطقة رطبة على مدار العام الأمر الذى يدعو إلى التأمل فى كيفية حياة الإنسان فوق هذا الجزء من اليابس .

وعلى الرغم من أن منطقة الياغان تختلف كثيراً من ناحية المناخ عن غيرها من المناطق المجاورة ، فقد دهش الأوربيون من مدى صلابة وقوة تحمل الياغان للمناخ السائد فى منطقتهم ، فهم عراه دائماً وبلا مأوى تقريباً ، اللهم الا تلك الأكواخ المصنوعة من الحشائش . كما أن المرأة الياغانية تسبح وتغطس فى هذا المناخ من أجل صيد الأسماك القشرية التى تعتبر الغذاء الرئيسى للياغان ، وللمقارنة

فقد تجمد بحاران كانا مرافقا للكابتن كوك أثناء رحلته فى يناير عام ١٧٦٩ عندما كان فصل الصيف الجنوبى يسود تلك البقاع . ويقدر عدد الياغان بحوالى ٣٠٠٠ نسمة وذلك قبل أن تقضى عليهم الأمراض التى جلبها الأوربيون معهم عندما وطئت اقدامهم للقارة خلال الربع الأخـــير من القرن التاسع عشر ، فى ذلك الوقت كان اليـاغان يتجولون فى جماعات صغيرة تنتشر فوق نطاق واسع يبلغ عرضه عدة أميال من الساحل ، وهذه الجماعات كانت تتكون أساساً من أسرتين أو ثلاث وان كانت فى أغلب الأحيان تتألف من أسرة واحدة .

وقد كان الياغان يطلقون على أنهم اسم « يامـــانا Yamana » التى تعنى رجل أو بنى آدم غير ان اصطلاح ياغان قد اشتق أساساً من اسم مكان يقع داخل حدودهم ثم التصق بهم وأصبح من الصعب تغييره .

وجماعات الياغان ليست جماعات قبلية منظمة ، كما أن تميزهم عن غيرهم من الجيران يعتمد أساساً على اللغة بالإضافة إلى بعض الجوانب الحضارية البسيطة فلغة الياغان لغة منعزلة لم تتسرب إلى أى مكان آخر ، وتعتبر جماعات الأونا Ona . أقرب الجماعات إلى اليـاغان وهى جماعات تعتمد أساساً على الصيد البرى وتقطن الأجزاء الداخلية من تيرا دلفويجو . أما أكبر جـــزر الارخبيل فهى جزيرة الكالوف إلى الشمال الغـــربى وتسكنها جماعات الالكالوف Alakluf ، وهى جماعات تشبه الياغان إلى حد كبير فيما عدا اللغة .

ولا توجد بين الياغان أيضاً رابطة تجمعهم سوى أنهم يشكلون مجموعة مميزة عن جيرانها ويحتلون حدوداً واضحة تتطلب دائما الاستعداد للدفاع عنها وعن أى ياغانى يتعرض للخطر .

ولا يوجد تنظيم اجتماعى من أى نوع بين الياغان وان كانوا ينقسمون

ككل إلى خمس جماعات فرعية أساسها إختلاف لهجة كل منها كما لا يوجد نظام إجتماعى سوى الشعور العام بالقرابة بين الافراد .

وتعتمد وسائل الانتقال لدى الياغان على البحر اذ يستخدمون قارب الكانو Canoe الذى أصبح سائداً لديهم لدرجة أنه يطلق عليهم هنود قارب تييراد لفويجو وذلك على النقيض من الآونا الذين يطلق عليهم الهنود المشاه The foot indians .

أما عن الصفات الجنسية للياغان فهى تختلف تماماً عنها لدى الآونا الذين يشبهون جماعات الصائدين الذين جابوا معظم مناطق الارجنتين واشتهروا بصفة عامة بالقامة الطويلة وصلابة العود .

ويشبه الياغان جماعات الشونو Chono التى تعيش فى أرخبيل شيلى إلى الشمال من منطقه الياغان والذين يمتازون بالقامة القصيرة ، واستناداً إلى وصف من زار هذه المنطقة فى وقت وجود الياغان وملاحظات الاوربيين عنهم فإن الياغان يبتعدون كلية عن الوسامة فوجوههم عرضه جداً وكبيرة بالنسبة لاجسامهم إذ يتميزون بالجذع العريض والارجل والاذرع القصيرة الرفيعة الامر الذى يضفى عليهم مظهراً قزمياً .

وتغطى المناطق الساحلية التى يعيش الياغان فوقها غابات كثيفة صعبة الاختراق لهذا يقضى الياغان معظم وقتهم فوق سطح البحر . ويعتبر كلب البحر أهم حيوان الصيد لديهم اذ يعتبر المصدر الرئيسى للحم كما يستخدم جلده فى صنع الخيام وبعض القلنسوات أما الحوت فيعتبر هدية ثمينة يجتمع حولها أفراد الجماعة ، ونظراً لضخامته فانه يكفيهم مدة طويلة كمصدر للحم ولامداد عدد كبير من الجماعة بالطعام ، وقد اعتادوا الا يصطادوه فى عرض المحيط لكنهم

يراقبوه حتى يجنح فى المياه الضحلة أو ينتظروا حتى تجود عليهم مياه المحيط بإحدى الحيتان الميتة .

وهناك أنواعاً عديدة من الاسماك التى تعيش فى المياه المحيطة بمنطقة الياغان غير انهم لم يتوصلوا لمعرفة لفصائل البسيطة لهذه الاسماك أو إستخدام وسائل الصيد المتبعة لدى غيرهم من الصائدين فالرمح هو السلاح الوحيد المستخدم وفى أغلب الاحيان يستخدون الطعم لجذب الاسماك ثم الامساك بها بالايدى المجردة ومن ثم فقد ينصرم اليوم دون صيد يذكر لذا كانت الحياة مستحيلة دون الاعتماد على بعض الاسماك الصدفية التى قد يكون البحث عنها هو العامل الهام وراء تنقل المجموعات الأسرية أما النباتات التى تشكل جزءا من غذاء الياغان فهى نباتات طحلبيه أساساً بالإضافه إلى بعض النباتات المتسلقه .

وتكثر الطيور فى منطقه الياغان وهى طيور كبيرة كالأوز البرى والبط البرى غير أن الياغان يفتقرون إلى طريقه الصيد المثلى كالشباك فهم يستخدمون الرمح والقوس والسهم فى صيد هذه الطيور .

كما يتبعون طريقه فريدة فى صيدها وفى القاء الاحجار عليها لقتلها أو يتسلل الصياد للامساك بها ليلا .

وبيئه الياغان على الرغم من صعوبه الحياة فيها الا أنها بيئه ذات وفرة بيولوجيه ، أما إنخفاض مستوى معيشه الياغان فيرجع فى المقام الاول إلى إنخفاض مستواهم الفنى (التكنولوجى) وحضارة الياغان من أكثر الحضارات البدائيه المعروفه بساطه فهم لا يعرفون الزراعه ولا استئناس الحيوان اللهم الا الكلب ومن المعروف ان هذه المعرفه ترتبط بالحياة المستقرة وتستخدم النساء العصي المعقوفه فى جمع سرطان البحر وبعض الاصداف أما أوانى

التخزين فلا تعدو أن تكون أنواعا بسيطة من السلال .

ويعيش الياغان بصورة دائمة فى قواربهم — الكانو — لدرجة انهم أنشأوا قوارب ذات مواقد تحتفظ بالنار مشتعلة بصورة دائمة ومع ذلك فان البحر لم يزل مها كالكانو وان كان عاصفا فى نفس الوقت ، ولم يقم الياغان بصنع القوارب التى يمكنها الابحار فى مواجهة العواصف العاتية فقواربهم عبارة عن « قشرة من لحاء شجرة الزان » وهى أكثر ضعفا من القوارب المصنوعة من لحاء شجرة البتولا فى أمريكا الشمالية ، ويتألف قارب الياغان من عدة دعامات أو فروع شجيرات وهو على شكل هلال يصل طوله إلى حوالى خمسة عشر قدما ويمكن للمياه التسرب اليه بسهولة ولاتوجد به عوامل مساعدة على الابحار اللهم الا شراع بدائى من جلد عجل البحر ، وفى عام ١٨٨٠ صنع الياغان أول قارب محفور من جذع شجرة باستخدام أدوات من الصلب وقد انتقلت صناعته بالمحاكاة على طول المنطقة المحيطة بهم .

وعند إستخدام الكانو تقوم المرأة بالتجديف أما الرجل فيجلس على مقدمة الكانو ليتمكن من طعن الأسماك برمحه حيث يمكن رؤيتها بسهولة من هذا المكان، وتشكل عملية ارساء القارب مشكلة بالنسبة للياغان بسبب تلك الكميات الهائلة من الحصى والحصباء التى تنتشر فوق الشواطىء والتى ينتج عن الاحتكاك بها تدمير قاع الكانو الهش إذا اقترب منها بشدة ، ومن ثم يجر الكانو برفق نحو الشاطىء ثم يقوم الرجل الواقف فوق مقدمته بمساعدة بعض المارة بسحب الكانو إلى الشاطىء برفق فيشبه إصطدامه بالقاع ثم تقوم المرأة بدفع القارب إلى حافة تملؤها أعشاب البحر الكثيفة فى جزء عميق المياه حيث تقوم بارسائه ثم تعود سابحه إلى الشاطىء وعند العودة للابحار تقوم الزوجة أيضا باحضار القارب ، والنساء أقوى على السباحة من الرجال .

ودائما ما يتجول الياغان رجالا ونساءاً وأطفالا وهم عراه تماما أما الغطاء الوحيد المستخدم لستر الجسم فهو قطعة من جلد القندس (كلب الماء) وهو من القصر بحيث لا يلتف حول الجسم لفة كاملة فهو يستر العورة الأمامية فقط وهو مربوط إلى الصدر، ولا يعرف الياغان دباغة الجلود ومن ثم الجلود الناعمة اللينة وعلى هذا الأساس فان ملابسهم الجلدية خشنة الملمس باردة لدرجة أنهم يفضلون عدم ارتدائها عند الانهماك فى عمل يتطلب حركات سريعة نشطة.

وعند السير فوق اليابس يرتدى الياغان أحذية مصنوعة من جلد عجل البحر وهى أحذية بلا كعوب محشوة بالحشائش وعموما فهى ليست أحذية مريحة أو متينة.

ويطلى الرجل أو المرأة جسمها بالزيت أو الشحم للحصول على نوع من الوقاية والحماية من الرياح القارسة والأثر الكاوى الذى تسببه مياه البحر المالحة.

ويستخدم الياغان وسائل بسيطة لتزيين الوجه والجسم وهى الوسائل السائدة لدى غيرهم من أصحاب الحضارات الهامشية، فالمرأة دائماً ما ترتدى غطاء مثلث الشكل مصنوع من الفراء أو من جلد بعض الطيور وذلك لتغطية عورتها أما تغطية الرأس فلا يعيرها الرجل أو المرأة أى إهتمام فلا توجد قبعات أو ما يشبهها بل يطلق شعر الرأس على شكل عقد باستثناء ما فوق الجبهة وينزع شعر الجسم باستخدام صدف نوع من المحار حيث تستخدما كملقط أو مكشط، ولا يخدش الياغان أجسامهم من أجل الزينة كما لا يقومون بأحدث شقوق بها، اذ لايخدش الجسم الا من أجل اظهار الحزن فى وقت الحداد، أما الوشم فما هو الا ركن بسيط من أركان الطقوس التى تقام عند بداية سن البلوغ ومن ثم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا تنتشر بينهم طريقة تشويه الجسم المعقدة التى يعرفها الهنـــود الأمريكيون الآخرون مثل تشويه الرأس والأذن والشفاه أو خرق الأنف غير أنهم يعبرون بالرسوم الملونة عن أحاسيسهم برسمها على أجسامهم فالصور المرسومة باللون الأحمر (التى تصنع مادته من الرمال المحترقة) يدل على السلام أما الصور التى ترسم باللون الأبيض (من الصلصال) فتعنى الحرب ، ويخصص اللون الأسود (مصنوع من الفحم النباتى) لرسم الصور المعبرة عن الحزن أو الحداد .

وتصنع الخلاخيل أو الأساور من جلود الحيوانات أو من أوتار عضلاتها وترتديها النساء كحلية أما العقود فتصنع من الأصداف الصغيرة وبعض أجزاء من عظام أرجل الحيوانات حيث يلحمونها فى أوتار عضلات هـذه الحيوانات ، ولما كان إستقرار الياغان فوق اليابس إستقراراً بسيطاً مؤقتاً فان كوخهم يتسم بنفس الدرجة من البساطة وهو على غطين .

الأول : على شكل خلية نحل بسيطة ويقام بإنشاء شبكة من الأغصان ذات شكل قبابى ثم يغطى بالحشائش والسرخس واللحاء والجلود .

والثانى : ذو شكل بيضاوى ، اذ ترفع الجذوع والفروع على شكل مخروط يغطى بنفس الطريقة المتبعة فى النوع الأول .

ولأحكام صنع الأعشاب والجـــلود فان سقف الكوخ لا يسمح بتسرب الدخان الناتج عن النار المشتعلة باستمرار داخل الكوخ ومن ثم يتميز الياغان بعيونهم الدائمة والإلتهاب والإحمرار بسبب الدخان خاصة فى فصل الشتاء عندما يحكم صنع الكوخ ،

والتخصص فى العمل بين الياغان يعتمد على مدى قوة تحمل كل من الجنسين فالرجال يقومون بعملية الصيد والقنص وعمل الاسلحة والقوارب أو القيام

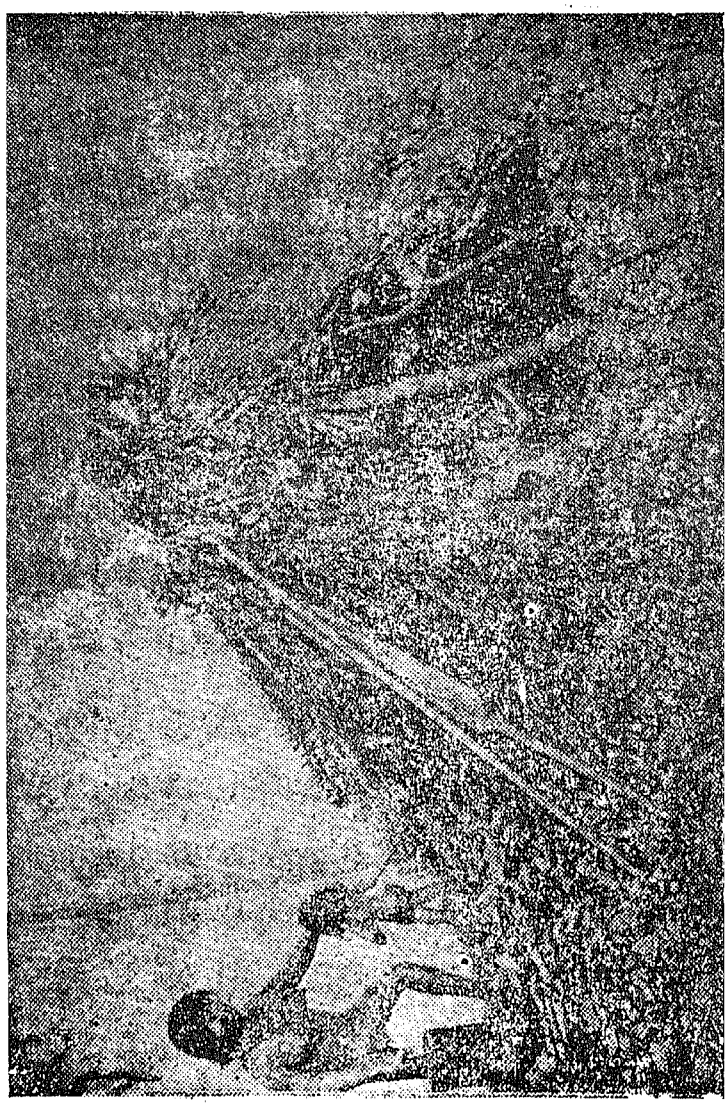

شكل (١) نموذج لكوخ الباغان الخروطى

بالأعمال الصعبة عموماً كبناء الأكواخ شكل (١) أما المرأة فهي مسئولة أساساً عن تربية الصغار وكافة النشاط المنزلي كالطهي والحياكة وعمل الحقائب والسلال، وبقدر ما يعتبر الكانو مسكناً للياغان وذلك لأنهم يقضون معظم وقتهم فيه بقدر ما تقوم المرأة بمعظم عمليات التجديف وإدارة دفة الكانو وإرسائه وإعداده للإبحار مرة أخرى .

وكما في مجتمعات الصيد والجمع الأخرى فان المرأة هي التي تقوم بعملية الجمع لأن هذا العمل يمكن القيام به بالقرب من الكوخ كما أنه لا يتطلب مشقة كبيرة وتعتبر عملية جمع الأصداف البحرية أهم عمل تقوم به المرأة .

وتتمتع المرأة الياغانية بمنزله خاصة ربما بسبب دورها الهام في الامـــداد بالطعام والكساء أو ربما بسبب مشاركتها للرجل في كافة نشاطاته .

فعندما يقبض الرجل أثر حيوان بحري من أجل اصطياده تقوم زوجته بعملية توجيه الكانو ، وعند بناء الكوخ تساعد المرأة زوجها في إتمام عملية البناء بحيث يصبح العمل مشتركاً بينهما ، ونظرياً فإن الرجل هو الذي يسيطر على الأسرة وتكون له الكلمة الأخيرة في شئونها بالإضافة إلى مركز القيادة غير أن الملاحظات قد أثبتت العديد من الحالات التي يكون الزوج فيها خاضعاً لزوجته .

وهناك دليل آخـــر على أهمية المرأة وهو نظرة المجتمع إلى ظاهرة الزنا إذ يبدو أن هذه الظاهرة غير مستحبة من قبل الزوج والزوجة كما أن الغيرة ظاهرة عامة بينهم .

والبغاء (اعارة الزوج لزوجته لرجل آخر أو العكس) أو المتاجرة بشرف الزوجة أمر مرفوض وهذا دليل على أهمية المرأة في مجتمع الياغان ، ويحدث

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الطلاق أحياناً لكنه غير ملاحظ بصورة عامة ومن أهم أسباب الانفصال بين الزوجين قسوة الرجل وشراسته أو إصابة المرأة بالبرود والجنس .

وتعدد الزوجات ليست ظاهرة عامة ، كذلك توجد بينهم عادة تزويج المرأة التى يحـــدث زوجها إلى أخو الزوج المتوفى Levirate فعندما تصير المرأة بلا زوج يجب أن يتزوجها أخو زوجها الذى توفى وهذا الموقف فى نظر الياغان هو الاختبار الرئيسى لهذا الأخ ، وإذا تزوجت المرأة برجل آخر يكون لأخو زوجها المتوفى الحق فى أولادها منه . ومحاباة الزوج لا تنعكس فى ما سبق فقط لكن تعكسها ظاهرة الإقامة بعد الزواج فاذا تزوج الرجل فانه يصحب زوجته معه للاقامة فى المنطقة التى تعيش بهـا أسرته مما يؤدى إلى إرتباط الزوجة بأسرة زوجها تدريجياً أكثر من إرتباط الزوج بأسرة زوجته وهناك دليل آخر وهو أن عضوية الرجل أو إشتراكه فى المنطقة التى تعيش بها أسرته تورث حتى بعد وفاته كما يحدث فى معظم مجتمعات الجمع والقنص الأخرى

وعندما يصبح أطفال الرجـل الذكور رجالا لا يمكنهم الانتقال من المنطقة التى تعيش بها الأسرة أما الأناث فقط فهن الاتى يستطعن مغادرة المنطقـــة (إلى منطقة أسرة الأم) .

والإتجاه نحو مجموعة محلية من الأسر المتقاربة هو الا يعاز الوحيـد بتنظيم أكبر من الأسرة لكن هـذا النظام غير رسمى كلية فالإرتباط بين الأسر التى تؤلفه نادر الحـدوث ولكنها مترامية فوق اقليم واسع وتلتقى فى فترات غير منتظمـــة .

وليس هناك رئيس أو أية سلطة أخرى تسود فوق الجماعة فما يجمعهم أساساً هو الشعور بالاتصال الذى يتضمن إفتراض أن الافـراد يستطيعون طلب

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المساعدة من بعضهم فى حالة الهراك مع الغير أو إنتهاك الغير لحرمتهم أو الإنتقام من مجموعة أخرى .

والوظيفة الوحيدة لهذه المجموعة المحلية هى عقد الشعائر البدائية التى تتألف منها الإحتفالات التى نادرا ما يقومون بها .

ولا توجد حرب منظمة من أى نوع ، فالشجار بين الافراد والجماعات الصغيرة تنتج عنه أضرار بسيطة نسبياً أما جرائم القتل فتتطلب الاخذ بالثأر والإنتقام من قبل أسرة القتيل .

ويبدو أن ظاهرة القتل كانت تسود بينهم فى الماضى ، غير أن تقديم الإنسان كقربان غير معروف كذلك الإنتحار .

وقد كان يظن أن الياغان من آكلى لحوم البشر حتى أخذ الاميرال فيتزورى أربعة من الياغان إلى إنجلترا عام ١٨٢٩ حيث تأكد بصورة حتمية أنهم ليسوا من آكلى لحوم البشر .

وقد أنكرت أسرة بريدج التى عاشت بين الياغان لسنوات عديدة صفة أكل لحوم البشر عن الياغان وقد ثبت بعد ذلك أن الياغان لم يعرفوا هذه العادة مطلقاً .

وقبل تبادل البضائع تتم عملية تبادل الهدايا ويجب أن يستجيب متلق الهدية برد هدية مساوية أو أعلى فى قيمتها من الهدية التى تلقاها ويعتبر رفض الهدية إساءة إجتماعيه ربما تدل على بخل رافض الهدية .

وتمتد عادة الكرم إلى كل من يحيط بالفرد من قومه ويعتبر هذا شيئاً طبيعياً فالقاعدة هى أن يمد كل إنسان يده للآخر كما فى معظم المجتمعات

البدائية فالجود بين الاصدقاء والاقارب ضرورى كما هو متوقع ، وليس من التصرف السليم أن يعبر المرء عن شكره لما يتلقاه من هدايا تعبيرا شفهيا ربما بسبب انه إذا فعل ذلك فانه قد يشير إلى عدم قبوله للهدية أو انه لن يردها وتعتبر السرقه من الامور التى تستوجب أكبر قدر من التوبيخ وإذا سرق أحد الغرباء شيئاً لا يوبخه الياغان على إعتبار أنه ذو درجه أقل من درجتهم كبشر .

وقد وافق الياغان على وجود عائلة بريدج بينهم بعد أن كابدت سلسلة من المتاعب .

والمعلومات عن آداب المعاشرة والإتيكيت المتبع نحو فئات خاصة من الاقارب معلومات ناقصة ومع ذلك فان رقاب النسب بين أفراد العشيرة القاب ثنائية أو مردوجة وهى تعتمد على مدى القرابة الاب أو الام فالخالات والاعمام يمنحون القابا خاصة مميزة عن تلك التى تمنح الابن أو الابنة وكل بنات العم أو أبنائه يخاطبون بأخى أو أختى ، اما الفاظ مناداة العم أو الخالة فيرفق معها لفظ أب أو أم ، والزواج ممنوع بين هؤلاء الافراد .

وبسبب حياه الياغان فى أسر صغيرة متباعدة فان المميزات التى تفصل بين الوالد من ناحية وبين الاعمام والخالات من ناحية أخرى متوقعة وسائده .

والمساواة بين ابناء العم والأخوة فى الرضاعة بصرف النظر عن المكان الذين يعيشون فيه انما ترجع إلى سيطرة قاعدة امتناع الزواج بينهم ، فابناء العم يتساوون مع الأخوة فى الرضاعة من حيث السلوك الاجتماعى .

والرجل ملزم بمسئولية محددة تجاه صهره وأم زوجته إذ يساعدهما وقت الحاجة ويعاملهما باحترام وكما فى المجتمعات البدائية الأخرى فان هـــذه الصلة

النسبية تعتبر هامة جدا أن لم تكن حساسة إذ يجب ان يراعى زوج الابنة عددا من التحفظات الاجتماعية فمثلا لابد أن يستمر احترام والد الزوجة خلال حياته بأكملها كما يجب أن يكون اتصالا غير مباشر وعادة ما يكون عن طريق الزوجة ويدرك الياغان بوضوح الفرق بين العملية الجنسية وانجاب الاطفال فالزوجات لا يحاولن عادة تحديد النسل لأنهم يحبون الاطفال ويرغبون فيهما أما بالنسبة للفتيات غير المتزوجات اللاتى يصبحن حوامل فانهن يمارسن الإجهاض ويقتلن اطفالهن بعد ولادتهم .

واستقبال الوليد يتم بمساعدة عدد من الإناث اقرباء الام بينما يبقى الزوج خارج الكوخ وتحرق مشيمة الوليد ويجفف حبله السرى ويحفظ من أجل استخدامه فى أغراض السحر . وبعد الوضع مباشرة تنهض المرأة ومعها وليدها لتأخذ حماما فى البحر البارد وهذا مايجب ان يدهش الاطباء المحدثين لأنها لم يكن لها أدنى تأثير لا على الأم أو على وليدها .

ولبعض الوقت يتناول كل من الاب والا طعاما طوطميا قبل الوضع وبعده خاصة إذا كان المولود ذو أولا طفل إذا يمتنع الاب عن أى عمل لأيام عديدة كما لو أنه كان يعانى من آلام الوضع وعادة ما يسمى الطفل باسم المكان الذى ولد فيه ولا تشحب عملية اعطاءه الاسم أية طقوس أو شعائر لكن الاسم يجب أن يصبغ بصبغة سحرية ، وتعتبر عملية مناداة أى شخص باسمه الخاص أمرا سيئاً وحتى الاسماء الشخصية للافراد الحاضرين لا تستخدم فى المخاطبة .

ومصطلحات القرابة عند المخاطبة وجها لوجه لا تستخدم مباشرة لكن بصورة غير مباشرة وعن طريق غير ملتو ونستخدم عبارات وصفية للاشارة إلى الشخص الغائب .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

واثناء الطفولة فان كلا من الاطفال الذكور والإناث يمارسو الالعاب معا لكن ليست لهذه الالعاب صفة جماعية لأنه نادرا ما يتواجد عـــدد كبير من الاطفال فى مكان واحد .

وبعد ان يصل الاطفال إلى سن السابعة أونحو ذلك لا يسمح للاناث باللعب مع الذكور ولعقاب البدنى نادر الحدوث لكن كبار السن يقضون وقتا كبيرا فى تربية الاطفال وارشادهم إلى أفضل طرق السلوك .

ويقيم العديد من الصيادين وجامعى القوت احتفالاتهم الدينية الهامة فى الوقت الذى يبلغ فيه مجموعة من اطفالهم سن الحلم .

وتعتبر هذه المناسبة فرصة كبيرة للقيام بالطقوس والشعائر وينظر اليه كنوع من حفلات التخرج من نظام تعليمى غير رسمى .

ويمـــكن توقيت بداية سن المراهقة لدى الفتيات مع حدوث أول طمث عندئذ تصوم الفتاة ثلاثة أيام بعد ان تطلى خديها باللون الاحمر .

ولمدة أيام عديدة تتلقى الفتاه نصائح أخلاقيه من النساء الأكبر سنا ويميز انتهاء فترة الصوم والاحتفال الاستحمام الشعائرى فى البحر وبعده يعتبر اليوم عيدا لكل الموجودين .

ولا تتميز فترة بلوغ الذكور من المراهقه باية شعائر من هذا النوع لكن المتبع ان يتجمع جميع البالغين حديثا من المجموعه المحليه معا فى حفل كبير ، وهـــذا التجمع لا يحدث فى فترات محدده سلفا فتوافر الطعام وعدد الشباب الموجود هى العوامل التى تحتم اقامه هذه المناسبه .

ويبنى الياغان كوخا كبيرا ذو حجم ضخم للاحتفال بهذه المناسبه ، ويخصص

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لكل شاب من البالغين كفيلا أو معلما ليزوده بالعديد من اساليب الحياة العمليه والاخلاقيه خلال أيام فترة الاحتفال (التى تمتد لعدة شهور) .

ويتعرض الشباب البالغ لعديد من وسائل الحرمان والتعذيب الجسدى إذ يسمح لهم بالحد الأدنى من النوم والطعام ويجب أن يجلسوا فقط وهم متقاطعى الأرجل أو ما يشبه القرفصاء كما يحتم عليهم الاستحمام فى البحر كل ليلة ولا يشربون الماء إلا عن طريق عظمه أحد الطيور التى تستخدم كانبوب الإمتصاص.

وفى أول الإحتفال يرسم على صدور الشباب نوع من الوشم البدائى .

وابرز مراحل الاحتفال هى المجموعه التى ترقص وتغنى عادة فى آخر الليل وهذا بالطبع ربما يكون فاصلا ترفيهيا لكنه يخفى وراءه أمرا خطيرا فالاغانى ما هى الا وسيله اتصال بالارواح الشريره وارواح الشياطين مثل روح يتايتا Yətaita التى يجب ابعادها بمثل هذه الاهازيج لتظل بمنأى عن أكواخ لياغان.

وفى الاحتفال السابق يتم تقديم الشباب إلى المجتمع عندما يستقبلهم المشرف على الاحتفال (وهو ليس رئيس الاحتفال لكنه يشبه نظيره لدى الارونتا فهو سيد الاحتفال) الذى من خلال مجموعه من الشعائر يجعلهم أعضاء كاملين فى المجتمع وبعد ذلك يقوم كل كفيل أو معلم بتقديم من تتلمذ على يديه من الشباب ومعه سله مزينه خصيصا لهذه المناسبه وعظمه للشرب وعصا مزركشه .

وهناك احتفال أخر يطلق عليه اسم كينا Kina وهو أحيانا ما يتلو الاحتفالات السابقة ويبدو أنه صوره ركيكة من احتفال الآونا المشهور بالكلوكيتين Klodeten الذى هو أساسا صياغة دراميه مسرحيه لاسطوره تعيد من جديد تاريخ الآونا الماضى التى كانت السياده فيه للمراه ، حيث تمت للمراه

السيطره على الرجال عن طريق ارتدائهن اقنعه جعلتهن يتقمصن أرواحا شريره مما أدى إلى خوف الرجال وانزوائهم إلى مكانه أقل من مكانه المرأة ثم اكتشف الرجل خدعه المرأه وعادت له السيطره عليها .

ويجب على الرجال لذين يقومون باحياء احتفال الكينا أن يكونوا على اطلاع كامل بكافة تقاليد الياغان فهم يعتزلون سرا فى كوخ الاحتفال ثم يلونون اجسامهم ويرتدون الاقنعه التى تمثل الأرواح ثم يقلدون الأرواح فيظهرون فجأه أمام النساء والأطفال ويغنون ويرقصون مهددين المرأه التى لاتطيع أوامرهم باشد أنواع العقاب .

والشعائر الاكثر أهميه والتى تلى احتفالات بدايه سن المراهقه فى أهميتها هى الاحتفالات الجنائزيه (احتفالات الدفن) والصوره العامة التى تعامل بها جثه المتوفى هى احراقها واحراق كافة ممتلكاته الشخصية ، ويعبر اقرباؤه عن حدادهم بصبغ اجسادهم باللون الأسود ثم يصومون بعد ذلك ، ويقوم أقرب اقربائه بشق صدورهم للدلاله على حزنهم العميق .

ويعتقد الياغان فى مجموعه من الإلهه والارواح ، كما يخافون على وجه الخصوص من أرواح الموتى الجدد ومن ثم فانهم يهجرون المنطقة التى يموت فيها انسان منهم ولاتسود بينهم عباده الاسلاف المـــوتى أو الصلاة لهم بل انهم لاينطقون اسم الشخص المتوفى مطلقا ، ولكل انسان روح صديقه تحرسه وهى التى يمكن استدعاؤها لمساعدته إذا احتاج ذلك ، ويبدو أن هناك اعتقاد فى روح سامية يطلق عليها باسم « أبى » لكن لأنه لايوجد نفوذ تبشيرى بين الياغان فانه لم يستدل على حقيقة هذا الإعتقاد .

ولايوجد بين الياغان رجال دين « قساوسة » أو عقيـــده أو أى شكل من

أشكال الدين وأقرب الأشكال إلى رجل الدين هو « الشامان » وهو رجل طب من ذلك النمط الذى يسود بين الهنود الإمريكيين ، ويمكن لأى رجل أن يصبح شامانا إذا رأى فى نومه أنه يدعى لهذه المهنه عن طريق روح صديقه تلقنه أغنيه الشامان ثم يذهب إلى أكبر شامان على اعتبار أنه صبى تحت التدريب ومن ثم يعرضه الشامان الكبير لسلسله من الاختبارات الجسدية والآلام المختلفه ثم يلقنه الشعائر السرية الخاصة بالمهنه .

ويعتقد الياغان أن باستطاعة الشامان التحكم فى مظاهر الطقس والتكهن بما سوف يحدث فى المستقبل من أحداث ، غير أن الوظيفه الأساسية له هى معالجة الناس من أمراضهم فاذا اشتكى انسان ما من الم يتم تدليك المنطقـــة المصابه ودهانها بالمراهم لاستخلاص الأشياء الغريبه (الإلم) منها ويعزى هذا الإلم بل وحتى الموت ـ إلى مكائد شامان عدو أو شيطان ومن ثم فانه على الشامان المعالج أن يقوم بتطبيق سحر مضاد .

والمفهوم العام لدى الياغان عن الموت هو نفسه الذى يسود بين كافة الهنود الإمريكيون فهم يعتقدون أن الموت يرجع إلى وجود شامان شيطان يسرق الروح من الشخص فيسبب له المرض والسام ومن ثم الموت إذا لم تسترد الروح بواسطة شامان آخر .

واعتقاد الياغان فى نشأة الكون والإساطير التى تسود بينهم تشبه ما هـو موجود لدى غيرهم من الشعوب البدائية وأن كان ينقصه العمق والتعقد .

وتسود بينهم بعض الإساطير المفسره لكيفية وجود بقـع فوق سطح القمر وكيفية شروق الشمس كما توجد اساطير على شكل مواعظ دينيه ومحاضرات اخلاقيه يعاقب فيها الذكر ويوصم بالخزى والعار وبعض الاساطير عباره عن

تمجيد (لبطل شعبى) وتحكى احـــدى الإساطير أن وضع القواعد الإخلاقية لمجتمـع الياغان قد تم على يد أخوين قاما أيضا بوضع اسمـاء الاشياء وقواعد الفنون والحرف .

أما اسطوره ديباكل Depacle فتحوى عديدا من الرويات الخاصة بطوفان عظيم نتج عن سقوط الشمس (أو القمر) فى مياه المحيط ، وعـــدد آخر من الإساطير يختص بنشاط الارواح المرعبه آكلة لحوم البشر وبجنس العمالة الخبثاء.

ولا يشكل استخدام المخدرات جزءا من اعتقاد الياغان الدينى أو من عقيدة البعث لديهم كما لا يوجد أى شكل من أشكال المشروبات الروحيه أو حتى الدخان .

أما الموضوعات الجماليه كالموسيقى والرقص فهى أقل اتقانا ، فلا توجد لديهم أدوات موسيقيه تقريبا فيما عدا طبول الإيقـاع وحتى الطبله والناى البدائيين لا يسود استخدامها .

أما الإلعاب فهى غايه فى البساطه وأكثرها شيوعا هى ما يشبه المصارعه أما وسيلة التسليه الشائعه فما هى الإنوع بسيطة من السامره وحتى الفنون اللفظيه فانها لم تلق حظها من النطور فلا توجـد لديهم أقوال مأثوره (امثال شعبيه) ولا شعر وحتى الكلمات التى تعـــد لتغنى فما هى الإ إعادات أحادية النغمه أو نغمة واحده مكرره .

ويجد الياغان وقتا طويلا للتحدث فيما بينهم ، وقد قـــدر توماس بريدج Thomas Bridges وهو أحـــد الباحثين الذى قام بدراسة هذا المجتمع انهم يعملون فعلا ٤ الوقت الذى يخصصه الرجل المستحضر للعمل ، وقد ذكر أكثر من ملاحظ أن الياغان لم يعطـــوا أنفسهم أية فرصه للتفكير فى مستقبلهم أو حياتهم المقبله فهم يأكلون ما هو موجود بين ايديهم وإذا لم يجدوا طعاما فانهم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لا يتبرمون ، غير أن أهم ظاهره استرعت اهتمام الباحثين أن الياغان ينقصهم الميل إلى الإختراع أو الأستنباط .

وكل ملامح حضاره الياغان ملامح بسيطه ، لكن السؤال المحيرهو أنه على الرغم من قسوة البيئة الا أن الياغان لم يصنعوا لانفسهم ملابس أفضل أومساكن أكثر متانه مما أدى إلى اعتقاد الإركيولوجى صمويل روب بوجود نقص حبوى فى قدرتهم الذهنيه وعـــلى الرغم من ذلك فان من يعرفون الياغان كأفراد لم يلاحظوا عليهم مظاهر الغباء والدليل على ذلك أن صغار الياغان الذين رحلوا إلى انجلترا مع الإدميرال فيتزورى عام ١٨٢٩ قد تأقلموا بسرعة مع الحضـــاره الانجليزيه وبنفس السرعة عادوا إلى حياتهم القديمة بعد عودتهم إلى بيئتهم الأصليه مما أدى إلى خيبة أمل الرجل الإنجليزى الذى كان يأمل فى نقل الحضاره الإنجليزيه إلى تيراد لفويجو عن طريق هـــذه البراعم الصغيره ومن الصعب تفسير كون الياغان راضين عن انفسهم فى نفس الوقت الذى هم فيه غير قادرين على الاختراع لكن الإنثروبولوجيون قد عرفوا أن هذا أمرا طبيعيا فهذه المقدره غير متوقعه فى العالم البدائى خاصة مع وجود التحدى الكبير الذى تفرضه البيئة القاسيه والذى ينتج عنه ذلك الاستلام الكبير من قبل الرجل البدائى مما لا ينتج عنه وجود أية طاقة خلاصة .

وقد حاول الرجل المتحضر التفكير فيما سوف يفعله إذا واجهته ضرورة الحياة فى اقليم الياغان لكن الناس الذين ينتمون إلى الحضاره لغربية يفكرون بعقلية مختلفة عنهم بمعنى أن أراؤهم تشكلها حضاره مختلفة تماما ومسئوليتهم نحو هذا النوع من المسائل مسئولية انسانية أساسا .

وهناك بعض الظواهر التى يستطيع الإنثروبولوجيون ملاحظتها للوصول إلى تفسير للحقائق السالفة منها .

أولا : أن الحضاره القديمة البدائية التى تميل دوما إلى البساطه تتجه إلى مرحلة ثابته من القصور الذاتى التى يسببها شده اندماج مكوناتها والتأقلم مع بيئتها التى لايمكن تغيره بدون ضغط خارجى ملحوظ والأفراد فى هـــذه الحضاره لا يستطيعون التخلص منها بسهولة غالبا فاليا غانى الذى عاد من انجلترا لم تتوافر لديه فرصة اختيار حقيقية لكنه عاد إلى حضارته الوطنية ، ولا توجد هناك قضية سوى أن الا من الإجتماعى والإستقرار الروحى الذى يتضمن التأقلم الكلى للفرد مع حضارته الوطنية وهو أكثر ضرورة من راحته الجسمانية عندما يجد الإنسان نفسه مرتديا ملابس أكثر دفئا .

ثانيا : أن معظم الحضارات البدائية توجد فى المناطق الأكثر هامشيةوعزله والبعيدةعن أى احتكاك بالمراكز الحضارية المنطـــوره بسبب المسافة الكبيره والمواقع الجغرافية.ومجتمع اليا غان ـ كغيره من المجتمعات البدائية الأخرى التى توجد فى المناطق الهامشية الأخرى لايعـــرف عديد من الأدوات التى يشيع استخدامها بين الهنود الإمريكين وذلك ببساطة بسبب انهم منعزلون جدا .

ثالثا : انهم كبقية العديد من الصيادين وجامعى القوت الأخرين ليست لديهم الأدوات الإنتاجية التى يستطيعون بها استغلال وقتهم فليس هناك أكثر من جمع الاسماك والقواقع التى يمكن اكلها وهم يأكلونها يوما بيـــوم اذ انهم لا يمتلكون أدوات لحفظها فاذا لم يكن السمك موجـود أمامهم فانهم لا يتجهون لصيده .

ووسائل التخزين كالتجفيف والتعبئة التى تسود بين هنود شمال غرب أمريكا الشمالية تجعل من الممكن استغلال الوقت للحصول على أكثر انتاج ممكن ، أما السكان المستقرين فلديهم حضاره مقعده على الرغم من ارتكازها على تكنولوجيا

الجمع والصيد فقط لكن هذه الأساليب لم تنتشر لتصل إلى جنوب امريكا الجنوبية

وقد كان لدى الياغان فرصة كبيرة لإكتساب الخبره التكنولوجية باحتكاكهم مع الحضاره الأوربية بعد وصولها اليهم ، غير أن الإمراض الإوربية (الحصبة) حمى التيفود (السعال الديكى (الجدرى) قد اهلكت الجزء الإعظم من الياغان بمجرد احتكاكهم بالإوربيين فقد تناقص عدد الياغان من حوالى ٣٠٠٠ نسمه عام ١٨٨١ ليصل عـــام ١٩٠١ إلى ١٣٠٠ نسمه فقط وفى عام ١٩٣٣ أصبح عددهم ٤٠ نسمه فقط ومنذ هذا التاريخ تناقص عددهم ثم انقرضوا نهائيا .

وقد مرما جلان ببعض الجزر الفويجية عندما اكتشف المضيق الذى يحمل اسمه الآن، ومعنى تيرا دلفويجو ارض النار وذلك لإن ملجلان قد لاحظ وميضاً دائما أثناء الليل ينبعث من معسكرات الياغان وغيرهم من قاطنى هذه المنطقة .

والإلتفاف بالسفن حول راس هورن عملية صعبه جدا أو خطيره فقد تحطم عدد من السفن بين هذه الجزر وقام الوطنيون بنهبها ، لكن السمعة السيئة التى طبعت الياغان فقد كانت نتيجة لجهـل الياغان وخوفهم من الإوربيين من ناحية وخوف الإوربيون منهم من ناحية أخرى ، ففى أيام الإبحار الإولى كان هناك خوف مبالغ فيه من هؤلاء البدائيين .

وقد بدات اتصالات مستمره بين الاوربيين والياغان فى اوائل القرن الماضى مع بدا الحملات الكشفية والبعثات المساحية التى جابت امريكا الجنوبية، واكثر الحملات شهره حملتا فتزورى Fitzory ما بين عامى ١٨٢٦، ١٨٣٢ التى أخذت معها عند عودتها أربعة من الياغان قضوا بانجلترا ثلاث سنوات وقد كان اصغر الاربعة الياغان فتاه سنها تسع سنوات أطلق الإنجليز عليها اسم السلة الفويجيه «Fuegia Basket» كذلك ولد يبلغ من العمر أربعة عشر عاما وقد كانا مثل تلميذين وديعين، وقد جذبت الفتاه

اهتمام ملك وملكة انجلترا عندما أخذا يستمعا اليها ، أما رحلة عوده الصغار إلى وطنهم فقد تمت فوق فوق ظهر السفينه بيجل مع سير شالز دارون وقد وصلت السفينة إلى تيبرا دلفويجو عام ١٨٣٢ وبقيت لعدة أسابيع جمع خلالها دارون ملاحظات هامة عن الياغان .

والحدث الذى كان مفتاح معرفتنا بالياغان هو وصول توماس بديدج وأسرته عام ١٨٧١ لانشاء محطة ارشاد فى يوشايا Ushuaia على قناه بيجل على الساحل الجنوبى لجزيرة تيراد لفويجو ، فقد انفق بروج معظم حياته للاعتناء بالياغان والكتابه عنهم وقاموسه عن اليامانا Yamana هو واحد من الدراسات الهامه التى اهتمت باللغات البدائية فمجهود هذا المبشر من المجهودات الكبيره على الرغم من عدم استطاعته الحيلوله دون اتصال الياغان بالعدد المتزايد من الأوربيين الذين تدفقوا على المنطقة ومن ثم لم يستطيعوا مقاومـــة الأمراض الأوربية التى أدت إلى انقراضهم نهائيا .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الاندامان الجزريون

The Andeman islanders

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

سكان جزر الأندامان

يقطن سكان جزر الاندامان بيئة مختلفة تماماً عن بيئة قاطنى الصحـــراء الاسترالية من ناحيـة وبيئة الياغان الساحلية من ناحية أخرى ، كما انهم ينتمون إلى مجموعة جنسية مختلفة الا وهى النجريتو أو الزنوج الأقزام .

وهم يمثلون بوضح بقايا سلالة قديمة كانت تقطن الغابات على مساحة أكـبر من المساحة التى يتشرون فوقها حالياً . وبصورة عامة فان لهم اتصالا ســـلاليا بنجريتو الأجزاء النائية من الفيلبين ، ونجريتو الأجزاء المرتفعة من نيوغينيا والمناطق الداخلية من شبه جزيرة الملايو واقليم الكونجو فى أفريقيا .

ومع ذلك فان أى اتصال تم بين الاندامان وبين هذه المجموعات انما تم فى الماضى البعيد جداً لأن كل هذه الجماعات حالياً بما فيها الاندامان جماعات منفصلة تماما ، وربما يعـــبر الاندامان عن الشكل الأفقى والأكثر أصـالة من حضارة نجريتو الغابات ، لأن جماعات النجريتو الأخرى فى المناطق التى ذكرت تعيش بصورة نموذجيـة فى نوع من الاتصال أو حتى التكامل الاقتصادى مع جـيران أكثر قوة وقد استعار معظم ملامح حضارية عديدة وصلت إلى حد إستخدام لغة هؤلاء الجـيران كلغة للتفاهم فيما بينهم .

أما الاندامان فهم على العكس من ذلك ، فإنهم منعزلين تمـاماً كما تشكل لغتهم فرعا لغويا منفصلا ليس له أى اتصال واضح مع من العـائلات اللغوية المعـــروفة .

وفى الحقيقة فان الاندامان وقت أن اكتشفهم الأوربيون لم يكن لديهم علم بوجود بشر غيرهم . كما اعتقدوا بأن الغرباء ذوى البشرة الفـاتحة اللون والشعر

الأشقر والقامة الطويلة ما هم الا أزواح .

وتقع جزر الانداما ن على طول الجـزء الشرقى من خليـج البنغـال مترامية على خط طول جزر نيكوبار ليشكلا معا إحدى ولايات الهند ، وتبلغ المساحـة الاجمالية لجزر الانداما ن حوالى ٢٥٠٠ ميـلا مربعا وتعتبر جزيرة الانداما ن الـكبرى أكبر جزر المجموعة إذ يبلغ طولها حوالى ١٦٠ ميلا أما عرضها فلا يتعدى ٢٠ ميلا فى أى مكان منها ، أما الجزيرة الكبيرة الوحيدة الأخـرى فهى جزيرة الانداما ن الصغرى التى يبلغ طولها حوالى ٢٦ ميلا وعرضها ١٦ ميلا ، أما بقية المجموعة فما هى الا جزيرات صغيرة متباعدة .

وقد كان عدد الانداما ن يقدر بنحو ٥٥٠٠ نسمة وذلك قبل أن يتناقص هذا العدد بسبب الأمراض التى جلبها الأوربيون معهم .

ويسود المناخ المدارى جزر الانداما ن ومن مميزاته انه مناخ دافىء رطب به إختلافات طفيفة فى درجة الحرارة والجزء الأعظم من التساقط السنوى (١٤٠ بوصة) يسقط خلال الفصل الموسمى من شهر مـــايو حتى منتصف نوفمبر أما بقية شهور السنة فهى جافة تماما أما المجارى المائية التى تنتشر فوق الجزر الـكبرى فهى مجار ضئيلة قصيرة تنصرف مياهها إلى مستنقعات داخلية كبيرة .

وكانت معرفتنا بالانداما ن أساسا نتيجة دراسة رجلين هما . همان E.H man الذى كان موظفا حكوميا بريطانيا فى هذه الجزر فيما بين ١٨٦٩ ، ١٨٨٠ وعـلى الرغم من أن مان لم يعد ليـكون أنثروبولجيا إلا أنه كان ملاحظا ماهرا وجامعا شديد التدقيق للمادة العلمية أما الرجل الثانى فهو البرفيسورا . دراد كليف براون A.R.Radcliffe-Brown الذى كان دارسا للأنثروبولوجيا فى جامعة كمبردج والذى تناول الانداما ن بالدراسة فيما بين عامى ١٩٠٦ ، ١٩٠٨ ويعتبر عمـل راد كليف متما ومكملا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

لمعل مان غير أنه توجد إختلافات طفيفة فى تفسيرهما لغالبية مظاهرة حضارة الاندامان ما عدا فيما يختص بصلة القرابة ونظام المصاهرة والمصطلحات الفنية وبحلول عام ١٩٠٦ كانت الأمراض الأوربية قد انتصت عدد الوطنيين إلى حوالى ٢٧ ٪ مما كانوا عليه فى الفترة التى كان مان موجودا بينهم فيها .

وقد أثر هذا التناقض بوضوح على التنظيم المحلى للقربة وعلى قاموس القرابة وقد سلم راد كليف براون بصعوبة تفسير هذه المظاهر ولهذا السبب فان الكتابة الحالية تستخدم المادة العلمية التى وضعها مان على الرغم من وجود إختلافات بسيطة بينها وبين المادة العلمية التى وضعها راد كليف براون ويجب أن يفهم أن المعلومات المذكورة تشير إلى حضارة الاندامان إبتداء من عام ١٩٠٨ وما قبلها .

ولا يمارس الاندامان الزراعة كما أنهم لا يمتلكون حيوانات مستأنسة فحتى الكلاب قد أحضرت إلى الجزر عام ١٨٥٨ وتوجد حيوانات الصيد والأسماك والنباتات بوفرة بالمقارنة بما هو موجود لدى قبائل الأرونتا الاسترالية ويعتبر الخنزير البرى من أكبر مصادر حيوانات الصيد من الغابة وهو أول هدف لمن يقوم بعملية الصيد على الرغم من صيدهم لكميات كبيرة من السحالى ذات الحجم الكبير بل والفئران والأفاعى إذا وجدوها مصادفة فى طريقهم .

وعلى الرغم من وجود أنواع عديدة من الطيور الا أن الصيادين لا يمتلكون شراكا ولا شباكا ونادراً ما يحاولون قذف الطيـــور بسهامهم وذلك بسبب كثافة الادغال .

ويعيش معظم الاندامان على الساحل أو بالقرب من المجارى المائية الصغيرة وتعتبر الاحياء البحرية الوفيرة مصدراً رئيسيا للطعام بالنسبة لهم ، ومن بين

الحيوانات البحرية التى يتخذونها طعاما الاطوم (حيوان بحرى ثدى) وأنواعاً عديدة من السلاحف والاسماك والسرطانات وجراد البحر والرخويات .

ويجب أن يأخذ الصيادون حذرهم أو أى عابر طريق من النحل البرى ومن النساء والاطفال الذين يجوبون المنطقة المحيطة بمعسكرهم لجمع بعض البذور والجذور الصالحة للأكل والفواكه أيضاً .

وتستخدم الشباك والرماح القصيرة أو الحراب فى صيد الاسماك ولم يعرف الشص (السنارة) إلا فى وقت قريب ، وكذلك تستخدم الانواس والسهام فى صيد الاسماك الكبيرة أما فى صيد الحيوانات البرية فيعتمد الاندامان كلية على القوس والسهم ، فلا تستخدم الشراك أو الرماح الطويلة ولا حتى بندقية النفخ كما أنهم لا يعرفون السهام المسمومة .

أما الوسيله الوحيد التى تستخدمها النسوه أثناء الجمع فهى العصا المعقوفة التى تستخدم فى اقتلاع الجذور والمادة الخام الاساسية فى صناعة كافة الادوات هى الخشب والصخور والاصداف لكن الاندامان قد اكتسبوا بسرعة فكرة صنع رؤوس السهام والسكاكين من الحديد الذى أصبح موجوداً لديهم بوفرة نتيجة عملية تحطم السفن على شواطئهم الوعرة ، غير انهم لم يتوصلوا إلى معرفة أن تسخين الحديد يجعله ليناً سهل التشكيل لذلك كان عليهم أن يطرقوه وفيما عدا هذا الإستخدام الحديث والمؤقت للحديد فان السكاكين والمخارز والمكاشط ورؤوس السهام تصنع كلها من الاصداف .

أما قواربهم فهى من النوع المحفور شكل (٢) الذى يتم صنعه بتفريغ جزع شجرة ويستخدمون قاربهم بمساعدة مسند خارجى عائم ليحفظ القارب من الانقلاب أثناء الابحار ومن ثم فليست هناك تسهيلات ميكانيكية تساعد فى عملية النقل والانتقال .

شكل (٢) مجموعة من الاندامان فى قاربهم المحفور

ومع ذلك فانه بسبب السخاء النسبى للبيئة فان الاندامان يحيون حياة أفضل بداوه من الاستراليين الأصليين ، فأكواخهم من نوع أكثر استقرارا كما انهم يمتلكون أنواع متعدده من الأوانى المنزلية فأوانى لطهى الطينيه التى أحيانا ما يثبتوها باطار مصنوع من الاملود ليسهل حملها تعتبر واحده من الأدوات الخاصة بالاندامان وهو الذى لانفعله أكثر المجتمعات التى تعيش على الجمع والقنص بسبب ثقل هذه الأوانى وقابليتها للكسر .

أما الدلاء الخشبية التى تستخدم فى تخزين المياه فتصنع من كتله خشبيه واحده محفوره جيدا كذلك تستخدم قطاعات من البامبو طولها حوالى ٤ أو ٥ اقدام لتخزين المياه أيضا ، ويستخدم الإندامان اصداف بعض الحيوانات البحرية كأكواب للشرب أما الأصداف العريضه فيستخدمونها كأطباق وتقوم النساء بصنع السلال من الروتان المنسوج لتستخدم فى حمل الطعام والادوات الخفيفه.

ويأتى الانداماان فى طليعة الجماعات البدائية من حيث الراحـــة أثناء النوم وذلك لأن لديهم حصر يستخدمونها للنوم وأحيانا يستخدمون وسائدخشبيه ومما يدعو إلى العجب أن الانداماان متأخرين فى ناحية هامه وهى انهم لايعرفون كيفية اشعال النار ولذلك فان عليهم أن يبذلوا جهدا كبيرا للابقاء على نيرانهم مشتعله ، وحتى الأساطير العديده التى تتناول أصل النار لاتضع وصفا معقـولا للطريقة التى اشعلت بها النار أول مره اذ يعزى ذلك إلى أن مخلوقات أسطورية اشعلت النار عن طريق النفخ فى جمرات متفحمه .

وقرية الانداماان عبـــاره عن حلقه دائرية من الا كواخ المنظمة مسقوفه بالحصير مفتوحه من الجوانب وفى وسط هذه الا كواخ توجد صالة للرقص وفى بعض الأحيان تتكون القرية من كوخ واحد كبير ذو شكل دائرى يبلغ قطره ستون قدما وتخصص فيه اماكن للنار من أجل طهى الطعام وحول حلقةالرقص فى منتصف هذا الكوخ توجد أماكن نوم الاسر المختلفة وفى جميع الأحوال تبنى الا كواخ المتينةالصنع من أجل الاستقرار الدائم.

ويستخدم موضع القرية باستمرار فى الشهور المطيره من العام أما خـلال الفصل الجاف فعاده ما يتحرك المجتمع مرات عديده نحو المناطق ذات الموقـع المثالى للصيد أو التى توجد بها نباتات لكن المجتمع سرعان ما يعود إلى المعسكر الأصلى الدائم .

وتتكون المعسكرات المؤقته من أكواخ فردية على شكل دائره غير أنهـا تبنى بلا أحكام أو اهتمام .

ويخصص كوخ لسكنى غير المتزوجين من الشباب حيث توجد إلى جواره

سلسله من المواقد على جانب أرض الرقص التى توجد فى مركز القرية وذلك ليستخدمها هؤلاء الشباب فى تحضير الطعام للقرية ككل .

وأحيانا ما تهاجر العشيره أوالمجموعة المحلية ـ بلغة الانثروبولوجين ـ سالكة طرقا تقليدية متخذه القرية الأصلية كنقطة مركزية دائمة، والأرض التى يتجول فوقها الاندامان تعتبر اقليما خاصا بهم ومن ثم فان ما بها من مصادر طبيعية يعتبر ملكا خاصا بالقرية عامة وبالمجموعة ككل ولكل عضو حق فيه ويجب عليهم الدفاع عنها ضد أى معتد غريب .

أما الاستثناء الوحيد الذى يسمح للفرد فيه بالملكية الخاصة فهو مطالبه الفرد بأن تكون له ملكيه أحدى الأشجار فقد يعد رجل ما شجره تصلح فى نظره لتحويلها إلى قارب أو تصلح ثمارها كطعام عندئذ فانها تعتبر ملكا خاصا به وهذا المفهوم عن الملكية الفردية الخاصة للأشجار يسود بصراعه فى العالم البدائى بنفس الدرجة التى يسود بها مفهوم حقوق المجتمع فى بقية الأرض .

كذلك يعتبر ما تجمعه المرأه من محاصيل ملكية فردية ، لكن حيوانات الصيد ذات الحجم الكبير أو المحاصيل الوفيره بدرجة غير عادية من الخضروات فلا بد أن يقتسمها المجتمع معها أما كافة الأدوات البسيطه كالقوارب والحلى فتعتبر ملكية خاصة بها .

وتسود بين الاندامان ـ مثل غيرهم من أصحاب الحضارات البدائية ـ عادات تدل على الكرم مثل المنح بسخاء والاعتراض المباح للمتلكات لدرجة سياده فكرة المساواه فيما يختص بالثروه ودائما ما يتبادل الاندامان هداياهم حتى فى ابسط المناسبات ويعتبر عدم اجابة من يطلب أي شيء انتهاكا صارخا للآداب

المعاشره ودائما ما يتوقع رد الهدية بهدية مساوية لها أو أكبر قيمة منها،وعادة ما تصاحب اللقاءات التى تتم بين أفراد القرى المختلفة تبادل نوعيات كبيرة من الهدايا وتتضمن فكرة المساواه فى القـــرية مفهوما اجتماعيا واقتصاديا فى نفس الوقت .

ويعامل الرجال بصوره مختلفة عن معاملة النساء كما أن الاكبر سنا هو الاكثر احتراما ولا توجد أسره تستأثر بوضع اقتصادى أو اجتماعى مميز عن غيرها من الأسر ويمكن القول بوضوح أن القرارات التى تتعلق بالمجتمع إنما هى من صنع المجتمع ككل .

ولما كان كبار السن لاينمتعون بنفوذ اكبر من نفوذ غيرهم فانه لايوجد بين الاندادان سلطه عليا أو رئيس ، فليس هنـاك دستور حقيق للقوانين أو للمعاقبة على الجرائم ، فالفعل الذى يأذى الفرد كالايذاء البدنى والسرقة والزنا (الذى يعتبر نوعا من السرقة) فينظر اليه كموضوع يتطلب توقيع الجزاء على من ارتكبه أما الأفعال التى تعتبر أفعالا غير اجتماعية كالكسل وعدم احترام الاكبر سنا أو النشاجر فلا تعتبر جرائم ، فالشخص الذى لايسلك سلوكا فاضلا يعانى من نقص نسبى فى التقدير . ولا توجد حكومة أو قانون ينظم العلاقات الخاصة بالمجموعة المحلية فيما بينها وبين غيرها من المجموعات المحلية الأخرى فكل جماعة تنظم شئونها الداخلية بصورة مستقلة وتتلخص علاقاتها فى الزيارات التى يقوم بها الافراد فى مناسبات واجتماعات عرضية من أجل الرقص أو تناول الطعام وربما تعتبر مجموعة محلية إذا ما تكونت من عدة مجموعات أصغر ،كما تعتبر وحده واحده بالمقارنة بغيرها ويكون السبب الاساسى فى ذلك هو ارتباطها فيما بينها بلهجة عامة أو اسم يحدد هويتها ولكن هذه الرابطة رابطة ضعيفه .

ولا تتعارض الجماعات فيما بينها من حيث تنظيم سلوكها الفردى كما أنه لا يوجد ما يمكن أن يطلق عليه حرية منظمة حقيقية بين الجماعات فاذا وقع ظلم أو اعتداء على أى انسان فلابد من أجراء مضاد يتخذ ضد المعتدى لكن لا ينتج عنه عداء أسرى وليس هناك دليل ولو بسيط على وجود عداء على مستوى القرية وأسس تنظيم العلاقة بين المجموعة المحلية هى القرابة والقرابة فقط وكما فى مجتمعات الصيد والجمع الاخرى يعتبر استخدام الاندامان لمجموعه كاملة من مصطلحات القرابة عند مخاطبة اقربائهم أمرا غير عادى فالاندامان يستخدمون الاسماء الشخصية على نطاق واسع على الرغم من اضافتهم القاب تدل على الاحترام .

وهذه الالقاب الخاصة بالاحترام لا تتضمن أية قرابه أوصله محدده بين الشخصين المتحدثين ويستخدم الصغار فى مخاطبة من هم أكبر منهم سنا الفاظا تتطابق تقريبا مع لفظى « سيد » و « سيدة » المستخدمة فى مجتمعاتنا وهاتان الكلمتان تعنيان أيضا « أب » و « أم » ولكن فى حالة الأب والأم السالفين فان اللفظين يشيران فقط إلى وضع إجتماعى عام وليس إلى أبوه أو أمومة حقيقية أما الذين تجمع رابطة الزواج فيما بينهم فيستخدمون لفظا يدل على قدر أكبر من الاحترام وهو مام Mam ويستخدم فى مخاطبة الأكبر سنا .

وهناك ظاهرة أكثر وضوحا بين الاندمان عن غيرهم من البدائيين وهى أن اصطلاحات القرابة التى نعتبرها دليلا على قرابة فعلية ماهى فى حقيقة إلا الفاظ تدل على احترام فقط وهى تشبه الفاظ القرابة إلى حد كبير وهكذا فان القاب الاحترام ترتكز على تشابه مع الاوضاع الإجتماعيه التى تسود بين الأسرة وهذه المصطلحات فى صورتها الأبسط تمتد لتشمل كل الاشخاص الذى يرتبط بهم المرء

سواء أكانوا أقربائه أم من غير أقربائه وهناك فروق طفيفة بين أطفال المعسكر على الرغم من أنهم يعاملون معاملة متساوية فليس من الضرورى أن تكون المرأة التى ترضع طفلا أو ترعاه أو حتى تدلله هى أمه الحقيقية ولكن باستطاعة أية أمراة فى القرية مداعبة ورعاية أى طفل فيها .

ولا يفطم الطفل حتى سن الثالثة أو الرابعة وإذا حدث الفطام يصبح الطفل ابنا للقرية ككل وخلال فترة الرضاعة يكون الطفل بين والديه أما بعد ذلك فكما يقول هرمان « من النادر وجود طفل فوق السادسة أو السابعة من عمره مقيما مع والديه الحقيقين ، وهذا يرجع إلى أنه يعتبر من مكملات الصداقة بين الأسر وعلاقاتها بالنسبة للرجل المتزوج أن يسأل ضيفه بعد قيامه بزيارته أن يأذن له باصطحاب أحد أطفاله ليتبناه الضيف وغالبا ما يستجاب لهذا الطلب ومن لحظة السماح يعتبر منزل الضيف هو منزل ابن صديقه أو ابنه ومن ناحية أخرى يقوم والد الطفل بتبنى أحد أطفال أسرة صديقه ومع ذلك فانهم لا يقومون بزيارات متصلة لأطفالهم الحقيقين ولكن بين الحين والآخر يطلبونه للبقاء لديهم لايام معدودة وللرجل مطلق الحرية فى تبنى أى عدد من الأطفال لكن يجب عليه معاملتهم بالحسنى كما لو كانوا ابنائه الحقيقين ومن ناحية أخرى عليهم أن يردوا له جميله بالطاعة والحب الذى يبدوه لابائهم الفعلين .

وأحيانا ما يطلب أحد أصدقاء الرجل الذى يتبنى أطفالا غير أبنائه أن يطلب منه تبنى نفس الطفل الذى يتبناه على اعتبار أنه والده — وعندئذ يستجيب الرجل لذلك دون الرجوع إلى أبويه الحقيقين والذين نادرا ما يعلمون بالتغير الذى حدث وعندئذ يقوم الأب المتبنى الأول بابلاغ الوالدين الحقيقين حتى يتمكنا من زيارة ابنائهم فى موقعهم الجديد .

وبعد سن البلوغ يترك الفتى كوخ والديه أو والديه بالتبنى ليبدأ حياته فى كوخ غير المتزوجين من الشباب حيث يبقى بينهم إلى أن يتزوج ولا يحدث ذلك بالنسبة للفتيات .

ويمكن رؤية الاطفال وقد تركوا معا (أحيانا مع غيرهم من أطفال قرى أخرى) ليلعبوا فى مجموعات ذات سن متقارب وعندما يكبر جيل الاطفال هذا ليصير آباءا أو أمهات يكون رفاقهم فى اللعب فى الصغر بمثابة أخوة وأخوات مما يقوى العلاقات الإجتماعية ويعكس نظام مصطلحات القرابة أو النسب هذا الوضع تماما كما يعكس نظام مصطلحات القرابة فى المجتمعات الاخرى وضعا مختلفا عن حالة الاندامان .

والاندامان على ادراك تام بالفروق الدقيقة بين درجات القرابة وبالفاظ المستخدمة عند المخاطبة وتعكس مصطلحاتهم سيولة نظامهم الإجتماعى المحلى .

ويميز أفراد الأسرة بين الأقارب التى ترتبط بهم بصلة النسب البعيد وبين من ترتبط بهم بصلة الزواج وعلى المرء أن يكون أكثر احتراما فى معاملته للذين ارتبط بهم بصلة الزواج من معاملته لأسرته كما أن علاقته بوالد زوجته وأمها يجب أن تكون علاقة بعيدة عن التعقيد فلا يخاطبها بنفس القاب الاحترام التى يخاطب بها من هم فى سنها بل يستخدم المصطلحات المستخدمة فى مخاطبة الجيل السابق لهم وكلما كان السن أكبر كلما كان الاحترام أكبر . وهكذا يعامل والد زوجته ووالدتها كما لو كان أكبر من سنها الحقيقى .

وعلاقة الاحترام هذه قد تكون غريبة فى مجتمعاتنا الحديثة غير أنها عادية تماما فى المجتمعات البدائية وتستخدم أساليب إتيكيت خاص فى معاملة أفراد معينين فليس من المفروض أن تكون لرجل متزوج علاقة مباشرة بزوجة رجل

يصغره سنا إذا كان لا بد من حدوث اتصال بينهما فلا بد أن يتم عن طريق شخص ثالث ، أما إذا لمسها فانه يعتبر قد انتهك آداب المعاشرة انتهاكا خطيرا .

ويفسر الاندامان ذلك بأن الرجال لديهم من الخجل والحياء ما لا يسمح لهم بفعل ذلك أما بالنسبة لزوجة من يكبره سنا فانه يكون مألوفاً لديها أن يعاملها كأخت له . وهناك إتيكيت خاص يسود بين الأسر الصغيرة (المكونة من زوج وزوجه فقط) فهما تتبادلان الهدايا ويسود الخجل علاقاتهما الأسرية .

ويسود العلاقة بين أى رجلين احترام متبادل فاذا أشتركا فى وليمة سلاحف أو تناول لحم الخنزير فانهما يتبادلان الهدايا من كافة الانواع كذلك تفعل الأسر المرتبطة بعلاقة مصاهرة

ومن الامور العادية فى المجتمعات البدائيه أن تكون المصاهرة الأسرية الناتجة عن الزواج ذات أهمية كبيرة وذلك لأن الزواج هو الوسيلة الرئيسية التى تنظم التعاون بين الاقارب ومع ذلك فان ظاهرة الزواج بين سكان جزر الاندامان - مثلها فى ذلك مثل الملامح الأخرى للنظام الإجتماعى تبدو وكأنها ظاهرة غير محددة .

فالزواج محرم بين الأقرباء المعاشرين لكن هذا المبدأ غير مطبق باحكام ومن الواضح أن الرجل لا يستطيع الزواج باخته أو أخته فى الرضاعة ولا بخالاته أو بنات أخيه أو بنات أخته أما الدليل على استطاعة الرجل الزواج ببنت عمه أو بنت خاله فغير واضح تماما ، ومع ذلك فانه من الافضل للرجل عدم الزواج بأى من أقربائه من الدرجة الاولى وإذا تبنى رجل ما طفلا كبير السن فانه يعتبر من أقربائه الحقيقين ومن ثم لا يمكن له الزواج من الأسرة التى تربى بين ابنائها

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

أما الطفل الذى يتبناه الرجل وهو فى سن صغير فيحق له عندما يكبر أن يتزوج أحدى بنات الأسر التى تربى فيها .

وأكبر نسبة من الزواج تتم بين أفراد من مجموعات محلية مختلفة إذ أن الاتجاه نحو الزواج من خارج المجموعة لكن هذا الاتجاه لا يشكل قاعدة عامة كما أن تطبيقها يتم بغير نظام بسبب تبنى أطفال القرى الأخرى .

ويكون الزواج مستقلا بمعنى أن الزوجين بعد اتمام الزواج يستقلا بأسرتها بعيدا عن أسرتيهما وعلى اعتبار أنه ارتباط ومصاهرة فان الرجال والنساء الاكبر سنا هم الذين يقومون بتنظيم عملية الزواج وبامكانهم أن يخطبوا لاطفالهم الصغار .

ومما يدل على اعتبار الاندامان عملية الزواج أكثر من ارتباط أسرى وأكثر من اتصال بين فردين هى الظاهرة التى يطلق عليها الانتروبولوجيون Liverate وهى تزويج الاخ المتوفى بالاخ الاصغر ومما يعتبر اتماما لهذه الظاهرة ممارسة الزواج باختين أو أكثر Sororate لأنه من المعهود ان يتزوج الارمل باصغر أخوات زوجته المتوفا وهذه العادة توفر أمانا إجتماعيا لكل من الأرمل والارملة كما تحافظ على شخصية وطبيعة المصاهرة والترابط بين كل اسرتين .

وكما هو الحال فى العديد من المجتمعات البدائية الأخرى فان الرجل يستطيع الزواج من فتاة أصغر منه سنا ومن ثم فكثيرا ما تبقى الزوجة على قيد الحياة فى حين يموت زوجها ومن ثم فان ظاهرة الـ Liverate أكثر وضوحا من ظاهرة الـ Sororate

والزواج بين الاندامان زواج أحادى بالتأكيد أى عدم تعدد الازواج أو الزوجات والزنا مرفوض من الرجل ومن المرأة وإذا حدث فانه يستوجب أشد

العقاب ولا يعتبر الزواج تاما وكاملا بانتهاء احتفالات العرس لكن الذى يتمم الزواج هو ولادة أول طفل على الرغم من ممارسة الفتيان والفتيات للعمليه الجنسية بحرية .

وقبل وضع أول مولود ولمدة شهر بعد ذلك يتبع كل من الزوج والزوجة نظاما غذائياً معيناً به كثير من المحرمات « التابو Tahoo » .

وقبل نزول الوليد من بطن أمه يمنح اسمه الذى سـوف يطلق عليه بعد نزوله ، وخلال مدة عدم تناول الأطعمة المحرمة يجب على الوالدين عدم مخاطبة بعضها باسم الوليد أو أن يقدم أى منهما الآخر إلى الاخرين باسم المولود .

ومثال ذلك أننا نسمى أحد الأطفال وهو فى بطن أمه « جون » ومنذ لحظة تسميته ولمدة بعض أسابيع بعد الولادة يخاطب والده بأبو جون ووالدته بأم جون .

ويكون المرء ماهراً مهارة سحرية إذا لم ينسى وينادى الأب أو الأم باسمه الحقيق أو اسمها الحقيق وإلا يخرج هذا الاسم من بين شفتيه وهذا الحرص إنما يرجع إلى خوفهم على الطفل وهذه الظاهرة التى تسمى Tekronomo تسود بين العديد من القبائل البدائية .

وعند الوضع تعتنى أكبر أم فى القرية بالأم التى فى حالة الوضع التى تجلس فى كوخها على سجادة من الأوراق حديثة القطف متكأة على كرسى خشبى ذو أكواع مثبتة تستند عليها ذراعيها وتقوم إحدى النساء المساعدة للمولدة بمساعدة الأم على الوضع بالضغط الشديد على الجزء العلوى من بطن الأم .

وبعد الولادة يقطع الحبل السرى ويحرق « الخلاص » فى الدغل القريب ثم

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يعطى الطفل بعد ذلك حماما عقب نزع ما عليه من شعر بإحدى الصدفات .

ويعتقد الاندامان أنه إذا مات طفل فى بداية حياته فإن الطفل الذى يليه سوف يكون تجسيداً له ومن ثم يعطى نفس الإسم وهذا الاعتقاد فى التناسخ يكون فقط فى حالة الأطفال الموتى كما يعتقد الاندامان أن أرواح الأطفال الذين لم يولدوا بعد تسكن إحدى الأشجار فإذا مات طفل قبل فصامه تعود روحه مرة أخرى إلى الشجرة التى أتت منها ومن ثم لا تقطع هذه الشجرة أو تمس بأذى .

والطفولة هى إحدى الحلقات الثلاث من عمر الإنسان . وهى تستمر حتى فترة المراهقة . أما المرحلة التالية فتمتد من فترة المراهقة حتى الزواج والمرحلة الثالثة منذ أن يتزوج الفتى حتى يموت .

وتتميز بدايات هذه المراحل الثلاث ـ كما هو الحال لدى العديد من القبائل البدائية الأخرى بعد احتفالات معقدة ، يطلق عليها الانثروبولوجيون احتفالات الحياة أو حقوق المرور وتقام هذه الاحتفالات وما يصاحبها من طقوس عند الميلاد . والبلوغ (ويطلق عليها احتفالات البداية) وكذلك عند الزواج والوفاة.

وخلال فترة الطفولة يعرض الطفل إلى عمليات تشريط الجلد التى تستخدم فيها قطعة صغيرة من الكوارتز لعمل الخزوز الصغيرة وتتم عملية التشريط على مراحل حتى يصل الطفل إلى سن المراهقة وعندئذ يكون جسمه كله قد تغطى بالشقوق ويعلل الاندامان هذه العملية بأنها تزيد الطفل قوة كما تكسبه مظهراً حسناً .

بالنسبة للفتيات فإن فترة الطفولة تنتهى مع حدوث أول حيض وعند ذلك تنعزل الفتاة وحدها فى كوخ لمدة ثلاثة أيام ولا تخرج منه مطلقاً إلا مرة واحدة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

كل صباح للاستحمام فى البحر أو النهر وعلى الفتاة ان تتزين بباقات من أوراق الشجر كما يجب عليها أن تجلس طاوية ذراعيها وساقيها موضعتان تحتها ، ولا يسمح لها بالكلام أو النوم خلال الأربعة والعشرين ساعة الأولى وربما لا يسمح لها بالاقتراب من الطعام أو لمسه بأصابعها خلال الايام الثلاثة بأكملها ولمدة شهر كامل بعد هذه الايام الثلاثة يجب على الفتاة أن تستحم يومياً عند الفجر كذلك يستبعد إسمها الذى كانت تنادى به خلال فترة طفولتها وبعد فترة العزلة هذه يطلق على الفتاة إسم الزهرة أو الشجرة التى تكون فى فصل تفتحها أو أزهارها ثم تحتفظ به حتى يتم زواجها .

وعند ما يتقرر أن أحد الفتية قد بلغ سن الرشد يقام حفل راقص يستمر طوال الليل على شرف هذا الحدث الذى بعده يكون هذا الفتى مستعداً لتشقيق ظهره تشريطاً يتمم عملية تشريط جسمه بأكمله ثم بعد ذلك بعدة أيام يتم تشقيق صدره ولا يستخدم إسم الفتى لمدة أسابيع عديدة ولكن بعد انتهاء عملية التشريط ينادى الفتى باسمه الحقيق وبعد الاحتفال بسن البلوغ يخضع الفتى إلى نظام غذائى يستمر لبعض الوقت وغالباً ما يستمر لمدة عام كامل وخلال هذا العام يسمح له بفترات قصيرة من الراحة على ألا يتناول خلالها أى نوع من أنواع الاطعمة المعينة وعند نهاية كل فترة امتناع عن طعام معين يشترك الشباب فى احتفال كبير . وأكثر هذه الاحتفالات تعقيداً هى تلك التى تحدث عقب مدة الامتناع عن أكل لحم السلاحف أو أكل لحم الخنزير .

وهذه الاحتفالات أكثر تعقيداً من تلك التى تقام للاحتفال بوصول أول حيض للفتاة لكنها ترتكز على مفاهيم متشابهة مثل قوة الاحتمال والمحرمات الموحدة وبعد الإنتهاء من احتفال أكل لحم السلاحف يمنح الفتى إسماً جديداً .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتتنوع الاحتفالات التى تقام بمناسبة الزواج ، ففى شمال جزر الاندامان حيث استق راد كليف براون معظم معلوماته يعقد الاحتفال فى مساء يختاره والد العريس وتجلس الفتاة على حصير يحيط بها قريباتها وصديقاتها فى نهاية إحدى حلقات الرقص التى تضيئها المشاعل أما العريس وأسرته فيجلسون مع أصدقائه عند الناحية المقابلة من حلقة الرقص ثم يقف رجل كبير تبدو عليه مظاهر الاحترام ليشرح للفتاة وهو بعيد عنها ما يجب أن تفعله حتى تصبح زوجة صالحة ثم يتجه نحو العريس موجهاً له حديثاً مشابهاً ثم يأخذه بيده ويذهب به نحو عروسه وهنا يبدأ الأصدقاء والأقارب والأقارب فى البكاء بصوت عال بينما يجلس العريس وعروسه وكأنهما غير مدركين لما يحدث حولهما إلى أن ينهض رجل آخر ـ غالباً ما يكون أقدم الرجال سناً ـ ثم يأخذ ذراعى العريس ويجعلهما يلتفان حول رقبة عروسه فيما يشبه المعانقة ثم يجعل العروس تفعل نفس الشىء وبعد ذلك يجعل العريس فى وضع جلوس على ركبتى عروسه على اعتقاد أن ذلك يجعل كل منهما يحب الآخر ، ويجلس الرجل على ساقى زوجته لعدة أسابيع وتتم عملية الجلوس بالتبادل وفى نهاية المدة يقوم أى صديقين أو قريبين ولو حتى من نفس الجنس بتنحيه كل من العريس والعروس عن بعضهما وذلك بالإنتحاب بشدة، ويبدو أن هذا العويل هو أفضل وسيلة للتعبير عن العاطفة إذ أنه يمكنهم استدرار دموعهم بسهولة وقد سال راد كليف براون بعض الوطنيين ذات مرة عن كيفية بكائهم بهذه السهولة وعرف الإجابة عند ما بكوا أمامه قبل أن ينتهى من القاء سؤاله .
(شكل ٣، ٤)

وبعد انتهاء احتفالات الزواج يقيم الاصدقاء حفلا راقصا شكل (٥) ثم يتسلل العروسان نحو كوخهما ومعهما هدايا الزواج ويتولى اصدقاؤهما تزويدهما بالطعام الوفير لعدة ايام متتالية ولا يخاطب احدهما الآخر باسمه الفعلى ولكن باستخدام

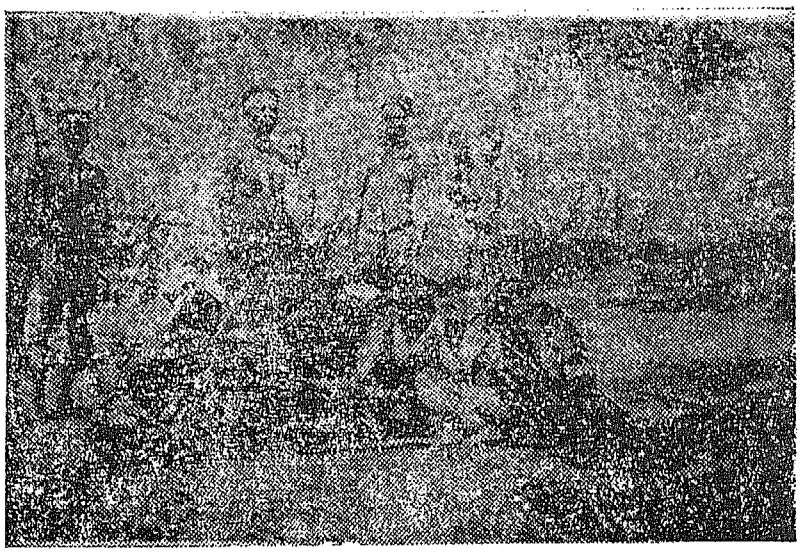

شكل (٣) الاحتفال بالزواج عند الاندامان

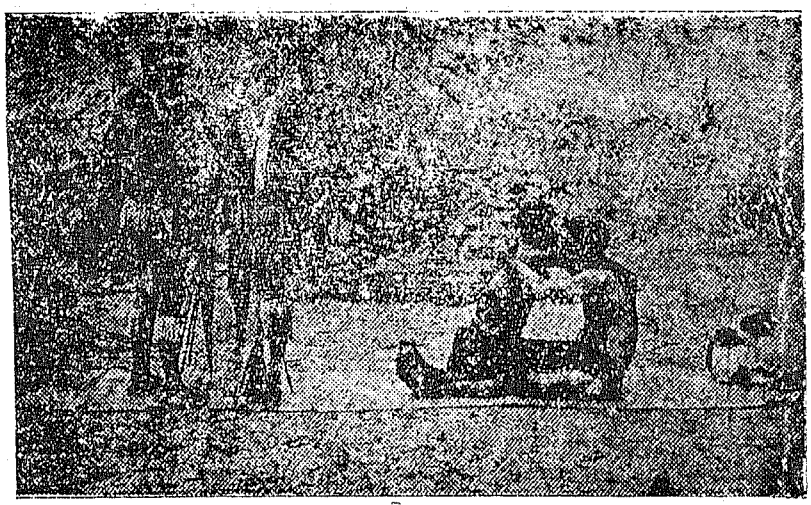

شكل (٤) سلوك اللقاء والمقابله لدى الاندامان

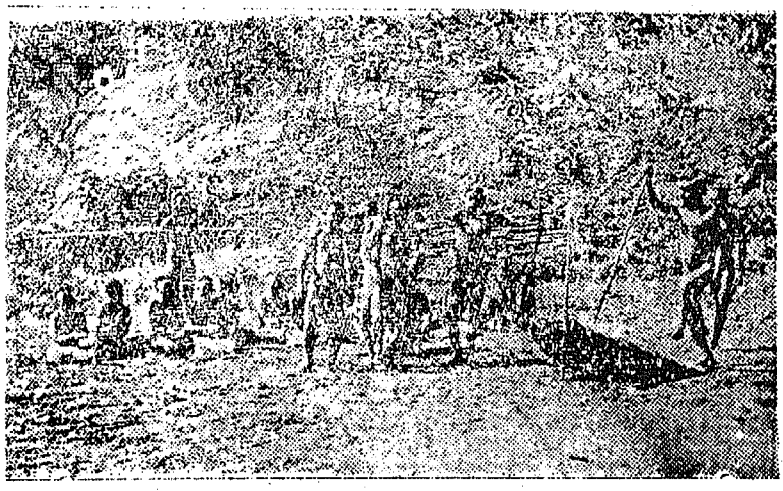

شكل (٥) الرقص لدى الاندامان

اسمه هو بطريق غير مباشر كان تقول الزوجه يازوج فلانه (تقصد نفسها) ويقول الزوج يازوجة فلان (ويقصد نفسه) وعندما يكون اول مولود على وشك المجيء يختار له اسم وينادى كل منهما الاخر باسم الطفل الاتى .

وتعد الاحفالات المصاحبه للوفاه وما يصاحبها من طقوس وعادات خاصه بالدفن من اطول الاحتفالات دواما واكثرها تعقيدا ، فبعد انتشار نبا الوفاه خلال القرية تأتى كل نسائها للجلوس حول جثه المتوفى وتظل النساء فى حالة بكاء وعويل حتى يصيبهن الانهيار ثم ينسحبن ليأتى الرجال الذين يبدأون فى البكاء فى حين يبدأ الشباب منهم فى دهن اجسادهم بطبقه من الصلصال كذلك تزين الجثه باربطه من الصلصال الابيض ، بينما اشرطه ذات لون احمر ثم يحلق شعر المتوفى وبعد ذلك تلف الجثه فى حصير وتربط جيدا باربطه من القفب وبعد ذلك يبدأ اقرباء الميت فى وداعه الاخير وذلك عن طريق نفخ زفيرهم فى وجه المتوفى ثم يقوم كل رجال القرية باصطحاب الجثه إلى البقعة التى ستحرق فيها وهى اما حفره عمقها ما بين ٣ ، ٤ اقدام او فوق منصه من الاشجار .

وتوجه رأس الميت نحو الشرق لتواجه الشمس ثم يقوم اقرباء المتوفى بوضع بعض الريش وأوراق شجره جوز الهند عند مدخل القريه ليعلم من يدخلها ان مدة الحداد لاتزال مستمره ثم يترك المعسكر مهجورا خلال هذه الفترة ، أما الأقارب المباشرين فيظلون فى حدادهم لعدة شهور واضعين عصابة من الصلصال فوق جباههم .

وفى هذه الفترة توجد محرمات عديدة يجب الإمتناع عنها فلا يوجد رقص أو تناول أطعمة محددة كما لا ينطق اسم المتوفى خلال فترة الحداد ولا حتى اسم اقرباؤه .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وبمرور الوقت تنقضى فترة الحداد ، ويتحلل لحم الجثة وينفصل عن العظام وعما يعتبر نهاية فترة الحداد ذهاب أقرباء الميت إلى الحضره أو المنصة التى أحرقت جثته فوقها وإحضار عظامه من فوقها ثم غسلها جيدا ثم يحملونها معهم إلى القرية حيث يبكون عليها هم ونساء القرية وعند هذه اللحظة تنتهى فترة الحداد تماما ويتحرر كل من قضى الحداد من الممنوعات التى كانت سائدة أثناءها فى حفل راقص يعقد فى المساء وفى هذا الحفل تتم إزالة الصلصال الأبيض من على جباههم ثم يزينون أنفسهم بالألوان الحمراء ويستمر الرقص طوال الليل كأى احتفال آخر .

وتحفظ عظام الميت لسنوات طويلة وتزين الجمجمه والفكين بنطاقات حمراء وبيضاء متصلة فيما يشبه العقد .

وفى هذه المناسبات الرسمية يجب على زوج أو أحد المنوفى المباشرين إرتداء هذه العظام بتعليقها حول رقابهم من الأمام أو من الخلف أما عظام الأطراف فعادة ما تحفظ فوق سطح الكوخ أما العظام الصغيرة فتنظم فى شريط يرتديه أقارب الميت من الإناث من أجل الوقاية من الأمراض .

ويبدو أنه يسود بين الاندامان مشاعر مختلفة اتجاه أرواح الموتى فأحيانا ما يكون هناك شعور بالحب والود نحو روح معينة وأحيانا ما يكون هذا الشعور هو الخوف أو الرعب كما أنه هناك أوقات تستدعى فيها الأرواح للمساعدة ، وأحيانا ما تكون هذه الأرواح ميالة لايذاء سكان القرية وتستمد هذه الأرواح إرادتها وقوتها على عمل الشر أو الخير من قوة رجل الطب الشامان .

والشامان هو النمط الوحيد من التخصص الدينى بين الاندامان وهو يتميز عن غيره من الرجال باستطاعته الاتصال بعالم الأرواح ومن ثم فهو ذو قوة غير طبيعية .

ويستطيع الرجل من الانداما ن أن يصير شامانا إذا مات ثم يعود مرة أخرى إلى الحياة محتفظاً بخصائص الروح التى كان يتقمصها تقمصا مؤقتاً .

وفى اعتقاد الاندامان أيضا أن الإنسان إذا سار وحيدا فى الادغال يكون معرضا لإنه تخطفه الأرواح فاذا أظهر شجـــاته أمامها تركته سالما وبذلك يصبح شامانا .

أما فى الحالة الثالثة التى يصبح فيها الرجل شامانا هى أن يكون وشيك المـوت ثم يفيق ، وعموما فان الأحلام لدى الاندامان ما هى إلا مجموعة من الخبرات والاتصالات الخاصة بالأرواح كما يسود بين معظم البدائيين .

ويرجع اعتقاد الاندامان بخطورة النوم وعدم أهميته إلى أنهم يحرمون النوم على أفـــراد المجتمع عند ما يمارسون احتفالات بدايات المراحـــل العمرية الثلاثة السابقة .

وترجع أهميه الشامان بين الاندامان إلى إعتقادهم فى مقدرته على إحداث الأمراض وأبعادها أو التسبب فى حدوث العواصف ومن ثم يصير هـو القادر على الشفاء من الأمراض والمتحكم فى مظاهر الطقس والمستطيع إحداث الأمراض والطقس العاصف أيضا لابعاد أعداء القرية وكما فى مفهوم العالم البدائى تكـون مقدره الشامان أما خيره أو شريره .

وفى اعتقاد الاندامان فان الأرواح تسكن فى الغابة أو البحر أو السماء وجميع الارواح هى أرواح موتى سابقين وبعضها أرواح أجداد أسطوريين كانوا أكثر شهرة وأقدم تاريخا من غيرهم ، وهـــذه الارواح الكبيرة كما يدعونها هى التى شكلتها أساطير وقصص الماضى القديم عندما خلقت مظاهر الطبيعة لأول مرة .

ويطلق على عديد من هذه الارواح أسماء طوطمية بمعنى أنها تحمل اسم نبات أو حيوان وفى حالات خاصة تكون هذه الارواح مسئولة عن خلق النبات والحيوان وأشهر أساطير الاندامان تتناول أصل مجتمع الاندامان لانهم لم يكن لديهم علم بوجود بشر غيرهم حتى وقت قريب ولا يوجد دين لدى الاندامان ولا آله معبود على الرغم من أن بعض الاساطير تؤكد وجود روح قديمة « بيليكو » أو « بولوجا » Biliko' · puluga يعتقد الاندامان أن لها أكبر قوه على الطقس عن غيرها من الارواح .

وكما يسود بين المجتمعات البدائية الاخرى فان مفهوم ما فوق الطبيعة يتخلل كافة النشاطات لدرجة أن يكون من الصعب التفرقة بين النشاط الدينى وغيره من الانشطة كالموسيقى أو الرقص أو حتى العب ، فالقصص التى تروى من أجل تسلية البحتة تكون فى نفس الوقت أساطير أرواح الاسلاف ، والمسرح الذى يرتبط بالغناء والرقص يمكن أن يتحول إلى وسيله ارتباط بين الافراد والقوى فوق الطبيعية .

وعموما فليس هناك دليل على أن نشاط معين هو نشاط دينى صرف .

وليس هناك أماكن خاصه للتعبد كالكنيسة مثلا ، كما لا يوجد رجال دين محددين كالقساوسة وحتى الشامان فان نشاطه يرتبط بالممارسة العملية وليس بالناحية العقائدية ، كما لا توجد لديهم أيام خاصة « كيوم الأحد مثلا » التى تميز الحياة الدينية عن الحياة الدنيوية .

والرقص هو الاسلوب السائد بين الاندامان للتسلية والاحتفال ، فالزواج يحتفل به باقامة الحفلات الراقصة ، حيث تكون فرصة يستطيع أى انسان أن يتمتع بها كما أن فترة الحداد على الميت يصاحبها حفل راقص يشارك فيه كل القائمين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

بالحداد ، وحتى فى الحالات التى يسود فيها قتال فيقام حفل راقص قبل القتال كما يستعمل أسلوب الرقص ليلا بدون أى سبب ما عدا من أجل التسلية والمرح ،

والرقص التى تمارسه أى قبيله من قباتل الاندامان هـــو نفسه تقريبا الذى يمارس فى كل مناسبة وغالبا ما يقام الرقص فى منطقة مفتوحة فى منتصف القرية تقريبا حيث يوجد قالب خشبي يشبه الدرع لاحـداث أصوات تشبه أصوات الطبله والرجل الذى يدق عليها بقدمه هو نفس الرجل الذى يقوم بالغناء . وحول هذا الرجل تجلس مجموعة من النساء فى صف واحد فيما يشبه الكورس وأرجلهن ممده أمامهن وفى غالبية حفـلات الرقص لاتشارك المـرأة فى الرقص باستثناء حفلات نهاية فترة الحداد . وتتألف الموسيقى من أغنية نثرية واحده يغنيها رجل هو فى نفس الوقت الذى يقرع لوحة الصوت ويغنى الكورس مـع الرجل أما صف النساء يساعده فيحدث ضربات ايقاع بالتصفيق باستخدام ضربات اليد على التجويف الذى تسببه أفخاذهن المطويه ويبدأ الراقصون فى الرقص مـع بداية غناء الكورس حيث يقفزون مع الايقاع على قدم واحده حتى ينهالهم التعب فيقفزون على الاخرى وليس هناك أية محـــاولة من قبل الراقصين لعمل تنظيم معين أثناء الرقص باستثناء توحيد خطواتهم ، وأغنيتهم.وطبله الصوت فقط هى وسيلة الموسيقى لدى الاندامان وغالبا ما يصاحبها الرقص وكلمات الاغنية ليست موضوعة مسبقا فكل مغنى عند غنائه يؤلف كلمات أغنيته وهناك اختلافات فى حدود ضيقة لان موسيقى الاندامان وأغنياتهم قديمة تقليدية مثل عاداتهم الاخرى ،

وينعكس ثبات حضارة الاندامان وقدمها فى فلسفتهم أو نظرتهم عن العالم فلا يبدون حب استطلاع أو حتى اهتمام بسيط بظواهر الطبيعة وما إلى ذلك

فمفهومهم عن مظاهر الطبيعة أو عن نظامهم الاجتماعى أنها قد انبعث ذات مره من أصل واحد كما أنها قد انتظمت فى مجموعة واحده تستمر فيها إلى الابد .

أما فكرة التغير فهى غائبة كلية ويرى الانداءان نفسه جزءا من عالم منظم لكنه عالم لاينظمه قانون السبب والنتيجة فقوانين الطبيعة تشبه القوانين الاخلاقية فبعض الأفعال « صواب » وبعضها الاخر « خطأ » والافعال الخاطئة يتسبب عنها أذى أما الافعال الصحيحة فتنتج عنها أعمال ناجحة أو على الاقل غير مؤذيه .

والصواب أو الخطأ يعنيان الافعال التى تنتظم أولا تنتظم مع الطبيعة ومن هذا المنظور يرى الانداءان القواعد الاجتماعية وأساليب المعاشرة وظاهرات الطبيعة أيضا فالعاده الاجتماعية والقانون الطبيعى متشابهان تماما غير أنه من الصعب على الانداءان ايجاد وسائل ذهنية لعمل التعديلات التى خلقها التغير العظيم الذى سببه الرجل المعاصر وتكنولوجيته الحديثة .

ولقد سمع ماركوبولو عن جزر الانداءان لكن تعليقاته عليهم كانت تعليقات غامضة مما يدل على أنه قد اعتمد فى كتابته عنهم على الروايات الشائعة ، لكن المصدر الاصلى الذى أخذت عنه المعلومات التى استقاها ماركوبولو هو كتابات رحالين عربيين زارا المنطقة عام ٨٧١ ميلاديه وقد وصفا الوطنيين بأنهم خطرين جدا ومتوحشين وآكلى لحوم البشر وقد ترك الربان فردريك وصفا متشابها للانداءان فى رحلته التى قام بها عام ١٥٦٦ . فقد كتب فردريك أنه تمتد من جزر نيكوبار إلى جزر بيجو توجو سلسلة عدد من الجزر غير المعروفة تسكنها جماعات متوحشة يطلق عليها أنداءان ويطلق على سكانها القساه أو المتوحشين لانهم يأكلون بعضهم أيضا وهذه الجزر فى حروب شديدة فيما بينها لأن لديهم

قوارب صغيرة تستخدم فى الاغارة على بعضهم البعض ثم أسر من يقع فى أيديهم من أعدائهم وأكل لحمة ، كما أن أى سفينة تفقد بين هذه الجزر لاينجوا من رجالها أحد حيث يذبحونهم ويأكلونهم .

لكن الاندامان ليسوا من أكلى لحوم البشر وربما الصق بهم الرحالة هذه الصفة حتى تثير رواياتهم من يقرؤها بادعائهم أنهم قابلوا بعض آكلى لحوم البشر

وخلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ذهبت عدة رحلات إلى هذه الجزر ولكن كان معظمها رحلات عرضيه وأحيانا من أجل أسر بعض الوطنيين لبيعهم كرقيق .

وهو هدف لم يكن يؤدى إلى علاقة صداقة بين الرحالة والوطنيين .

وقد أقيمت أول مستوطنة دائمة فوق جزر الاندامان عام ١٧٨٩ عندما أرسلت شركة الهند الشرقية البريطانية تحت قيادة لورد كورنوول مجموعة من المستعمرين إلى الميناء الذى يعرف حاليا باسم بورت بليز ثم بعد ذلك نقلوا إلى ميناء كورنوول بسبب تدهور حالتهم الصحية فى الموضع الأول .

وفى عام ١٧٩٦ أخليت المستعمرة ومن يومها لم يطأ الجزر قدم أوروبى خلال الستين عاما التالية فيما عدا تحطم بعض السفن الأوربية بين هذه الجزر وفى عام ١٨٥٨ أقيمت مستوطنة لعقاب المجرمين فى نفس الموقع الاول وقد استمرت بعد ذلك وقد قاوم الوطنيون هذه المستعمرة فى البداية وقاوا بعدة هجمات عليها وليس لدينا أية معلومات عن القسوة التى ربما تعرضوا لها .

وقد أقيمت مؤسسة تدعى بيوت الاندامان لامدادهم بالمساعدات الطبية والواتب وأخيراً سادت العلاقات الودية بين الاندامان والاوربين باستثناء قبيلة فى مكان متطرف من الجزر .

وقد قامت الحكومة الهندية فى الوقت الحاضر ببعض الاعمال من أجل ادماج النجريتو فى الامة الهندية لكن الجـــزر بعيدة جدا عـــن المناطق السياسية والاقتصادية الحديثة لدرجة أنه من المحتمل أن ينقرض الانداماان قبل حدوث هذا الاندماج .

وقد كان لاحتكاك الوطنيين بالاوربيين تأثيرا مدمرا بسبب افتقاد الانداماان للمناعة ضد الامراض الاوربية فقد استمر الزهرى يفتك بهم حتى ١٨٧٠ وقد أدت الحصبة والانفلونزا إلى خلو الجزر من سكانهـا مما أدى إلى تفـوق معدل المواليد على معدل الوفيات وهذا يدل على أن الانداماان فى طريقهم إلى الإنقراض.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

جماعات الاسكيمو

The Canadian Eskimo

جماعات الإسكيمو

يكون الأسكيمو جماعة متميزة سلاليا ولغويا وحضاريا فى المنطقة القطبية التى تمتد من شرق جرينلند وعبر شمال كندا والاسكا إلى سيبريا وينتمى الأسكيمو من الناحية الجنسية إلى المجموعة المغولية حيث يرتبطون سلاليا بالهنود الأمريكيين رغم أن بعض صفاتهم الخاصة جعلت بعض الانثروبولوجيين يفردون لها سلالة منفصلة عن الهنود الأمريكين . ويتميز الأسكيمو بصفة عامه بالقامة القصيرة إذ يتراوح متوسط طول الرجال بينهم ما بين خمسة وست بوصات فى حين يقل طول المرأة عن ذلك . وتتصف وجوههم بأنها عـــريضة مفلطحة مـع بروز عظام الوجنات وذلك إلى جانب طية العين المغوليه والشعر الأسود الخشن ولون البشرة البنى الفاتح وغيرها من الصفات التى تلتصق بالمجموعة المغولية.

وتنتمى جميع لهجات الاسكيمو التى تنتشر عبر ٣٠٠٠ ميل إلى أرومة لغوية واحدة غير أن هذه اللهجات تختلف اختلافا طفيفا فيما بينها وعلى أى حال تكاد تكون لغة الاسكيمو منعزله تماما بحيث لم يحدث أى تسربات لغوية إليها .

ويبدو أن توافق الطابع الجنسى واللغوى والحضارى لجماعات الاسكيمو يشير إلى أنهم قد تحركوا إلى موطنهم الحالى فى فترة أحدث من تلك الفترة التى وصل فيها الهنود الأمريكيين إلى العالم الجديد . وحتى الآن لم يتمكن الاركـولوجيون من تحديد بدقة المكان الذى وفد معه الأسكيمو أوالوقت الذى جاءوا فيه . فأقدم المواقع الأثرية للاسكيمو فى رأس دبنيف Cape Denbigh بالاسكا تشير إلى أن عمر طلائع الاسكيمو يعود إلى ٤٠٠٠ عام ، بينما تواريخ تواجدهم فى المناطق الشرقية والوسطى فأحدث من ذلك حيث يبدو نمـــط مبكر لحضارة الاسكيمو يطلق عليه الاركولوجيون اسم دورست Dorset يعود إلى حوالى ٢٠٠٠ عام

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهو سابق لحضارة الاسكيمو الحالية والتى توجد فى هذه المنطقة. وهناك حضارة أحدث من ذلك توجد فى تول ويرجع تاريخها إلى ١٠٠٠م وتوجد على السواحل القطبية فى كندا . ويتبين الأدلة الأثرية أن هناك موجتين متتابعتين من الاسكيمو انتشرت صوب الشرق من الأسكا إلى جرينلند وأن هذه الموجات ربما حملت كثيرا من حضارة آسيا .

وجماعات الاسكيمو جماعات صائدة ولكن إذا ما قورنوا بالجماعات الصائدة الأخرى يظهر أن حضارتهم أكثر تطورا حيث تمكنوا تكنولوجيا من ملاءمة حياتهم فى بيئة يتصف مناخها بالقسوة ويعيش بها فى كل مكان الإنسان البدائى .

وتأثير العروض القطبية يترك بصماته الواضحة على طبيعة البيئة الجغرافية إذ تقع معظم محلات الاسكيمو بين خطى عرض ٦٠° - ٧٠° شمالا حيث يوجد اختلافا جذريا بين فصلى الصيف والشتاء . فى فصل الشتاء لا يرى بعض الاسكيمو الشمس لعدة أسابيع اللهم إلا على هيئة وميض بسيط من الضوء . بينما فى فصل الصيف فهؤلاء الذين يعيشون فى المنطقة الممتدة عن خط عرض ٦٦و٥° شمالا يمكنهم رؤية الشمس طوال النهار والليل ، وبطبيعة الحال تختلف درجة الحرارة كثيرا على مدار السنة ففى فصل الشتاء الذى يستغرق حوالى ٩ شهور من السنة تنخفض درجة الحرارة دائما إلى ما دون الصفر كما تتراوح فى بعض الشهور ما بين ٣٠° ف و ٥٠° . ولا ترتفع درجة الحرارة فوق درجة التجمد إلى فى خلال شهرين أو ثلاثة فقط .

والتغير من الشتاء إلى الصيف الكامل يواكب دائما انصراف الانهار الجليدية وذوبان الثلوج فوق اليابسة . وما أن يحدث ذلك حتى يتغير المظهر الطبيعى فى المنطقة حيث تظهر النباتات القطبية الدائمة وذلك حتى قبل أن ينتهى الجليد من

الذوبان . كما تبدأ أسراب الطيور المهاجرة فى الظهور فجأة حيث يوجد فى المنطقة القطبية أكثر من مائة نوع من الطيور . كذلك يقتل قطعان كبيرة من الكاريبو حيث تتبع تدريجيا ظهور النباتات فى الاتجاه صوب الشمال . كما أن حياة السكان تصبح أكثر قلقا وازعاجا إلى حدماحيث يصبح الامر صعبا بسبب وحولة الأرض وعدم إمكان المياه المذابة من الثلوج النسرب إلى أعماق تزيد على قدمين ألا مر الذى يجعل من تلك المناطق التى تعرف باسم التندرا بيئة مستنقعية ومن ثم تمرح حينذاك هنا الحشرات الضارة والبعوض وتسبب بلاء كبيرا للسكان.

ويحل الشتاء تدريجيا محل الصيف حيث تبدأ الحياة الطبيعية فى الموت السريع . ففى شهر سبتمبر قد يسقط بعض الثلج كما تبدأ بعض البحيرات الصغيرة . من التجمد غير أن جليد البحر يتكون مع شهر نوفمبر فى كل المناطق فيما عدا المناطق التى يوجد بها تيارات قوية . وعلى النقيض من الاعتقاد السائد لا تدفن أراضى الأسكيمو تماما تحت طائلة الثلوج وعلى الرغم من أنه يوجد اختلافات جذرية فى هذا الصدد إلا أن كل النساقط السنوى لايزيد على أربع بوصات حيث أن البرودة القاسية فى معظم السنة تحدد بصورة واضحة كمية الرطوبة الموجودة فى الجو ، كما أن الرياح القوية تعمل على ابقاء الأرض فى مناطق عديدة عارية من الثلوج .

وبطبيعة الحال البيئة ليست متشابهة تماما فى كل المنطقة التى يقطنها الأسكيمو ولهذا السبب فقد نمت بعض الحضارات المحلية اليها عكست هذه الاختلافات . وأن كان الاختلاف يتوقف أساسا على نوع الحيوان الذى يعتمد عليه الاقتصاد فصدر الاسكيمو المميز هو عجل البحر التى تصطف وفى فصل الشتاء وإن كان بعض الجماعات الاقل تخصصا فى هذا والتى لاتعتمد كثيرا فى حياتها على الصيد

وتوجد أنقى أشكال الصيد القطبى الذى يطلق عليه حضارة القطب الراقية High arctic cultue بين أسكيمو القطب فى شمال جرينلند حيث تعتمد الحياة كلية على مصادر البحر (شكل ٦). أما فى المناطق التى تقع أكثر نحو الجنوب فى جنوب

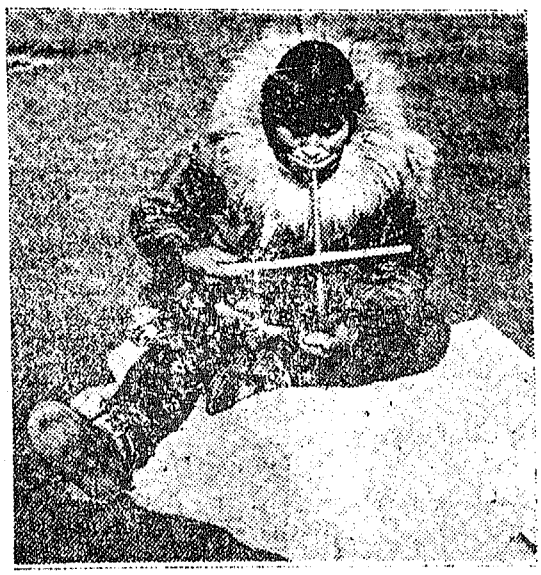

شكل (٦) اسكيمو يحفر قطعة من الصخر بواسطة مخراز النفخ

جرينلند وليرادور وجزر أو ليشيان بالقرب من الاسكا فنجد أن الحضارة الشبه قطبية Subarctic culturs لها ارتباط أكبر بالمياه المفتوحة حيث يزداد الاعتماد أكثر على صيد الأسماك مستخدمين فى ذلك القوارب مع اختلاف طفيف للحياة الشتوية لاسيكمو القطب . وبالاضافة إلى ذلك توجد مجموعات صغيرة مثل جماعات أسكيمو الكاريبو Caribou Eskimo التى هجرت تماما البحر فى سبيل الاعتماد فى حياتها على تتبع الصيد البحرى وصيد الاسماك من الخضر الجليديه بنفس الطريقة التى يمارسها الهنود الأمريكين فى المناطق التى تقع إلى الجنوب

من مناطقهم . أما الحضارة الاقل تخصصا فى وسط وسواحل كندا فلها نمط آخر حيث يعتمد على الصيد فى الثلج أبان لشتاء وذلك إلى جانب الاعتماد لدرجة كبيرة على أنشطة الصيد البرى فى الفصول الإخرى . وهذا النمط هو أكثر أنماط الاسكيمو انتشارا بينا ما دون ذلك يمثل وجوها خاصا داخل جماعات الاسكيمو.

ويوجد لدى أسكيمو كندا الساحليون محالتين عمرانيتين أو أكثر حيث يعتمد موقع كل منها على النشاط الاقتصادى الرئيسى فى الموسم . وأطول مدة إقامة تكون فى الموقع لشتوى . وفى أواخر الشتاء تتجمع الاسر فى خليج محمى أو منطقة قليلة الثلوج . حيث تصبح الشواطىء المفتوحة عبارة عن أكوام من الثلوج التى حملت إلى الشاطىء فى رحلة ألا عودة .فى هذه الفترة يصبح صيد حيتان الشتاء هو النشاط الاقتصادى السائد .

وطريقة صيد الحيوان البحرى التقليدية المعروفة هناك والتى تسمى باسم صيد ماوبوك Maupok والتى تعنى انتظار الصائدإلى جانب فتحة تنفس الفريسة هى الطريقة السائدة حيث تأتى عجول البحر بانتظام إلى هذه الثقوب والتى كونتها منذ بدأت الجليد يتكون . وعلى الرغم من أن هذه الثقوب قد تغطى بطبقة من الثلوج إلا أن كلاب الاسكيمو الجائعة تستطيع أن تشم رائحة الحيوان البحرى من مسافة بعيدة وحينما يجد الصائدمثل هذا الثقف يقف إلى جانبه كالتمثال إلى أن يأتى الحيوان للتنفس فحينئذ يرشقه فى أنفه بالحربة . وفى بعض الاحيان لكى يجعل عمله أسهل إذكانت الفتحة مغطاة بالثلوج فانه يترك قطعة من العظم التى تتحرك إلى أعلى حينما يمسها أنف الحيوان . ومن ثم فعليه أن يسرع لاقتناصه إذ أن فرصة صيد الحيوان قد لاتأتى إلا بعد بضعة ساعات أخرى وذلك لإن الحيوانات البحرية لها عدة ثقوب للتنفس تزورها تباعا وقد تعود إلى ثقب بعينه

بعد فترة طويلة . فقد ذكر أحد الباحثين أن شخصا قضى يومين ونصف إلى جانب ثقب للتنفس وذلك دون جدوى .

وبعد صيد الحيوان البحرى لايزال أمام الصائد عمل كبير على أن يؤديه فقد يكون رأس الحربة غير مثبتة جيدا فى الفريسة ومن ثم فعلى الصائد أن يثبتها فى الحيوان كما عليه أن يوسع الثقب لاستخراج الفريسة وتقدم الثدييات البحرية إلى الاسكيمو بالاضافة إلى الطعام الشحوم التى تحرق بدون دخان وتعطى حرارة تبعث الدفء والضوء خلال شهور . ولولا هذه الشحوم لكانت حياة الاسكيمو صعبة للغاية حيث لاتوجد أخشاب تحرق فى المناطق القطبية ، كما أن دهون الحيوانات الأخرى ليست مثل دهون الثدييات البحريه . ولا يستخدم جلد عجل البحر Seal دائما فى صناعة الملابس إذ أن فروة حيوان الكاريبو تعطى أكثر دفئا كما أنها أخف وأسلس فى الصنع . وتأكل كل أجزاء جسم عجل البحر بدون طهى ولايعرف كيف أن الاسكيمو لايدركوا مدى أهمية هذه اللحوم النيئة للصحة وإن كان من المؤكد أنهم يعانوا العديد من النقص الغذائى إذا لم يتناولوا هذه اللحوم غير المطهية حيث لايوجد خضروات طازجة أو فاكهة وذلك لمدة تتراوح مابين تسعة وعشرة شهور فى السنة .

وحينما يصبح النهار أطول تبدأ ثلوج البحر فى الشقق والإنكسار مكونة قنوات تجرى فيها تيارات قوية ومن ثم تبدأ الأسر التى كانت تعيش فى المحلة الشتوية تتحرك وتنتشر لتدخل فى معسكرات لصيد الربيع حيث تبدأ الثدييات البحرية مع صغارها فى الظهور على الثلوج وتقدم صيدا سهلا للمائدين المهرة الذين يمكنهم الزحف ورائهم والامساك بهم . ومع تحسن الطقس بزيادة الدفء يجوب الصيادون أطراف المياه المفتوحة وذلك للصيد حيث يصطادوا فى بعض

الأحيان الحيتان . كذلك يصبح الصيد البرى فى هذه الفترة هاما ولا سيما الثور الموسكى الذى انقرض للافراض فى صيده . ومن عادة هذه الحيوانات تكوين دائرة للحماية حيث يقف الذكور فى المقدمة والإناث والصغار فى الداخل . ولذا فيسهل على الصيادين قتل أعداد كبيرة منهم بسهولة . وتجمع كميات كبيرة من اللحوم والشحوم فى هذا الفصل الوفير وتخزن فى أكوام مرتفعة تغطى بالحجارة وذلك لحفظها من النهام الحيوانات .

وفى فصل الصيف أو كما يطلق عليه فصل السعادة تجذب نباتات التندرا أعداد كبيرة من قطعان الكاريبو صوب الشمال ومن ثم تقام معسكرات الصيف على رؤوس الاودية الداخلية .

وهنا تبدأ العناصر المتناثرة فى التجمع لتشترك فى الصيد الجماعى . ويستخدم بعض الصيادين القوس والسهام ولكن الطريقة الناجحة هو مطاردة القطعان إلى خور مغلق أو مستنقع أو بحيرة حيث يسهل صيد الحيوانات هناك . كذلك يمكن اصطياد بعض الحيوانات الصغيرة فى الصيف كالذئاب والثعالب والأرانب وذلك عن طريق الفخاخ . أما البط والاوز والطيور الأخرى الكبيرة فتصطاد عن طريق الفخ أو باسقاطها بالسهام والنبال . أما الطيور الصغيرة فتقوم النساء والأطفال بصيدها عن طريق الشباك . وتخزن الطيور الزائدة فى حفر أرضية حيث تتجمد .

والأسماك وفيرة فى فصل الصيف على طول سواحل كندا ولا سيما سمك السالمون والذى يبدأ هجرة الفصلية مع بداية الصيف إلى أعالى الأنهار . فى هذه الفترة تتحرك جماعات السالمون فى أعداد هائلة كثيفة لدرجة أنه يمكن اصطياد كمية كبيرة منه فى الرمية الواحدة . ويستخدم السنار المعقوف والمستقيم ذوى السنون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

العاجية فى الصيد فى المياه العميقة ، كما تستخدم الشباك والسدود فى بعض المناطق الأقل عمقاً ..

وتجمع فى هذا الفصل بعض الجذور والنباتات غير أن عمر هذا الفصل قصير والنباتات النافعة نادرة ومن ثم لا تلعب دوراً هاما فى الحياة الغذائية للاسكيمو .

ويقل نشاط الصيد فى الفترة الممتدة من أواخر الصيف وحتى الشتاء إذ يترك الكاريبو الأقاليم الساحلية كما أن الثلوج لم تأخذ بعد صفتها الدائمة التى تتواجد عليها فى الشتاء . ويوجد دائما وفـــرة فى الطعام المخزون الأمر الذى يوضح كيفية عدم الإستمرار فى مواقع المعسكرات والمحلات العمرانية التى ظهرت فى الفصل السابق. وتستطيع الاسر المختلفة أن تعود إلى نفس المكان مرة أخرى حين يأتى موسم الاصطياد . وتشغل بعض الجماعات الكندية منازل حجرية دائمة فى وقت الصيد مما يساعد على استخدامها لعدة أجيال بل قد تستخدم بصفة دائمة إذكان من السهل الوصول منها إلى مناطق صيد الشتاء وبعضها يبقى مسكونا حتى بداية الربيع .

ويشتهر الاسكيمو بادواتهم المميزة وطرقهم المتعدده فى الصيد والنقل وصنع الملابس وبناء المساكن . فبعض طرق ملائمتهم للحياه القطبية لم تكن وليده تقدم العلوم الصناعية فى العالم الحديث . فالرحلات الاستكشافية الكبرى التى اتجهت إلى المناطق القطبية والشبه قطبيه والمجهزة بأحدث تكنولوجيا العـــلوم لجأت لإستخدام بعض معدات الاسكيمو مثل الزحافات وكلاب الاسكيمو المدربة وقارب الكاياك والملابس الجلدية ولا سيما أردية القدم أو أحذية الجليد .

وقد لجأ الاسكيمو إلى ملائمة حياتهم بهذه الصورة فى بيئه ينقصها موادها الرئيسية ولا سيما الأخشاب التى تخدم أغراض تكنولوجية عديده فى بقية

أنحاء العالم . فالأحجار والعظام والعاج وجلود الحيوانات وكذلك الثلوج والجليد قد تحل محل الاخشاب . فقد تستخدم العظام والعاج والقرون فى عمل الزحافات إذ تصنع الزحافة التقليدية لاسكيمو الوسط عن طريق تجميع عظام فك الحوت وحقيقة أنهم يصنعون الزحافة من قطع متعدده وليس قطعةواحد ةحيث لهاميزه عملية هامة إذ أن الزحافة المصنوعة من قطعة واحده قد تكون أقل ثباتا أثناء انزلاقها على الجليد من تلك المصنوعة من قطع متعدده .

ويعد كلب الزحافةمن أشهر عناصرحضارة الاسكيمو إذ ان هذا الكلب الضخم القوى القلب هو الحيوان الوحيد الذى يربى فى جميع بقاع الاسكيمو حيث يستخدم عدد من الكلاب التى يقودها كلب متقدم ببضعة أقدام عن الأخرى فى جر الزحافة وتكون كلاب كل زحافة مجموعة متألفة يقودها أقوى المجموعة ويشجعها حيث يعرف كل كلب موقعه فى عجلة الجر عن طريق التعود . ويصل عدد كل مجموعة خمسة أو ستة كلاب ولكن فى أغلب الاحيان يقل العددعن ذلك إذ ان الكلاب العاملة تستهلك كميات كبيرة من الاسماك والثديات الامر الذى يجعل اقتنائها باعداد كبيره امرا مكلف ولاسيما ابان فصل الشتاء الطويل .

ويعتبر قارب الكاياك وسيلة هامة للصيدلاسكيمو الساحل فى فصل الصيف . وهذا القارب الذى لايزيد حجمه عن قوارب « الكانو الصغير » يعتبر من أفضل القوارب البحرية الصغيرة التى اخترعت فقد صنع إطاره أوهيكله من عظام الحيتان ويبطن كله بالجلود ولم يترك فتحة سوى تلك التى يجلس فيهـــا النوتى . وما أن يجلس بها وهو مرتدى جاكت من الجلد ويثبت فى القارب حتى يصبح جزءا منه.

أما عن الأوميك Umiak قارب المرأة فهو أكبر حجما من الكاياك كما أن سطحه مفتوحه وذلك عن النقيض من قارب الرجال ويستخدم عادة كوسيلة فى

الانتقال أكثر من استخدامه فى الصيد . وتستخدم قوارب الكاياك والاومياك أيضا بعض القبائل فى شمال شرق سيبريا أذ وصل إلى هناك عن طريق جماعات الالاب القديمة فى النرويج . ويستطيع الباحث أن يجزم أن هذا القارب من اختراع الاسكيمو وينطبق ذلك على بعض أدوات الاسكيمو الأخرى .

وعلى الرغم من أن منزل الاسكيمو بسيط إلا أن فحصه يشير إلى دقة تركيبه فمنزل الثلج المؤقت الذى يطلق عليه اسم أيجلو Igloo معروف جيدا لكثير من الدارسين غير أنه ليس من السهل تشييده كما يتصور البعض فكتل الثلوج الضخمة تقطع من جروف ثلجية متماسكه بواسطة سكاكين طويلة عظمية ثم ترص على شكل قبة . ويستطيع الاسكيمو قطع الكتل الثلجية بسرعة فائقة وبأحجام دقيقة تلائم الأماكن المطلوب وضعها فيه بدقه . وإذا كان استخدام المنزل لفترة طويلة فانه يبنى بفطر يصل إلى ١٢ قدما وارتفاع فى الوسط يصل إلى تسعة أو عشرة أقدام. شكل (٦) وقد تبنى أماكن جانبية للطهى والتخزين كما يمد رصيف كبير من الثلوج للنوم ويغطى بالجلود . وتصنع النوافذ من جلود أمعاء عجل البحر وتبدو على هيئة ثقوب . وقد يستخدم فى بعض الأحيان غطاء من الثلج كنافذة وذلك حينما يبنى المنزل لفترة مؤقته . ومدخل المنزل عبارة عن نفق صغير يمكن الدخول اليه عن طريق الزحف وذلك لكى يمنع البرودة . وهذا النفق طويل فى العادة لنفس السبب لسابق وترتفع أرضية الحجرة الرئيسية غالبا قدم أو اثنين عن مستوى الممر وذلك أيضاً من أجل الابتعاد عن تيارات الهواء الباردة .

وتغطى فى بعض الأحيان جدران الحائط والأسقف بجلود عجل البحر وذلك عن طريق تثبيتها بأحبال تخترق الحوائط . وفى هذه الحالة تخلق طبقة عازلة من الهواء حيث يستطيع الأهالى أن يرفعوا درجة حرارة المنزل عن طريق المواقد لدرجة معتدلة دون أن تؤدى إلى إذابة الحوائط الداخلية كثيراً .

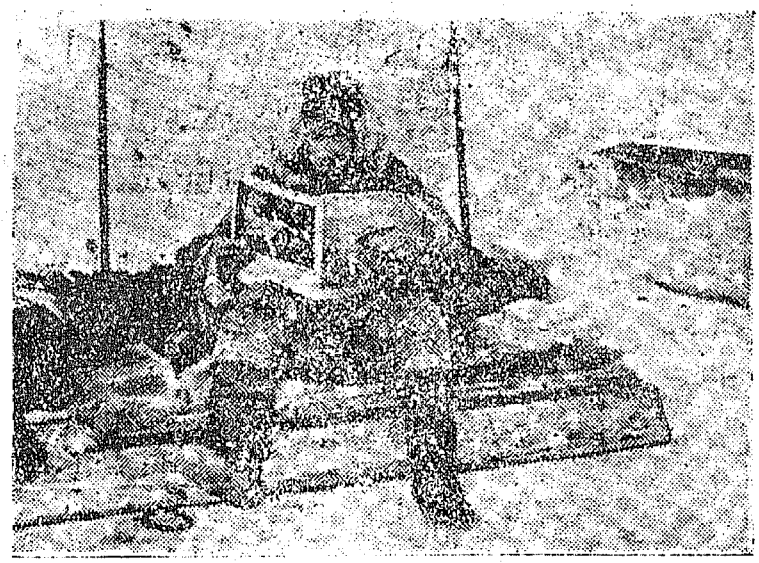

شكل (٦) أحد الاسكيمو يجلس فى خيمته

والمنازل الدائمة التى تشيد على الساحل لها عمر مماثل للمنازل السابقة ولكنها تختلف عنها فى أنها تنحت فى الأرض لعمق قدم أكثر ، وأن حوائطها تبنى من الحجارة التى ترتفع عن سطح الأرض ما بين خمسة وستة أقدام ، كما تستخدم عظام الحوت ولاسيما الضلوع كدعائم للمنزل ويراعى وضع العظام المقوسة فى واجهة المنزل وذلك لسهولة عمل النوافذ كما يغطى السقف بالجلود مع العلم بان الثلوج الساقطة فى فصل الصيف تكون طبقة عازلة فوق المنزل ، أما الأرض والحوائط والأسقف وكذلك رصيف المعيشة أو مكان العيش فتغطى جميعها بجلود عجل البحر . أو عظام الحيوانات الأخرى فتستخدم كمشاجب فى الحائط أو تستخدم فى أغراض أخرى كعمل السنانير والفخوخ .

والمنازل ذات تهوية كافية غير أنه لا يوجد بها تيار حيث يدخل الهواء البارد من الممر ويدفء عن طريق المصابيح ومن ثم يخرج رويدا رويدا من الفتحة

الصغيرة الموجودة فى السقف ، أما فى المساكن الاصغر فتستخدم المصابيح فى أغراض أكثر من كونها مدافىء . وفى معظم الأحيان ترتفع درجة الحرارة فى المنازل لدرجة أن السكان يتعرون حتى الوسط . ويوجد فى معظم القرى الثابتة كوخ كبير يستخدم لمقابلات الجماعة واحتفالاتهم واقامات الطقوس المختلفة .

وفى فصل الصيف تستخدم خيام مصنوعة من جلود الكاريبو وعجل البحر حيث يصنع إطار لها على شكل نصف مخروط من عظام الحيتان مع عمود يمتد أمام الخيمة . أما من ناحية تنظيم الداخل فيشبه ذلك التنظيم الموجود فى المساكن الشتوية لهم .

وملابس الاسكيمو ملائمة تماما للاحوال القطبية فهى محـــاكة باتقان ومصنوعة بدرجة أنه من الصعب إدخال أى تحسينات عليها . فكل الملابس مصنوعة من جلود الحيوانات فيما عدا رداء المطر الواقى المصنوع من الجوت Gut . ويعد الجلد أولا عن طريق تخليصه من الدهون الموجودة به من الداخل بواسطة سكين ثم يشد بعد ذلك على عظمتين ليجف وبعد ذلك تقمن النساء بمضغ الأجزاء الداخلية لتخليصها من الدهون المتبقية ولتليينها . ويجفف بعد ذلك للمرة الثانية حيث تستخدم مقاشط وسكاكين من العظام لتليينه أكثر . والجـــلود المصنوعة بهذه الطريقة يمكنها المحافظة على درجة الحرارة ..

ويرتدى كل من الرجال والنساء قمصان داخلية مصنوعة من جلود الكاريبو والطيور أو الفراء ويوضع فوقها قميص خارجى مبطن بالفراء ومصنوع أيضا من جلد الكاريبو أو جلود الدبيه ويمتد حتى الركبة أما النساء فلا يصل البنطلون إلى الركبة ويرتدى كل من الرجال والنساء أحذية صيفية مصنوعة من جلود عجل البحر بينما تصنع أحذية الشتاء من جلد الكاريبو . ويصل حذاء السيدات حتى نهاية

بنطلونين القصيرة بينما يصل حذاء الرجال حتى الركبة وهذه الأحذية لاتغطى المفاصل ومن ثم فتوضع لها ما يشبه الرقع وذلك لحمايتها .

وتتسم صناعة الأسكيمو بالتنوع الكبير فى أسلحة الصيد فهناك أنواع عديدة من المقاشط والسكاكين والمخارز وأنواع أخرى من الأسلحة المدببة التى صنعت عن طريق شطف الحجارة وحكها . وفى بعض الأماكن القليلة المفرقة عرف الاسكيمو كيف يطرقون النحاس لتشكل بعض السكاكين كما استخدم الحديد فى صناعة بعض المقاشط والسكاكين فى شمال غرب جرينلند . وأسلحة الصيد النقليدية هى القوس والسهام وتصنع القوس فى العادة من ثلاث قطع من العظام التى تربط سويا بواسطة حبال مطاطه . ويعتبر الرمح بأنواعه المختلفة أهم أنواع أسلحة الأسكيمو الوطنية ، ويتكون الرمح فى العادة من أجزاء متعددة فالرمح الذى يستخدم فى صيد عجل البحر يتكون من أربع أو خمس عقل تثبت رأس حربه فى طرف العقلة الأمامية . وقد تصنع رؤوس الحراب من العاج وإن كان معظمها يصنع فى الوقت الحاضر من المعدن . وتثبت رؤوس الحراب الطويلة فى عصى الحربة على طريق ثقوب طوليه وعن طريق عقد حولها .

وقد يصنع عديد من الأوانى المنزلية من العظام والعاج . فعن طريق المثقب المنحنى تمكن الاسكيمو من قطع وتشكيل أدوات دقيقة كالابر والأمشاط والمغارز والمعالق والتى قد تزين بنقوش ، كما أن تزين الأسلحة بواسطة التماثيل أمر سائد بين الاسكيمو . وقد تنحت بعض أوانى الطهى ووعاء لمضة الإنارة من بعض الأحجار . أما الأدوات الأخرى مثل الاكواب والشنط والجرادل والاطباق فقد تصنع من جلود عجل البحر المحاكة . أما عملية الطهى فهى عملية بسيطة من القلى ولذا فقد اخترع الاسكيمو نوعا من الانية الفخاريه لهذا الغرض .

ويؤكل معظم طعام الاسكيمو نيأ ومن ثم ففنون الطهى غير متقدمة لديهم إذ ينظر إلى الطعام ببساطة على أنه مجرد تموين الجسم بالوقود . ويستطيع رجل الاسكيمو أن يأكل كمية كبيرة من اللحوم فى الوجبة الوحدة حيث يضع فى فمه قطعة طويله من اللحم ويقوم بتقطيعها بالسكين بالقرب من شفتيه . وقد تهدد المجاعة الاسكيمو باستمرار فى بعض أوقات السنة حتى أن جلود الاحذية قد تمضغ فى بعض الاحيان من أجل زيوتها وذلك فى حالة غيبة الطعام . أما بعض الطيور واللحوم فتأكل فى أغلب الاحيان بعد فسادها ، حتى الديدان التى تعرض فى اللحوم الفاسدة لاتستبعد منها عند أكلها . أما أمعاء الطيور والاسماك فقد تدخن كما أن الاسماك الصغيرة قد تجلب حية . ولايمكن لعائلة الاسكيمو أن تتعرض لمجاعة كثيرا مادامت يوجد لدى للعائلات الاخرى الموجودة فى المعسكر طعاما . فأى شخص جائع أو غريب يمكنه أن يتقدم ليأكل من اللحوم التى لدى شخص آخر . وحتى فى أوقات وفوة الطعام يوزع الصائد الماهر فريسته على الرغم من أنه قد يحتفظ لنفسه ببعض الاجزاء المرغوب فيها . والمسائلة ليست مسائله كرم بقدر ماهى حقيقته تتصل بالحياة والموت إذ أن الصائد الذى ينجح مرة فى اصطياد فريسته قد يفشل مرة أخـــرى ومن ثم فالمشاركة هى الوسيلة الوحيدة للتوزيع حيث أنه لايوجد سوق أو أى نوع من التجارة ومن ثم فبواسطة هذه الطريقة يتصرف الاسكيمو فى انتاج الطعام الفردى .

وكل مواطن أو فرد له حريه استغلال انتاج الارض وللبحر وحتى المنازل الثابتة أو الدائمة فلا ينظر اليها على أنها ممتلكات خاصة فإذا كان المسكن متوفرا حتى ولو لفصل واحد فأى عائله أخرى يمكن أن تستعمله . أما ملابس الفـــرد الخاصة وأسلحته وأى شىء آخر يقوم لصناعته لاستخدامه الشخصى فكما هـــو الحال فى المجتمعات الاخرى تعتبر ملكا له ويتصرف فيها كما يشاء . ولذا فقد

يعير الاسكيمو أسلحته وبعض أدواته إلى شخص آخر إذا ما طلب ذلك .

ولكل من الرجل والمرأة مجال نشاطه الخاص . فالرجال صائدون أوصانعوا أدوات صيد بينما تقمن النساء بجميع الطيور من مخالبها وكذلك جمع بعض النباتات التى يستصاع أكلها والمحارات والاطعمة البحريه وذلك إبان فصل الصيف . وتعد من أصعب الاعمال وأكثرها مهارة صناعة المرأة للملابس وذلك بعد إعداد الجلود اللازمة لذلك . والنساء كما هو الحال فى المجتمعات عليهن تدبير أمور المنزل ورعايه الاطفال والطهى والاصلاح .

وتعتبر العائلة الوحدة الانتاجية فى المجتمع ، فهى الصناعة وهى المستهلكة وذلك فيما عدا المشاركة بين العائلات . وتوزع الثروة على كل سكان المحلة العمرانية فيما عدا بعض الاختلافات الفرعية وذلك بالنسبة لصاحب الشيء ومن ثم فليس هناك فقرا أو غنى فى المجتمع . ولايوجد تخصص فى المجتمع إلا فى وظيفة الشامان Shanan أو المطبب الذى يعرف باسم أنجاكوك Angakak الذى يعطى الهدايا فى سبيل خدماته من أجل شفاء المرضى . وهو رغم ذلك يقوم بالصيد من أجل العيش ومن ثم فتخصصه جزئى ووقتى .

وقد يكون للرجل المطبب أو الشامان تأثير شخصى قوى فى المجتمع، غير أن ليس له وظيفة أو نفوذ . وكما هو الحال فى المجتمعات البدائية الأخرى ينقصها تماما التنظيم الدينى والحكومى، كما ينقصها ايضا التقسيم الإجتماعى والتنظيم الحربى وغيرها من الصفات التى تميز المجتمع المتحضر . فوحده العائلات المنفرده فى المحله العمرانية تعتمد أساسا على صلة الدم والتعاون الإقتصادى غير أن هذا التنظيم ضعيف وذلك بسبب التغير الدورى فى مكان السكن والاختلافات الفصليه فى حجم وعضوية الجماعة . فلا توجد الروابط القبلية أو أى نوع آخر من التنظيم

الوحدوى بين المقمين فى محلة عمرانية واحدة . ونظام رابطه الدم الذى يوجد لدى الاسكميو يشبه ذلك الموجودة لدينا فاقارب الام يطلق عليهم نفس الالفاظ التى تطلق على أقارب الام فى مجتمعتنا كذلك بالنسبة لأقارب الاب فينادوا بالعم والعمة وغير ذلك من رتب القرابة . نفس التميز يظهر فى الجنس وفى الجيل وبين الاصلاب وغير الاصلاب والاتجاه الاخير اتجاه غير عادى بالنسبة للمجتمعات البدائية إذ لايظهر إلا فى الحيـــاة المتمدينة فمصطلح أب أو أم لايشمل سوى الوالدين فقط ولايطلق على العم أو الخالة كذلك مصطلحى أخ واخت لايستعمل بالنسبة لابناء العمومه . وهـــذا النظام يعكس بصفة عامة الحياة الإجتماعية والاقتصادية للاسكميو . فكما هو الحال فى مجتمعتنا نجد أن الأسرة النووية التى تتكون من الاب والام والاطفال ليس لها نظام إذ يرتبط جميع أفراد الاسرة مع بعضهم على مدار السنه .

وتقدر عائله الاسكميو الاطفال إذ يتساوى لديهم الذكور بالاناث غير أن صعوبة الحيـــاة وقسوتها تدفعهم إلى التخلص من الاطفال المرضى والمشوهين كذلك حين حدوث المجاعات لابد ان يضحى بالطفل وفى هذه الحاله تكون الاسبقية للبنات. ويرضع الاطفال فى العادة لمدة عامين ما دام لم يأتى الطفل جديد فى هذه الفترة وأن كان يعطى للأطفال فى هـذا السن من آن لآخر بعض اللحوم النيئه التى تقوم الام بمضغها قبل اعطائها لطفلها. (شكل٧)

وينهر الاطفال إذ ما ارتكبوا خطاما إذ لايوجد فى الواقع أى نوع من العقاب عند الاسكميو، ويلعب الوالدان دورا كبيرا فى مساعدة الاطفال فى اللعب وتعليمهم واسقال الاطفال إلى عمل البالغين يحدث تدريجيا وذلك بالنسبة للذكور والاناث على السواء ، وسن البلوغ يتراوح ما بين ١٣ و١٥ عاما . ولايصاحب

شكل (٧) سيده من لاسكيمو تحمل طفلها

بلوغ الذكور والاناث أى طقوس ملحوظة ، وبعد البلوغ هنـــاك اتصالات جنسيه بين الشباب والشبات إذ لابد أن يبقى الفرد فترة طويله اعزب لان تكوين الأسرة يتطلب الا كتفاء الذاتى .

وتوجد حرية كبيرة فى اختيار الزواج وان كان هناك بعض التقاليد المعترف بها فى هـذا الصدد إذ لايجوز الزواج بين الآباء والابناء أو الاحفاد أو الاخوه غير أن زواج ابناء العمومه أمر شائع . والزواج يكون فى العادة محلى حيث يختار الزوج زوجته من القريه التى يعيش بها وأن كان ذلك لايمنع من أن الاختيار قد يحدث من خارج المحلة العمرانية التى يعيش بها . ويبدو انه ليس هناك قواعد معينه لاقامة الحياة الزوجية فى الحـالة الاخيرة فيمكن للزوجين ان يقيما فى محلة الزوج أو الزوجة على السوء .

ويلاحظ بصفة عامة أن سن زواج المرأة أقل من سن زواج الرجل فى العادة ببضعه سنوات ويحدث الزواج عادة بين ١٤و١٥ سنه . ولاتقام احتفالات للعرس ولايقدم العريس مهرا لعرسه أو أى هديه من الهديا . فالعريس يحمل عروسة من أسرتها و كأنه يأخذها عنوه ومن ثم فلابد وأن تبدى العروسه مقاومة ظاهرية عند حملها . وقد يحدث تعدد الأزواج أو الزوجات فى بعض الاحيان ولكن التقسيم الاقتصادى للعمل فى المجتمع فى مثل هذه الحاله يكون أكثر ايجابيه ومن ثم فهذا النوع من الزواج هو انسب انواع الزواج عند الاسكميو .

والطلاق مسائله شائعه لدى الاسكميو ولاسيما فى حالة عدم انجاب اطفال والبغاء أمر معترف به بين الاسكميو والحرية فى هذا ممنوحه كاملا للرجل فالرجال لهم الحق بمعاشرة أى أمراة دون الخوف من النقد ولكن قد تضرب الزوجة بقسوة من زوجها إذا ما اختلطت برجل آخر دون إذن ويتبادل الازواج زوجاتهم فى العادة لفترات قصيرة وليس هناك حاجه فى أن يأخذ الازواج رأى زوجاتهم فى هذا الصدد . وكرم الضيافه صوب الغريب أمر معترف به بين الاسكميو إذ يحتم كرم الضيافه أن يعطى زوجته إلى الضيف اثناء وجوده وليس هناك عدم الاعتراف بشرعية الاطفال وان كان الاطفال الذين يأتون سفاحا يقتلون فى بعض الاحيان وذلك لضرورة اقتصادية حيث تفتقر أم الطفل لرجل يصيد لها .

سلوك اجتماعى آخر جدير بالملاحظة بالنسبة للاسكميو وهى قتل المسنين أو الاشخاص العاجزين . وهذه العادة على أى حال ليس خطيرة لانها تحدث فى أوقات المجاعه وذلك لاسباب واضحة جدا .

فحياة المجموعة ككل أو على الأقل حياة الأسرة تمكن أن تهدد نتيجة لزيادة أى أعباء عليها ويدرك الكبار ذلك تماما ، ولهذا فقد يقتل الابن والده أو والدته تبعاً لأمرهما . وفى بعض الحالات الأخرى ككبار السن والمرضى ربما يتركوا للموت وهذا أيضا بناء على طلبهم . وكثيرا ما تأخذ روح التضحية الذاتية من أجل الأسرة أو القرية شكلا جماعياً . وعلى الرغم من ان الاسكيمو يتسمون بالاحساس الدقيق إلا أن عليهم أن يواجهوا عملية القتل القاسية كما يواجهوا أى حقيقة أخرى تقابلهم فى حياتهم .

وقد يعجب دارسو مجتمعات الاسكيمو من صعوبة الحيـــاة التى يعيشها الاسكيمو لدرجة أن بعضهم قد يصاب بالانهيار الكامل فيما يعرف باسم « الهستريا القطبية arctic hycs terie » حيث يفقد الشخص قدرته على السيطره على نفسه تماما ، ويصيح ويعض على شفتيه ويلقى بنفسه على الأرض . وهذا السلوك أمر عادى وقد يصاب به الاسكيمو حين يصاب بصدمة . ولكن رغم ذلك كله فيتصف الاسكيمو بالبشاشة والتفائل الأمـــر الذى يبعث على سرور أى غريب يعيش بينهم .

وفى حالة الوفاة يسرع الاسكيمو فى التخلص من جثة المتوفى وشأنهم فى ذلك شأن معظم الشعوب وذلك خوفا من الأشباح . ويكفن المتوفى بأفضـــل ثيابه ويوضع فى كيس من جلد عجل البحر ثم يدفن تحت كومة من الاحجار مصحوبا بكل ممتلكاته الخاصة . وقد يخشى الاسكيمو ظهور شبح المتوفى فى غضون الخمسة الايام التالية للوفاة ومن ثم فقد يبتعدوا فى هذه الفترة عن كل انشطتهم . وبعد ذلك يقال أن الأشباح قد تختفى فى العالم الآخـــر . أما اسم المتوفى فقد يعطى لمولود جديد من أحفاده ومن ثم فيظل الشخص المتوفى ذكرى فى جماعته . ولا يعتقد الاسكيمو كثيرا فى الحياة الآخرة .

وينظر الاسكيمو للمرض على أنه نتيجة لقوى طبيعية خارقة ومن بين المعتقدات السائدة لديهم أن الارواح قد تسلب من جسد الشخص المريض ، كما قد يسبب المرض فى بعض الاحيان دخول مطبب شرير أو بالروح التى تسيطر عليه والتى غرسها فى جسد المريض . ويظهر الاتجاه الاخير بوضوح فى حالة شكوى الشخص من ألم فى بعض أجزاء جسده . وفى كلى الحالتين يستدعى الشامان أو الرجل المطبب لتشخيص الحالة ومحاولة طرد الروح الشريرة المسببه للالم ، ويعتقد الاسكيمو اعتقادا راسخا فى مقدرة الشامان فى هذا الصدد . وجماعة الشامانين إناس يعتقد ان لهم مواهب خاصة تجعلهم مقربين من عالم الارواح . فمن أهم مواهب الشامان فى اعتقاد الاسكيمو هو مقدرته على معرفة الأشياء من الأرواح وتحضيرها فيمكنه مثلا أن يذهب إلى قاع البحر للاستعانة بالهة البحر المعروفة باسم Sodna وذلك من أجل أن يأتى المزيد من الثدييات البحرية إلى تخوم محلتهم العمرانية أو من أجل أبعاد عاصفه هوجاء لكى يتمكن الاهالى من الصيد . كما أنه قادر على أشياء أخرى مثل معرفة سبب المرض أو الدعاء لوفره من الصيد أو لتحسين الطقس وغير ذلك من الأمور المفضلة يسهيل الحياة فى مجتمع يتسم بالفقر البيئى .

ولكى يصبح الشخص شامانا لا بد وان تدخل روح مساعده فى جسده خلال احتفال تشهدة كل القرية ، ويتضمن هذا الاحتفال ضرب الرجل وترديد بعض الأغانى والرقص بعنف أحيانا إلى أن يسقط الرجل فى حلبة الرقص حينما تدخل الروح فى جسده فينطلق لسانه متحدثا بصوت أجش مختلف عن صوته ومعبرا عن الروح . ويحدث كل ذلك فى مكان شبه مظلم حيث لا تحب الارواح الضوء وعلى الرغم من ممارسة الشامانين لأعمال السحر إلا أن الاسكيمو يعتقدون اعتقادا راسخا فيهم كما يعتقد الشامانون فى أنفسهم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتتسم نظرة الاسكيمو إلى العالم الطبيعى بانها نظرة بدائية للغاية فكل مظاهر الكون حتى الاحجار تمتلكها الارواح . وللحيوانات روح مثل الإنسان لذلك فالحيوان المذبوح يتخلف عنه شبح الذى يجب أن يعامل مثل شبح الإنسان ولعل من الأمور المتصلة بهذا الرأى الاعتقاد فى فاعلية الاحجبه وهى الأشياء التى يحتفظ بها الناس ضد السحر والشعوذه . وهناك عدد كبير من هذه الاحجنه بين مجموعات الاسكيمو تتعلق بمعتقدات بعينها . ويختلف الأفراد داخل المجموعة الواحده فيما بينهم وذلك بالنسبة لهذا المعتقد غير انهم جميعا يحملون عددا كبيرا من الاحجبة .

ونجد فى عالم الارواح هذا أن بعض المعتقدات أهم من البعض الآخر لان لها سيطرة على الأشياء التى تهم الناس فمثلا تعتبر سدنا « الهة البحر » أكثرها أهمية لا بمعنى أنها الآلهة التى ترأس جميع الآلهة الأخرى ولكنها فقط تتحكم فى البحر الذى يحتوى على جميع الموارد التى تهم الاسكيمو ولذا كان اهتمام الاسكيمو بها . ومن أكثر القصص شيوعا عن سدنا تلك القصة التى تحتوى على الاحداث التالية « كانت سدنا مجرد فتاة عادية تزوجت من أحد طيور البحر ورحلت معه فغضب والدها غضبا شديدا وخرج ليعيدها إلى بيته وحدث اثناء رحلة العودة أن انتقم الطائر منه بأن أثار عاصفه عرضت سفينته للخطر فاضطر الوالد إلى أن يلقى بأبنته من فوق ظهر السفينة حتى يوقف الطائر هبوب العاصفة . وأمسكت سدنا بجانب السفينة وقام والدها بقطع أطراف أصابعها فسقطت هذه الأجزاء من أصابعها فى البحر وأصبحت حيتانا، وعادت سدنا تمسك بالسفينة مرة أخرى ولكن والدها قطع جزءاً آخر من أصابعها لتصبح فيما بعد عجولا للبحر . أما الأجزاء المتبقيه من أصابعها فقد صارت بعد بترها الفقمة . وأخيراً

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هبطت سدنا إلى قـــاع البحر حيث اتخذته مسكناً وأصبح لها سلطة الحكم على الحيوانات البحرية وهى تشعر بغضب خاص نحو بنى الإنسان عندما يسيئون التصرف ويكون عقابها لهم بمنع حيوانات البحر منهم .

وفى بعض أجزاء منطقة الاسكيمو ولا سيما فى الاسكا يسيطر رجل القمر «moon man» على حيوانات الصيد ويقـوم الرجل المطبب بإرسال روحـه طائرة إلى القمر يستجدى ظهور حيوانات الصيد من أجل شعبه وتتحد الشمس طبقا كما تتجسد جميع الظواهر الطبيعية والشمس تعتبر فى بعض الاماكن فى مثل أهمية سدنا .

وللاسكيمو عدد كبير من القصص والخرافات التى انحدرت الينا عبر مئات السنين دون تغيير ، كما يتضح ذلك من أن بعض الخرافات مطابقة تماما للخرافات الاخرى عبر ٣٠٠ ميل على الساحل . وتعتبر بعض القصص مثل قصة سدنا امورا حقيقية من وجهة النظر التاريخية . فالقصص التى تصف أصل الناس وتاريخهم ينظر اليها على أنهـا الحقيقة . أما القصص الشعبية فهى تقص للترفيه ويسمح للقصاص أن يضيف اليها من الامور ما ليس صحيحا . والبعض يقص على انة أغانى دينيه وعلى العموم فإن القصص تروى للترفيه .

وبعض القصص قصيرة جدا ولعل من الافضل تسميتها بالقصائد وذلك لان شكلها ونبرات كلماتها تبدو وكأنها خرافية ، كما أن الغناء من أساليب الترفيه المحببة وهو عادة ما يؤديه فـرد امام مجموعة من الناس ينشدون أو يترنمون بقصة قد ابتكرها بنفسه وهو اداء ينقصه التنغيم ولكنه إيقاع فى المقام الاول ويصاحبـه آلة موسيقية وهى المعروفة باسم التامبورين Tamdourine وهى الآلة الوحيده التى يعرفهـا الاسكيمو . ويتحرك المغنيون فى إطار تقليدى.

ويتكون فنه من مهارته فى رواية قصه فى حدود هذا الإطار . وكثيراً ما تقام المسابقات الغنائية التى يحدد فيها المستمعون المغنى الفائز، وفى بعض الجهات يكون حسم النزاع بين شخصين عن طريق التنافس الغنائى.ويقوم المستمعون بعد ذلك بدور المحلفين .

وقد تعرضت حضارة الإسكيمو فى المناطق الكندية والمناطق الوسطى لفترة من الفقر الشديد منذ مرحلة جماعات جزر تول Thule وقد اعبت مراكب صيد الحيتان التابعه لكثير من الشعوب الأوربية دوراً كبيراً فى إلحاق الفقر بالإسكيمو ولكن سبق ذلك الفقر لكن المستمر الذى أحدثه الإرتفاع البطىء فى الأرض الذى غير عمق الممرات المائية بدرجة أدت إلى عدم اقتراب الحيتان من مناطق استيطان الإسكيمو .

ومنذ اتصال الإسكيمو بالرجل الأبيض فقد تعرضوا لكثير من المتاعب التى يعرفها البدائيون فمثلا تعرضوا الأمراض الأوربين مثل البرد العادى والسل والأنفلونزا والحصبة والجدرى وغيرها من الامراض التى أبتلى بها الشعب . وكان أول من تعرض لهذه الأمور وبشكل واضح إسكيموا ألاسكا ذلك لان التطور الإقتصادى وتغلغل الرجل الأبيض منذ الفترة التى اندفع فيها للبحث عن الذهب مبتعداً عن المناطق الكندية أدى إلى تأثر جميع الإسكيمو بهذه الامراض فحيثما وجد الإسكيمو ولو بأعداد قليلة حيث تمارس بيع الفراء أو القيام بالأعمال اليومية فقد أظهروا اهتماماً متزايداً للطباق والسكر والدقيق والشاى واللبن وأصبحت أطعمتهم الوطنية التى يعدونها بالطريقة الخاصة بهم أكثر اتزاناً من حيث قيمتها الغذائية، ولكن استخدام السكر والدقيق قد أخل بنظام تغذيتهم وأصبح الجميع يشكون من اضطرابات فى التغذية مثل سقوط الأسنان والإضطرابات

الجلدة والمعدنية والمعوية. وأصبح البندقية الحديثة أمراً عادياً وإن كان ماترتب على استخدامها وصل إلى درجة الخطورة فقد أوشكت قطعان الكاريبو والثيران الموسكية على الإنقراض فلم تعد مصدراً يعتمد عليه كغذاء صيفي . وفي بعض مناطق الإسكيمو أصبح التاجر هو الحاكم المستبد المستغل وإن كان أحياناً حاكماً خيراً . ويحصل الإسكيمو على النقد عن طريق بيع الغذاء والإتجار به . وقد يحصل أحياناً على بندقية أو عدد من الطلقات النارية أو أقمشة للخيمة أو مخرز من من الصلب أو السكاكين والبلط وذلك ثمناً لفرائهم . ولكي يحصل الإسكيمو على الحيوانات ذات الفراء معظم الوقت كان عليهم أن يستغنى عن عمليات الصيد من أجل الطعام وبذلك أصبح اقتصادهم اقتصاداً نقدياً حتى يستطيع أن يشترى ما يحتاج إليه من طعام . ويتميز الاسكيمو بصفة الصداقة الحقة فهم شعب منفتح كثير الثقة بالآخرين . وفي ألاسكا بالرغم من الاستغلال الذى يتعرضون له عاما بعد عام فإنهم عن طريق الهيئات الحكومية والمدارس يمكن أن يكونوا على اتصال بالعالم دون أن يؤدى ذلك إلى القضاء عليهم . وفي المناطق القطبية الوسطى لم يتعرض الكثير منهم إلى تأثير المدينة الحديثة تأثراً كاملا ولكن أغلب الظن أن ذلك سوف يحدث في القريب العاجل ، وكما سبق لنا الاشارة ليس في وسعك إلا أن تحب الاسكيمو .. ولكن هذا لا يرفع أيدى الرجل الأبيض عن حدود بلادهم وعن استغلالهم استغلالا بالجملة ويقدر تعداد سكان الاسكيمو بحوالى ٣٩ ألف نسمة يعيش ١٠ ألف منهم في كندا ، ومن المحتمل أن عددهم كان ضعف ذلك من قبل . ففي جرينلند اختلط الاسكيمو بالرجل الأبيض وهى دانماركى في أغلب الأحيان ، أما في ألاسكا فإن اختلاط الاسكيمو كان بالرجل

الأبيض والهنود. أما فى المنطقة القطبية الوسطى فما زال الاسكيمو محتفظا بنقاوته معظم الوقت ولكن الأثر الحضارى والاختلاط السلالى عملية مستمرة واذا ما استمر توسع الاقتصاد الكندى فإننا نتوقع أن يتزايد غزو الرجل الابيض لمناطق الاسكيمو .

مراجع الباب الاول

1 — Bird, J., antiquity and Migration of the early inhabitants of Patagonia, Geogeaphical Review, Vol 28, No. 2, 1938

2 — Bridges, E.L., Uttermost part of the earth, N.Y, 1949.

3 — Cooper, J.M, Temporal sequence and the marginal Cultures anthropalogical peries, Catholic Uinuersity of amerıca, No 16, 1941.

4 — Darwin, C., Charles Darwin and the Voyage of Beagle, N.Y., 1946.

5 — Lothrop, S.K, The indians of Tierra del Fuego, Museum of the americcn Andian, Neye Foundation, Vol. 10, N.Y, 1928.

6 Service, E.R., Aprofile of primitive culture, N.Y, 1958.

7 — Man, E.H, on the aberiginal inhabitants of the Andaman islands, london, 1935.

8 — Mouat, F.J., adventures and researches amoug the Andaman islanders, Londar, 1863.

9 — Radcliffe-Broun, A.R., The Andman islanders, Glencoe, III 1948.

10 — Birket-Smith, K., The Eskinos N Y. 1936

11 — Mowat, F., people of the Deer, Bostrn, 1952.

12 — Weyer, E M., The Eskimos. New Haven, 1932.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الثاني

القبائل البدائية

- الجيفارو
- التانجوس
- الشين
- النوير
- تاهيتى بولينزيا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قبائل الجيفارو

JIVARO

قبيلة الجيفارو فى امريكا الجنوبية

يمثل حوض الأمازون واحدا من أكثر السهول الرسوبية اتساعا فى العالم ، كما أنه يمثل أكبر منطقة من غابات الأمطار الاستوائية فى العالم ، إذ يشتمل على مساحة تقرب من مساحة أوربا كلها . فالمسافة من الأراضى المرتفعة فى شرق البرازيل وعبر المنخفضات ، حتى سفوح جبال الآنديز فى طرف القارة الغربى تبلغ أكثر من مائتى ألف ميل . كما أن غابة الأمازون هى واحدة من أكثر مناطق العالم المسبوطنة تخلخلا . وعلى هذا يمكن أن نعتبرها أراضى صحراوية وإن كانت تبدو ، كما حدث لعدد من الرحالة الذين زاروها ، أنها أراضى شديدة الخصوبة. ويبدو أن النبات الذى اندثر قد كون طبقا لينة من التربة ، فالمطر وفير وتدل الأشجار التى تنمو هناك بكثافة على أن الأرض بهـــا امكانية كبيرة للزراعة . وبرغم حقيقة أن غموض الغابة قد أثار قدراً كبيرا من الاهتمام ، فان هناك عدداً كبيراً من الأساطير والمعلومات الخاطئة عنها أكثر من أى منطقة أخرى من العالم .

أول هذه المعلومات الخاطئة هو أن التربة غنية وخصبة فان التربة ليست غنية بموادها العضوية ، فهى شديدة الفقر لكثير من الزراعات . وإن كانت الأشجار تنمو بكثافة ، فانها تنمو بسبب المياه الجوفية أكثر منها بسبب نوعية التربة . والتربة الاستوائية شديدة الفقر فى الأملاح المعدنية فالاملاح المعدنية والمواد العضوية تتأكل بسرعه بفعل تكاثف المناخ الاستوائى وترشيح مياه الامطـــار والميزة الوحيدة للغابة المطيرة هى لين تربتها ، فالناس البدائيون الذين لا يملكون إلا عصيهم المدببة وهى نوع من العصى المعقونه كأداة للزراعة يستطيعون أن يحرثوا هذه الأرض اللينة بها بينما تظل السهول . الخصبة المليئة بالاعشاب أبيه على جهودهم.

وثانى المفاهيم الخاطئة عن الأمازون هو ، أن درجة الحرارة فيها مرتفعة بشكل لايطاق . فان موجة من موجات الحرارة التى تهب على ولاية من الولايات الشمالية للولايات المتحدة تصل فى حرارتها درجة أكثر ارتفاعا بالفعل عما نجده فى الأمازون . فنادراً ما تصل درجة الحرارة فى الغابة إلى ٩٠ ° درجة ، رغم أن خط الاستواء يمر بمنتصف المنطقة تماما . وأما أكثر الاثار المحوظة لخط العرض (بالنسبة لأحد الأمريكيين الشماليين) هو الملل . فالفرق بين درجة الحرارة ما بين الفجر والظهيرة فى أى يوم لايزيد عن ٢٥° ، وإن كان هذا الفرق أكبر منه بين فصل وآخر . ولعل مايفزع له الغريب فى الأمازون أكثر هو الارتفاع الزائد فى درجة الرطوبة وكمية المطر الغزير ، فالحرارة يمكن تحملها ، ولكن المطر الغزير . لايدعو للسعادة كما يقول الأمريكيون الشماليون . وأما فى منطقة خط الاستواء فالمطر يأتى فجأة فى دفعة سريعةقويه يتبعها صفاء سريع بنفس الدرجة . ولكن هذا لايحدث الا نهارا ، وأما الليالى فصافيه براقة عادة .

وهناك مفهومان خاطئان شائعان عن « الغابة » . أحدهما أن هناك وفرة فى الحيوانات الكبيرة حيث « يطيب الصيد » . ولكن غابة الأمـــازون فقيرة فى الحيوانات البريه الكبيرة عموما . ونحن ندرك أن هناك حيوانات تعيش فى قطعان كما أن هناك القرود وأنواعا كثيرة مـــن الطيور والحشرات ، ولكن كل ذلك يعش فى قمم الأشجار كلية تقريبا .

ومصدر الطعام لهذه الحيوانات البرية هو الأنهار التى تعج بالإسماك والسلاحف كما نجد فى الانهار الكبيرة ثدييات المياه العذبة . ولهذا يتركز معظم سكان الأمازون الدائمين حول هذه الأنهار .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وهناك مفهوم خاطىء آخر وهو أن المنطقة غابة مـــن الأشجار والكروم والنباتات والشجيرات لا يمكن دخولها. وفى الواقع فان النبات ينمو بكثافة فى أعلى قمة للغابة والتى تكثف فيها فروع الأشجار بكثافة شديدة وأما أسفل هذا حيث يعيش الانسان فان صمتا كصمت القبور يلف المكان . ويؤدى غياب ضوء الشمس إلى عدم نمو النبات فى باطن الغابة بكثافة ثم نجد الأحراش على طول الأنهار وفى المناطق المكشوفة نوعا حيث يصل ضوء الشمس ويساعد النبات على النمو .

ويؤدى عدم وجود أعشاب وشجيرات إلى ندرة الحيوانات التى تتغذى على الأعشاب وإلى ندرة الحيوانات المتوحشة التى تعيش على تلك الحيوانات .

وقبائل الغابة الاستوائية تملك عـــددا متنوعا مذهلا من اللغات البسيطة ، ولكنها متماثلة ثقافيا وبدنيا . فهم يتفقون مع السمات الجنسية العامـــة للهنود الأمريكيين ، ولكنهم أقصر قليلا من هنود أمريكا الشمالية أو الجنوبية ، إذ أن متوسط طول الذكور هو خمس أقدام وأربع بوصات .

وهنود الأمازون يعتمدون بصفة أساسية على المحاصيل الزراعية بينما يعتمد هنود السهول على اللحم ، الأمر الذى يقوى الفارق فى الشكل . ولا يقل التماثل الثقافى على حوض الامازون عن التماثل البيئى عليه . فالفارق البيئى الوحيد هو وضع القبائل بالنسبة لاماكن الصيد الغنية . وكلما ضاق نهر الأمازون وروافـده عند حدود الحوض المرتفعة ، فان الثقافة المميزة للبلاد المنخفضة تتلاشى أكثر فأكثر .

ويسمى المتحدر الشرقى لجبال الأنديز ، فى المنطقة التى تقع فى اكوادور بيرو باسم « مونتانا » . وهى منطقة استوائية شبيهه لمنطقة الامازون تماما ، ولكن فيها أصغر وأكثر سرعة ، مما يجعل الإبحار فيها أصعب حيث تعرى التربة وتفصل الإرض عن بعضها . وهذه المنطقة يصعب الوصول إلينا ، ولذلك فان القبائل

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

التى تعيش فيها لم يزعجها الأوربيون كما أزعجوا تلك القبائل التى تعيش فى مناطق يمكن الوصول إليها أكثر .

وقبائل « الجيفارو » نموذج لقبائل مونتانا ، ولاتختلف عن قبائل الأمازون عامة الافى سمات قليلة ثانوية . وهى جماعة معروفة جيدا ، لأن عادتهم الشهيرة فى تقليص الرؤوس البشرية وحفظها قد أثارت خيال الأوربيين كما أظهرت كما هائلا من الكتابات العلمية والصحفية عنهم . ولكن تقليص الرؤوس ليست عادة خاصة بهم وحدهم على كل حال وإنما لأنهم شعب احتفظ بحكم انغلاقه على نفسه بعادة قديمة كانت شائعة يوما ما فى الغرب الشمالى لأمريكا الجنوبية . وطريقة إعداد الرؤوس التذكارية ليست سرا مبهما كما هو شائع فهى معرفة منذ قرون طويلة ولايحاول الجيفارو اخفاءها .

وتكون وقبائل الجيفارو وحدة ثقافية ولغوية تشتمل على ٢٠ ألف شخص. وليست هناك وحدة سياسية شاملة ولكن هناك إحساس مشترك أن « الشوارا » (كما يسمون أنفسهم) يتميزون عن الشعوب الأخرى . ولغتهم لاتشبه أى لغة أخرى .

وهناك أربعة أقسام رئيسية للجيفارو وذلك طبقا لتوزيعهم الجغرافى ، ولكن حتى فى داخل هذه الأقسام هناك جماعات صغيرة مستقلة تنتقل فى مجال يتركز حول جدول ماء يعتبرونه ملكهم . وهذه الجماعات لاتكف عن شحن الحرب إما على بعضها أو على أى غريب يهددهم. ولم تستطع امبراطورية الانكا صاحبة الأرض الأصلية أن تقهرهم أبدا كما لم يتمكن البيض طوال أربعمائة عام من ذلك « فالجيفارو لايبدو عليهم الاستسلام أو التواضع ، فعلى عكس الهندى المتحضر هق يعشقون الحرية ولا يستطيعون أن يطبقوا أى نوع من الاذلال » .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وغذاء الجيفاوو الرئيسى هو محاصيل الحدائق التى يزرعها النساء . ولكن صيد السمك وصيد الحيوانات البرية يوفر لهم غذاء شهياً على كل حال ، ويقضى الرجال وقتاً كبيراً في الصيد . والقرود والطيور هى صيدهم الرئيسى ، إذ تكثر هذه بوفرة ويحبون القرود لطعمها الشهى . والبقريات أيضاً تمثل طعاما مرغوبا ولكن صيدها خطر لأنها مفترسة كما أنها تسير فى قطعان وتهاجم جماعة .

والطريقة المتبعة فى الصيد الجماعى . فهم يستثيرون الحيوانات كى تهاجم ، ويختفى الرجال فى فروع الأشجار الكبيرة حيث يطلقوا النار أو يطعنوا برماحهم الحيوانات التى تفر فزعة .

وأسلحة الجيفارو فى الصيد هى بندقية الفخ ، والرمح ، وفى العصور الحديثة عرفوا البنادق الرخيصة كذلك . ولكن بندقية النفخ هى أكثر الأسلحة قيمة ، وبصفة خاصة لصيد القرود والطيور فى أعماق الغابة . وهذا السلاح البديع يتكون من أنبوبة مفرغة طولها يتراوح من عشرة إلى خمسة عشر قدما . يمكن أن يدفع منها سهم مسموم بواسطة نفس قوى فينطلق حتى خمسة وأربعين ياردة والجيفارو هم من أبرع صيادى بنادق النفخ فى أمريكا الجنوبية كما أن صيتهم ذائع فى صنع هذا السلاح .

والمشكلة الأساسية فى صنع بندقية نفخ هى فى صنع ماسورة مستقيمه وناعمة الملمس تماما . وهم يحلون هذه المشكلة بطريقة زكية فالصانع يقطع جزءا من شجرة الشونت ، وهو نوع من الخشب معروف بصلابته واستقامته ، حسب المقاس المطلوب . ثم تقطع شرحتان من هذا الخشب ، كل منها تبلغ بوصتين فى العرض ، وتعالجان بالفارة جيدا حتى تستقيما . ويترك أحد جانبى كل شرحة مسطحا والآخر مستديرا حتى يكون الجانبان المسطحان طرفا مستديرا حين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يوضعان معاً ، ويستدق طرفها فى بوصة مربع البوصة من ناحية وثلاثة أرباع البوصة من الناحية الأخرى . ثم يعالج عود أخر من الشونتا بالفارة ويصبح ناعم الملمس بمقاس ربع البوصة ، وهو طول الماسورة التى ستوضع للبندقية . ثم يكشط الجانبان المسطحان لشقتى بندقية النفخ حتى يكونان منيما أقصر بقليل من الماسورة . وأخيرا توضع الماسورة بين الشقتين وتربط . ويصب الرمل الناعم والماء بين الماسورة والشقتين وتحرك الماسورة للأمام والخلف حتى ينعم المنيمان بالقدر الذى يجعل الشقتين يقفلان على الماسورة . حينئذ يمكن أن يخرج الماسورة وتلصق الشقتان معا وتعمقان بعصاره الشجر المذابة . ثم يثبت مخ من العظم فى نهاية الطرف الأطول .

ويصنع سهم بندقية النفخ من الضلع الأوسط لسعف النخل ، وهو فى طول الذراع وسمك عود الكبريت . ويغطى طرفه المدبب بالسم ويربط فى طرفه الغليظ قطعة من القماش المأخوذ من شجرة القطن الحريرى . وتختلف قسوة السهم حسب حجم الحيوان وموضع الجرح . فالقرود تعيش نصف ساعة بعد الاصابة ولكن الطيور الكبيرة لاتستطيع . والسهم صغير وخفيف حتى أن بندقية النفخ ستكون بلا جدوى بدون سم زعاف .

وبندقية النفخ لاتستخدم فى الحروب . فالهنود يعتقدون أنها تجلب الحظ السيء إذا استخدمت ضد الإنسان ، ولكن يمكن أن يكون السبب هو أن السهم لن يكون مؤثرا بالنسبة لحجم الانسان كما أن الانسان سينزع السهم من جسم سريعا لأنه يدرك خطره أو الاسلحة التقليدية فى الحرب فهى الرمح والدرع والاسلحة النارية فى العصور الحديثة . كما يبدو أن الجيفارو قد استخدموا فى وقت من الاوقات القوس والنبل ورامى الرمح ، ولكنهم حين عرفوا بندقية النفخ فى القرن السابع عشر فانهم هجروا السلاحين الاخرين .

وإذا كان الهنود يعيشون على جدول ماء كبير فانهم يستخدمون حيلا كثيره لصيد السمك. فحين يكون الماء منخفضا فانهم يقيمون سدادا يترون فوقه عصاره سامة من شجيرة خاصة بذلك . وحين تسرى عصاره السم فى الماء فان السمك يهرع إلى سطح الماء فزعا فيجمعه القرويون المنتظرون. كما يصيدون السمك أحيانا بشباك ومصائد بدائية، أو بواسطة الرمح .فى الانهار الواسعة يمكن أن يصيدوا خروف البحر والدلفين بالرمح . كما أن الزواحف الضخمة مثـــل الكيوس والسلاحف والاسلة العاصرة والانا كندة تكثر فى بعض المناطق وتوفر للهنود غذاء حين لايجدون ما هو أشهى منها . كما أنهم يستسيغون كثيرا من الحشرات والديدان والضفادع والعقارب والثعابين . وأما عسل النحل فهو سيد الطعام عندهم ، مثل كثير من الفواكه البرية .وحين يصيدوا الطيور آكلة الحب أوالفاكهة فانهم يلتهمون ما فى بطونه فورا .

ولكن غذاءهم اليومى الذى يعيش عليه الجيفارو هو ما تنتجه الحدائق على كل حال . وأهم ما يأكله الجيفارو، مثلهم مثل بقية سكان الامازون ، هوجذور المنيهوت الغنية بالنشا وهى تشبه الجزر الابيض فى الشكل والمضمون . والجيفارو يصنعونه دقيقا كما يفعل بقية الامازونيين ولكن لان المنيهوت عندهم غير سام كما هوالحال عند بقية الامازونيين فانهم لايحتاجون إلا تطيير السم منه. والمنيهوت يستخدم عامة من أجل شراب يسمى « ينجانش » ويعده النساء والفتيات بمضغ ملأ أفواههن ووضعه فى برميل كبير ليتخمر تخمرا بسيطا .

ويزرع الجيفارو الذرة والبطاطا والقرع والكمثرى . وهم يبذرون الموز أوأذان الجدى والببايا ولكنهم لايرعونها كثيرا . وهم يقطفون الموز وآذان الجدى غير ناضجة ويعدونها الأكل إما بسلقها أو بشيها . والقطن والدخان هما

أهم ما يزرعونه لغير الاكل . وهم يدفنون الدخـــان فى شكل سيجار، ولكنه يحول إلى عصير كذلك يدفع إلى الانف بواسطة أداة معـــدة لذلك . وزراعة الحدائق وتنقيتها وحصد محصولها كل ذلك من عمل النساء وحدهن، ولا يستخدمن فى زراعتها أكثر من عصا حفر بسيطة .

وأما اعداد حديقة وموقع للبيت داخل الغابة فانه عمل من أعمال الرجال وهو يتم بطريقة القطع والحرق السائدة فى المناطق الاستوائية . وتحتاج الاشجار الضخمة التى عادة من تكون من خشب صلب ، إلى جهد شاق فى قطعها . يبدأ الرجل أولا بإزالة النباتات المحيطة بالشجرة ثم يحز الاشجار الصغيرة حتى تضعف وتسقط فور سقوط الشجرة الكبيرة فوقها . ثم يأخذ عدد كبير من الرجال فى محاولة قطع الاشجار المعلاقة وقبل معرفة الفؤوس الصلب لم تكن الاشجار الضخمة تقطع فعـــلا دائما فكانوا يظلون يضربونها بالفؤوس الحجرية البدائية وأحيانا ما يستغرق قطع واحده من هذه الاشجار المعلاقة لصلبة أسابيع طويلة حتى تستطيع مجموعة من الرجال اسقاطها .

وما أن تجثث الأشجار وتقطع حتى تسحب مـــع كل الشجيرات الاخرى الصغيرة الموجودة بالمنطقة حيث تجمع مع بعضها على هيئة حزم . وما أن تقطع الأشجار حتى يفر الهنود بحياتهم وذلك خوفا من النمـــل والعقارب والثعابين والزواحف التى تملأ المنطقة .

وقد تترك الأشجار والحشائش لعدة أشهر فى الفصل الجاف حيث تحرق بعد ذلك ليقوم الهندى بزراعة محصوله وبناء بيته فى نفس المنطقة .

وقد يمتلك بعض الجيفارو منطقتين أو ثلاث مناطق يقومون بزراعتها فى وقت واحد غير أن حاصلتها تظهر فى أوقات مختلفة من السنة . وفى هـذه الحالة

يرتبط إقامتهم فى أحد القطع بمقدار كمية إنتاجها . وقد تستمر زراعة القطعة الكبيرة خمس أو ست سنوات قبل أن تفقد خصوبتها ويتحتم على صاحبها أن ينتقل إلى قطعة جديدة ليطهرها ويزرعها .

وفى العادة يقام منزل واحد كبير فى الأرض المطهرة أو القطعة حيث يأخذ الشكل البيضاوى بارتفاع بين ٤٠ و ٨٠ قدم . وحيث يستخدم الزحف والأخشاب فى البناء . ويعيش فى المنزل الواحد عدد من الأسر التى تربط القرابة بينهم وفى نهاية المنزل أوفى أحد أطرافه يوجد مايشبه المصطبة أوالرصيف المصنوع من البامبو يستخدم كسرير ينام عليه الرجال . أما النساء فترقدن فى الطرف الآخر من المنزل حيث توجد أسرة مشابهة للرجال غير انها منفصلة عن بعضها بواسطة البامبو وذلك لكى تعطى خصوصية اكثر لهم . وينام الأطفال فى الجزء الخاص بالنساء بينما يذهب الأولاد إذا مابلغت أعمارهم سبع سنوات إلى مضاجع الآباء.

ويتم طهو الطعام بواسطة النساء فى مكان خصص لذلك بالقرب من مكان إقامة النساء فى الكوخ . وطبق الطعام المعتاد لدى الجينارو يتكون من الفلفل الى المطهى . وتستخدم الأفران الخشبية فى شوى الذرة كى تقوم النساء فى بعض الأحياء بصناعة أنواع مختلفة من الفخار .

ويقضى الرجال وقت فراغهم فى غزل خيوط القطن ونسج الملابس وهما من أعمال النساء فى كثير من قبائل الهنود الامريكين . والانوال صغيرة رأسية تقريبا وينتج بها قطع دائرية من القماش . وقد يصبغ القماش باللون البنى بواسطة أصباغ من الخضر . ويرتدى الرجال قمصان طويلة حتى الركبة بينما ترتدى النساء قطعة مربعة كبيرة من القماش والتى تلف بها جسدها بطريقة من شأنها أن الطرفين العلوين من القماش يشبكا سويا على الكتف الأيمن فى حين يترك الكتف الأيسر عاريا .

ويهتم الجيفارو بمظهرهم الشخصى ويلجأ الرجال للتزين مثل النساء حيث تترك الشعور طويلة ولا تقص إلا فوق الحواجب . وتترك النساء شعورهن فى العادة دون عمل ضفائر بينما يقوم الرجال بجمع شعورهم خلف الرأس .

ويرتدى كل من الرجال والنساء حلقات من البامبو فى اذانهم كما تصنع الفتيات فى الشفة السفلى ما يشبه الحلق . وتصنع العقود والاساور والأحزمة من الأصداف والاسنان والبذور وعظام الطيور ويرتديها كل من الجنسين . وقد يرتدى الرجال فى بعض الأحيان نوعا من النيجان المصنوعة من الريش . كذلك قد يرتدى الرجال أحزمة صنعت من شعر أحد أبطال الجيفارو الذين قتلوا فى المعارك . والغرض من ذلك هو تقمص المحارب لبعض صفات ومؤهلات البطل المنتصر ويدهن الرجال والنساء وجوههم وبعض أجزاء من اذرعهم حتى اكتافهم بلون أحمر زيتى صنع من حبوب بعض النباتات مثل Achiote . أما عصير نبات الجنيبا فيستخدم لطلاء اللون الأسود والذى يستخدم فى العادة فوق اللون الأحمر فى سلسلة من الرسوم .

ويعتبر الجيفارو من أكثر القبائل التى تقطن حوض الأمزون غير أنهم ينتشرون على مساحة كبيرة من الأرض بحيث تكون المجموعات المحلية مجموعات مكتفة ذاتيا تماما . وكل مجموعة أى الجيفارو مستقلة على الرغم من أن تحالف قد يحدث بين عدد من الجيفارو الموجودين فى المنطقة . وتتكون مثل هذه الأحلاف لأغراض الحرب . وأقرب الأشخاص فى المجتمع لرئيس القبيلة هو قائد الحرب الذى يطلق عليه اسم كوراكا Curaka والذى له سلطة القيادة إبان الحروب والأزمات وليس له من سلطة غير مقدرته الشخصية على قيادة بقية زملائه . كما يوجد هناك اتجاه بين عدد من الجماعات إلى التجمع تحت رابطة الدم وذلك

لأن حكم مجتمع يعتمد على التزاوج المحلى يتطلب ألا يسمح للرجل بالزواج من زوجه خارج قريته . ومن ثم فيوجد داخل القبيله مجموعات طبيعية غير ان التعاون بينها محدود للغاية وقاصر على مقاومة استغلال أو تسلط مجموعة أخرى تعيش خارج حدودهم .

ويعتبر الجيفارو منذ فترة طويله بانهم من أكثر قبائل أمريكا الجنوبية ميلا للقتال . فالشكل العام للحرب يمثل سلسله لا تنتهى من الانتقام وأخذ الثأر بين المجموعات غير المتقاربة للقبائل الجيفارو . أما العمل العدائى ضد جماعات غير الجيفارو فنادر ويعتمد على غزوات الغرباء النادرة أو المتناثرة والتى تنفق على دخولهم إلى حدود أراضيهم . ففى هذه الحالة يتحد الجيفارو مع بعضهم وتوضع الخطط وتكون حربا يسفك فيها الكثير من الدماء .

وأكبر طموح لرجل الجيفارو أن ينصب محارب حيث يكتسب هذا المركز عن طريق جمع أكبر عدد من الرؤوس التى يقتلها .

وكقاعدة عامة ، تنحصر غارة الجيفارو فى الأمور الخطيرة . فبعد أن تقرر الجماعه سن الغارة وتقيم احتفالات راقصة طوال الليل لأعداد المحاربين ترسل مبعوثا إلى معسكر العدو لتحذيرهم وتنذرهم بقدوم الغارة حتى يكونوا مستعدين . ويرسل هذا التحذير رغم أن كل الخطط التى توضع فى هذا الشأن يراعى فيها أن يأخذ فيها العدو على غره .

وفى حالة الحـــرب ضد البعض أو جماعات لا تنتمى إلى قبائل الجيفارو لا يراعى اراسل مثل هـذا التحذير وتبذل كل محاولة لتقهقر وابادة المعتدين . وفى الغـارات الدموية الناجحة يقتـل الرجال والمسنين أما النسـاء الصغيرات

والأطفال فيأخذوا فى العادة كأسرى . ثم يدمجوا بعد ذلك فى المجموعة الغازية ليصبحوا زوجات أو يتبنوا كأبناء وبنات . وقلما يحاول الأسير الفرار .

والغرض الأساسى من الغارة هو جمع رؤوس المحاربين الأعداء فمجرد أن تنتهى المعركة يمكف كل محارب على قطع رؤوس هؤلاء الذين قتلهم . وأخيراً بعد أن ترحل الجماعة المحاربة إلى مكان أمين يقيمون مخيمها ومن ثم يبدأون فى سلخ فروة الرأس . والتى تسمى باسم **Tsantas** . ويأخذ جلد الرأس بعد ذلك لغليها عدة ساعات إلى أن تنكمش ويصبح حجمها حوالى ½ حجمها الأصلى. يوضع بعد ذلك أحجار ساخنة أو رمال داخل الرأس لإكمال عمليات التقلص والتجفيف . وأخيراً تدخن الرأس لمدة ثمان ساعات وذلك لكى تحفظ كما يلمع جلد الوجه . وحينما يصل المحارب إلى قومه حاملا معه التسانتساس **Tsantsas** وهى علامة النصر الكبير تقام حلقة رقص حول تلك الرؤوس وعلى النقيض من عادات عديد من قبائل الأمزون المحاربة لا يضحى بالأسرى ولا يأكلوا .

وتبذل كل المجموعات مجهودات كبيرة فى التعاون للحماية ضد الغزوات أو الهجوم المفاجىء حيث تقرع الطبول فى دقات معينة لجمع الجيران كما أن الإقتراب من القرية يكون مصحوبا بوضع المناريس والفخاخ . ويحاط المنزل الرئيسى دائماً بسور متعرج من الألواح الخشبية كما تحفر انفاق للهرب تبدأ من المنزل وتقود إلى ضفة النهر إذا كان قريباً . ولا بد للزائر الغريب أن يمضى بضعة ساعات قبل أن يقترب من قبائل الجيفارو حيث تطلق المجموعة المقتربة عدد من الطلقات النارية والصيحات لا تعطى إنذارا بوجودهم وبعد ذلك تستعد المجموعة المضيفة للاستقبال وللترحيب بالزوا . وإذا لم ترعى أصول الأعلام من قبل المجموعة المقتربة فربما يتعرض الزوار للهجوم من قبل بعض الأفراد .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد ترتب على استمرار الحروب سيادة المرأة فى مجتمع الجيفارو ومن ثم سيادة نظام تعدد الزوجات . فالشاب عادة ما يتزوج الزوجة الأولى من أبناء عمومته من القرى الصديقة المجاورة غير أن الزوجات الأخريات يحصل عليهم عن طريق الأسر أو الإغارة وأحيانا تشترى فتاة غير بالغة من أبيها أو من أخيها وفى العادة لا يرغب الرجل المرأة التى لا تبادله العاطفة ولذا فالمعرفة بين الرجل والمرأة ضرورية قبل أن يحدث الزواج . ولكن الزوجة تزور عائلتها باستمرار ، كما أن لرجل وحماه وحماته وكذلك الزوجة ووالدى زوجها فجميعهم يحترموا قواعد الآداب والعادات التى تنتشر فى العالم البدائى .

سبب آخر لتعدد الزوجات وهو ممارسة العادة اليهودية المتضمنة أن يتزوج الأخ زوجة أخيه المتوفى ، كما عليه أيضاً رعاية أطفاله . وليس هناك إجبار على الزوجة أن تتزوج شقيق زوجها ولكن فى العادة تتزوجه .

ويجب ألا يأخذ نظام تعدد الزوجات على أن المرأة تعيسة فى المجتمع الجيفارى حيث نجد أن هناك رابطة عاطفية قوية تربط بين الأزواج والزوجات حتى بالنسبة للفتيات غير الناضجات والمشترات لأزواجهم والغيرة بين زوجات الرجل نادرة وتتكون الأسرة التقليدية للجيفارو من رجل كبير وزوجة تقربه فى سنه وأخرى يتراوح عمرها بين ١٦ و ٢٠ سنة وثالثة طفلة غير ناضجة ويربط هذه النسوة رابطة حب قوية حيث يتحمل كل منهم الواجبات الزوجية بالتساوى. وطبيعة العاطفة للنسوة الثلاثة مختلفة باختلاف أعمارهن ولذا فالخلاف بينهم ليس بذى قيمة .

وعلى الرغم من أن أى مجموعة من الأقارب تكون شديدة الريبة والشك وقوية البأس ضد الأغراب إلا أن الصداقة والعاطفة تسود بين أفرادها . وهنا

يركز الإهتمام على كرم الجيفـــارو وحسن ضيافتهم وسلوكهم الطيب . وقبائل الجيفارو مثلهم مثل معظم هنود أمريكا مغرمين بالغناء وبالآلات الموسيقية . ومن ثم فيصاحب الرقص والحفلات عادة مجموعة غنائية كما يستدعى غالباً المغنيين المشهورين للأداء المنفرد فى هذه الحفلات. ويوجد عديد من الأغانى فمنها للحب ومنها للحرب أو العويل وما إلى ذلك ويلعب الرجال على مزامير مختلفة صنعت من البامبو وذلك فى المنـــاسبات الحزينة أو المفرحة . أما الطبول فتصنع من جلود ثعابين ضخمة وهى تستخدم فى العادة للإشارات وليس كأدوات موسيقية . كذلك يستعمل النفير الطويل فى الإشارات ولكن يستعمل أيضـــاً فى حفلات الرقص ، كما تستخدم طبول دائرية صغيرة يصل طولها عشر بوصات فى مناسبات الرقص . وأغرب الآلات الموسيقية المستخدمة عند الجيفارو كان بدائية صغيرة تعرف بإسم كوركور querquer يصنع صندوق الصوت فيها من أخشاب الأرز ولها وتران يتردد منهما الأنغام . ويتم العزف عليهـــا بواسطة قوس صغير به شريط من الروطان . ولا يعزف بهذه الآلة إلا حينما يكون العازف منفرداً فى بيته أو حين يستدعى فى المناسبات الحزينة . والموسيقى الصادرة من هذه الآلة تتسم بالحزن الشديد كذلك يبكى العازف أثناء عزفه .

والجيفارو مولع بالاطفـــال ومن ثم ينظر للزواج على أنه وسيلة لإنجاب الأطفـال ولذا فالمرأة العاقر تهجر لهذا السبب . وحينما تحمل المرأة ولا سيما إذا كانت للمرة الأولى فإن زوجها وجميع الأقارب يتوددون إليها ويعاملونها بلطف ، وإذا ماجاء وقت المخاض تعطى مشروبا يحتوى على مسحوق من العشب وذلك تخفيفاً من آلام الوضع . وتتم الولادة والام جالسة أو نصف واقفة . وبعد الولادة تأخذ الام والطفل للاستحمام فى النهر ومن ثم تبدأ الام فى أن تستأنف واجباتها الخفيفة .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وإلى أن يتمكن الطفل من السير يبعده الاب عن اللحم الحيوانى وبعض النباتات وذلك خوفاً على روح الطفل . ولا يأتى الاب إلى سرير الطفل فى أى وقت على الرغم من أن هذه العادة والتى تعرف اسم كوفادى cowvade سائدة فى القبائل المجاورة كما أنها توجد فى مناطق متعددة من العالم ومن بينها منطقة الباسك بأسبانيا .

ويعطى كل الكبار فى هذا المجتمع جل اهتمامهم للأطفال الذين لهم حرية كبيرة ولا يعاقبوا إلا نادرا ، ومن ثم فهم مثل بقية أطفال العالم البدائى ينشئون على احترام وإجلال الكبار . وحينما ينموا الاطفال تعتنى الفتيات معظم وقتهن مع النســـاء لتتعلمن كل الأمور التى سوف تعهد إليهن عند النضج . أما الصبية فيرافقوا الرجال فى صيدهم وكذلك فى حروبهم إذا ما بلغوا من العمر السابعة أو الثامنة على الرغم من أنهم لا يشتركون فى الحرب إلا بعد بلوغهم مرحلة النضج . ولا يوجد فى هذا المجتمع طقوس تصاحب البلوغ . وإن كان يقـــام حفل صغير للفتاة بعد بعد بلوغها ينفخ فيه الدخان عند أنفها أما بلوغ الاطفال فيصاحب بإقامة وليمة ومن ثم فليس هناك طقوسة سرية .

وعلى النقيض من جماعات بدائية كثيرة لايرجع الجيفارو كل أنواع المرض إلى سحر الشامان أو العدو على الرغم من أن بعض الشـامانيين يزعمون أن لديهم القوة التى تسبب المرض والموت . فالبرد والحمى والدسنتريا كلها أمراض ينظر إليها على أنها طبيعية . ويبدو أن الجيفارو يفهم معنى العدوى ذلك المعنى الذى أدركه من تجربته مع أمراض البيض ومن ثم فلديهم معزل يمنعون منه الشخص الذى تظهر عليه الأمراض المعدية . وبعض الامراض تسببهـــا فى اعتقادهم أرواح شريرة تدخل الاجسـام والشامان فى هذه الحالة قادر على شفاء المريض

عن طريق طقوس الهنود الأمريكيين . فبعد أن يمص الجزء المريض لفترة طويلة يندفع فجأة من المنزل كاتم أنفاسه لأنه امتص الروح فى معدته ، وفى خارج المنزل يتقيء لتخرج الروح الشريرة من معدته وبشيء من العظمة يأمر الروح الشريرة أن تغادر المنطقة . ويعاون جميع أهل المنزل الشامان فى هذه اللحظة عن طريق الصياح لكى تهرب الروح .

وحينما يموت الجيفارو يوضع فى قارب صغير محفور أو فى كتلة خشبية مجوفة صنعت لهذا الغرض حيث يوضع مع المتوفى أسلحته المفضلة ويغطى الكفن بقطعة من لحاء الأشجار ثم يعلق فى طرف عمود المنزل لتستمر مراسم الحداد ستة أيام . وإذا كان المتوفى هو قائد الحرب Caraka فى المنزل فان المبنى يهجر بعد أن توضع الأطعمة على أرضه . ومن ثم فإن الجيفارو يأتى كل شهر وذلك لفترة عامين من أجل تحديد الطعام . وإذا كان المتوفى شخص ليست له أهمية فقد يهجر البيت وبعد ستة أيام من الحداد يوضع الكفن فى مقبرة صغيرة بنيت قريبة من أجل ذلك الغرض . والنساء المتوفيات تعاملن فى المراسيم الجنائزية مثل معاملة الرجل العادى . ومن المعتقدات السائدة لدى الجيفارو أن الأطفال يتحولون إلى طيور صغيرة بعد موتهم ومن ثم فليس هناك ضرورة للمحافظة على الجثة . ومن مراسيم الحزن أن تمضى المرأة فى البكاء والعويل طوال الستة أيام أما الرجال فيغيبوا عن المنزل .

ويعتقد الجيفارو أن الميت سوف يعود إلى الحياة مرة أخرى فى شكل حيوان . أما قائد الحرب فسوف يولد من جديد على هيئة نمر الجاجوار وسوف يتجه للعيش فى الغابة بالقرب من العدو ليواصل محاربته كما كان يفعل فى حياته الدنيا ويقال أن استمرار تقديم الغذاء لمدة عامين إلى جثة القائد الحربى

ضرورة لكى تستطيع روحه الممثلة فى حيوان الجاجوار أن تكبر وتتمكن من الدفاع عن نفسها . وبعد انقضاء تلك المدة تنزل الجثة وتدفن العظام .

وتحمل معتقدات الجيفارو بين ثناياها قليل من التعاليم المسيحية حيث خضع الجيفارو لتأثير الإرساليات المتناثرة داخل حدودهم منذ بضعة مئات من السنين، وكغيرهم من الجماعات البدائية أدخلوا فى معتقداتهم بعض الصناعة الأجنبية بسهولة إذ أن معتقداتهم ليست ثابتة أو متحجرة. فأسطورة الخلق لديهم تتمثل فى قصة الكوبارا Cupara وزوجته الذى خلق الشمس وزوجة الشمس والقمر خرج من الوجل وأن ابناء الشمس والقمر أنواع مختلفة من النباتات والحيوانات بما فيها ذلك الدب الكسلان Sloth الذى أصبح الجد الأول للجيفارو ونبات المانيك أصل النيجيانشى Nijimanche وهم خير أصدقاء للجيفارو . وترتبط بهذه الشخصيات كثيرا من القصص التى تحكى مغامرات عديدة والتى تكون بصورة أو اخرى عناصر حضارة الجيفارو . ومن خير الأمثله لهذه القصص التى تنتشر انتشاراً واسعاً بين هنود أمريكا قصة الإله التوأم Twin Gods . ففى اعتقاد الجيفارو أن الجاجوار قتل زوجته غير أن والدة الجاجور قد ربت سرا ابنائه النوءم واللذان أصبحا فيما بعد نجمان . وبعد أن كبرا عادا إلى الأرض لينتقما لأمهم بقتل الجاجوار ثم صعدا ثانيا إلى السماء بواسطة سلسلة من الاسهم . هناك أسطورة أخرى خاصة بالطوفان ولا نعرف على وجه الدقة عما إذا كانت هذه الاسطورة من تأثير الإرساليات المسيحية أم لا.

وتعتمد ديانة الجيفارو على فكرة وجود قوة خارقة تعرف باسم تساروتاما Tsarutama . ومثل هذا الاعتقاد ينتشر انتشارا واسعا فى العالم البدائى ويتفق مع معتقدات البولونزين فى المانا Mana . فالاشياء المادية والاشخاص والارواح كلها مسيرة بدرجات متفاوتة من قوة التساروتاما ، وحيث أن هذه القوة غير غير شخصية فهى تستعمل للخير والشر على السواء . أما آلة المطر الذى يعيش فى

قمم الجبال المرتفعة فلدية قوة خارقة مثل قوة الإله أناكوندا Anaconda الذى يعيش فى مســـاقط النهر. كذلك يمثل القمر والشمس والارض وبعض النباتات قوى خارقة فى مجتمع الجيفـــارو . ويدخل أيضا ضمن قوة التساروتاما أنواع بعض الحبوب والأحجار وأسنان الجاجوار وجماجم قتلى الحرب والتسانتساس Tsantsas .

ولا يوجد فى مجتمع الجيفـارو آلة تصنع القوعد المادية والروحية لهم فلا يوجد رجال للدين أو أى شخصية دينية متخصصة فيما عدى الشامان الذى تنحصر مهمته الرئيسية فى شفائه السحرى للمرضى . وتتركز قوته فى معرفة الأرواح فـالما يتوصل لمعرفة الروح التى تسبب آلام فى جسم المريض فهو يعرف الطريقة التى يأمر بها ليطردها من جسم المريض . وبما أن الشامان لديه القدرة على التحكم فى الأرواح إذ فبـإمكانه أن يرسل المرض إلى الناس كما بإمكانه أن يمنع عنهم . ولهذا يتمتع الشامان بمركز مرموق فى مجتمعه لأن شخصيته مهيبة .

والرجل الشاب الذى يرغب أن يكون شـــامانا عليه أن يذهب إلى شامانا أكبر يكن له الإحترام ويسأله عن التعليمات الواجب اتباعها . فإذا ماوافق الشامان على ذلك فإنه يدربه على ذلك لمدة شهر وتتكون معظم التدريبات فى فى الصوم وتناول أنواع متعددة من المكيفات بما فيها ذلك الدخان الذى ينفخ فى الأنف . وفى المراحل النهائية من التدريب يشعر المبتدئ أن الأرواح قد استولت على جسده وذلك من أثر المكيفـــات . وبعد ذلك تعطى له التعليمات الخاصة بالطرق العملية للتحكم فى أمراض الارواح المختلفة . ومن بين هذه الطرق ترتيل بعض الاغانى الخاصة المصاحبة لطبلة الشامان .

وإذا أراد الشامان أن يرسل روح المرض إلى جسد شخص ما لكى يمرض

فإنه يذهب بمفردة إلى النهر ليستدعى الروح كما أن دخان التبغ لا بد وأن يطلق فى اتجاه مكان إقامة الروح مع ترتيل أغانى معينة لكى تجلب الروح . وقد تذهب الروح كالقذيفة إلى جسد الضحية وما أن تصل هذه الروح إلى جسد الضحية حتى لايصبح للشامان أى قوة لشفائه ومن ثم فعلى شامان آخر أن يتولى هذا الأمر .

وللشامان واجبات أخرى إلى جانب ذلك إذ يعتبر حكيم قومه كما أنه يتمتع بنفوذ كبير . ونظراً لغيبه التنظيم السياسى بين الجيفارو لذلك يعتبر الشامان أهم شخصية لها نفوذ فى المجتمع ففى كثير من الاحيان فهو قائد الحرب إلى جانب شامان . كذلك ببعض معلوماته الخاصة بالقوى الطبيعية الخارقة قد توضع فى خدمة المجتمع بطرق عديدة إلى جانب الشفاء . فهو يستطيع أن يعد جرعة الحب للرجل الشاب التى من شأنها أن تساعده على اختيار الزوجة التى يريدها . كذلك من بين أعماله الاخرى العمل على التحكم فى الأمطار والفيضانات ومطاردة أرواح الأعداء وما من شأنه أن يصبغ القوة على مجتمعه .

ومما هو جدير بالذكر أن أول ذكر ورد لقبائل الجيفارو فى التاريخ الحديث يرجع إلى منتصف القرن ١٥ حينما بذلت محاولة عديدة من جماعات الاسكا - وذلك تبعا لتقويمهم - لتوسيع أمبراطوريتهم على حساب أراضى الجيفارو . وقد فشلت هذه المحاولات ربما بسبب عدم تأقلمهم لطبيعة مناخ وأراضى الجيفارو ذلك بالإضافة إلى مهارة الجيفارو فى القتال . وبعد مضى قرن من الزمان حينما تمكن الاسبان من قهر أمبراطورية الانكا أرسلت بعثة تحت قيادة بينافينتى Benavente إلى مناطق الجيفارو ووصف مناطق استقرارهم وبأنها أسوء أراضى شاهدوها على الإطلاق فى حياته فلم يرى مثلها فى أسبانيا أو أى جزء آخر من أراضى الهنود التى رحل إليها، كما ذكر أن الجيفارو عاريون ويعتمدون على أنفسهم

اعتماداً كلياً وفى وصف بينافنتى لسكان هذه المنطقة أطلق عليهم إسم جيفارو حيث ظل هذا الإسم لاحقاً بهم حتى وقتنا الحاضر .

وقد بذل الأسبان محاولات عديدة للاستيلاء على موطن الجيفارو وتمخضت هذه المحاولات على اكتشاف مناجم الذهب فى عديد من المجارى العليا للأنهار . ولم يهاجم الجيفارو الأسبان القادمين فى بادىء الأمر ولكن حينما بدأ الأسبان يفدون بأعداد كبيرة إلى أرض الجيفارو وحينما بدأوا يمارسون ضغوط جيفارية ومادية منهم كاستخدمهم كرقيق قاموا بسلسلة من الثورات المحلية والغزوات التى بدأت فى عام ١٥٩٩ وهى نفس العام الذى قامت فيه ثورة هنود Araucanians فى شيلى . وقد كانت هذه الثورة نجاحاً كبيراً للجيفارو حيث قتل معظم الأسبان فى مناطق كثيرة ومن بقى منهم فر . حدث بعد ذلك أن أرسلت أسبانيا حملة حربية إلى منطقة الجيفارو غير أنها أبيدت ومن ثم توقف تغلغل الأسبان إلى هذه المناطق .

وقد بذل اليزويت عدة محاولات لإقامة مدن تبشيرية غير أن هذه المحاولات لم تكلل بالنجاح حتى النصف الثانى من القرن ١٨ . فقد تمكن أحد المبشرين ويدعى الأب أندرز كاماشو Andres Camacho من أن يرحل بمفردة إلى هناك من أجل اكتساب ثقة عديد من مجموعات الجيفارو وبالفعل تمكن من تحقيق بعض النجاح . غير أن جماعات اليزويت قد طردت من العالم الجديد فى عام ١٧٦٧ بواسطة الملك شارل ٣ ومن ثم أسدل الستار عن مجهودات البعثات التبشيرية فى هذه المنطقة . ذهبت بعض ذلك فى فترات متفرقة بعض أساقفة الدومينكان غير أن ماحققه هناك وانتشار أمراض الجدرى بين الجيفارو الذين ليس لديهم مقاومة لهذا المرض . كما أن حروب الإستقلال فى أمريكا اللاتينية والتى أغلقت

أكوادور وبيرو ولم يكن هناك مفر من إبعاد الإضطرابات عن أراضى الموتتانا وذلك حتى منتصف القرن ١٩ حينما أسست إرساليات متعددة، ورغم ذلك لم تنجح أى إرسالية فى التأثير على عدد كبير من الهنود الأمريكيين .

وربما كان أعظم تأثير حضارى نتج عن احتكاك الرجل الأبيض بهنود الموتتانا ومثلهم فى ذلك مثل بقية الهنود الموجودين فى حوض الأمازون هو معرفة المطاط واستغلاله . فإقليم الموتتانا من الأقاليم التى كانت تقسم بوجود كميات كبيرة من المطاط الطبيعى وذلك حينما بدأ العالم يبحث عن المطاط الخام ومن ثم فمنذ عام ١٨٧٠ بدأ التاريخ الحقيقى لإزدهار حوض الأمزون حيث بدأت عديد من الدول ترسل إلى تلك المنطقة البعثات الكشفية. وقد تمكن الرجل الأبيض فى أجزاء عديدة من حوض الأمزون من أن يحتكوا بالسكان الأصليين فى غضون الفترة القصيرة للعصر الذهبى المطاط الطبيعى التى انتهت فى عام ١٩١٠ حينما بدأ ظهور مزارع المطاط الحديثة فى أندونيسيا تمكن الجيفارو من الاتجار مع الأوربيين والإحتكاك بهم فعرفوا البنادق والفؤوس والسكاكين . ومنذ عصر المطاط الطبيعى وجد الهنود طريقة الاتصال بالبضائع الأوربية من مراكز بعيدة ولكنهم ظلوا مطاردين لأى محاولة للسيطرة عليهم أو التغلغل فى حياتهم . حقيقة قد تمكن بعض الرجال والعلماء من الإتصال بقبائل الجيفارو حيث استقبلوا استقبالا كريماً من جانبهم غير أن نظام مجتمعهم قد بقى على ما هو عليه ليمثل مجموعة من أنقى القبائل الأصلية الموجودة فى العالم .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قبائل التانجوس

The Reindeer Tungus of Siberia

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قبائل التانجوس

ما زالت تحتوى الأراضى المترامية الاطراف فى سيبريا على بقايا عدد من القبائل القديمة . حتى القرن ١٦ كان يقطن معظم سيبريا عناصر بدائية ليست على صلة بالعالم الخارجى ، كما أن اتصالها بروسيا الاوربية كان محدوداً للغاية وقاصر فقط على بعض المغامرين والراغبين فى التجارة والذين ذهبوا إلى هناك فى بعض الاحيان وقد خضعت هذه المناطق لهجمات التتار والمغول والتى اتجهت صوب الغرب فى غضون القرن ١٣ وحيث فتحت لروسيا تدريجيا فيما بعد لتسقط تحت نفوذ روسيا فى عام ١٥٨٠ . ومنذ هذا التاريخ فقد شهدت سيبريا تغلغلا تدريجيا الروس ومستعمراتهم والتى واكبت أيضا امتصاص وإذابة بطيئه للسكان الاصليين .

وقد ظلت أواسط آسيـــا لعدة قرون أراضى البدو الرعاة الذين يتجولون فصليا بغية الحصول على مرعى لقطعان أغنامهم وأبقارهم وخيولهم . وربما انحدرت هذه الحيوانات المستأنسة من مراكز العصر الحجرى الحديث الكبرى التى وجدت فى الحوض الشرقى للبحر المتوسط وفى الهند وأواسط الصين . ومع انتشار هذه الحضارة لم تدخل الزراعة الاقتصاد المستقر المتطور فى المناطق الصحراوية المجاورة لمراكز نشاطها كذلك إلى مناطق الاستبس والسلاسل الجبلية فى وسط آسيا واقتصر انتشارها على بعض المنـــاطق المحدودة التى لاءمت فيها الظروف الجغرافية قيام هذه الحضارة .

وحيث أن هذه الحضارة اعتمدت على استئناس الحيوان فقد انتشرت صوب الشمال إلى الغابات الشبه قطبية المترامية الاطراف فى سيبريا غير أن قطعان الماشية والاغنام والحقول لم تتمكن من العيش فى هذه المناطق الباردة فتركت

فكانها لا ستئناس حيوان الرنه . وقد ظل الصيد رغم ذلك اساســـا هاما فى اقتصاد القبائل التى ترعى الرنه .

وتضم المناطق القطبية فى امريكا الشمالية عروضا متشابهة لتلك التى توجد فى أسيا فالمناطق الجنوبية تتكون من نطاق غابى كبير يتدرج صوب الشمال إلى نطاق يحتوى على اشجار اصغر وشجيرات . وإلى الشمال من نطاق الغابات عند تلك السهول المعروفه باسم التندرا أو كما تسمى فى كندا باسم الاراضى الجدباء ، وإلى الشمال من تلك المنطقة يوجد المحيط المنجمد الشمالى ولكن رغم هذا التشابه الواضح بين العروض القطبيه فى كل من القارتين السابقتين إلا ان اقتصاء البحر واليابس فى كل من القارتين مختلف تماما .

فى امريكا الشماليه يقطن حدود البحار القطبية جماعات الاسكيمو الذين لاءموا حياتهم لصيد الثدييات البحريه إذ ان التندرا جدباء تماما وان الموارد المحدود هى مصدر معيشه الأعداد القليلة من الاسكيمو ومجموعات الهنود الامريكين .

أما فى أسيا فعلى النقيض فتنحصر منطقة صيد الثدييات البحريه فى منطقه ساحليه واحده فالبحر على طول الساحل ضحل ، كما ان الاراضى منخفضه مستنقعيه بحيث لايستطيع الانسان بدون استخدام سفن صيد الحيتان أن يصل إلى الثدييات الكبرى .

غير ان التندرا والغابات المتاخمه لها فى سيبريا تضم حضارة ارقى ومن ثم يقطن فى تلك المناطق مجموعات سكانيه أكثر من تلك التى تعيش فى نفس العروض بأمريكا الشمالية .

وينتشر الصيد البرى وصيد الاسماك إلى جانب تربية الرنه . ويمتد قوس كبير يضم رعاة الرنه أبتدأ من شمال اسكنديناوة وعبر التندرا ومن خلال حدود

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الغابات الشمالية إلى شبه جزيرة شوكشى Chukchi إلى بحر بهرنج . ويضم نطاق رعاة الرنة فى الوقت الحاضر ألاسكا أيضاً حيث أحضرت الحكومة الأمريكية القطعان السيبرية وذلك لمساعدة الإسكيمو . وفى كل هذه المنطقة لايعتمد الاهالى على أى محصول زراعى كما أنهم لايمتلكون أى حيوان مستأنس سوى الكلب.

واستخدام حيوان الرنه بين رعاته يختلف اختلافا كبيرا على الرغم من تشابهه البيئة ويبدو أن اختلاف الاستخدام يرد فى المقام الأول إلى الأصول المختلفة لعادات الرعاة ، فبعض الجماعات الغربية مثل جماعات اللاب فى شبه جزيرة اسكندیناوة يعتمدون على الأيل deer فى الحصول على الالبان واللحوم والجلود كما يستخدمونه فى اجتذاب حيوانات المطية. ويحتمل أنهم عرفوا قلب الاستخدامات عن طريق جيرانهم الجنوبيين . أما على التخوم الشرقية من الإقليم حيث توجد جماعات الشوكشى Chukchi الكورياك Koryck بالقرب من بحر بهرنج نجدهم لم يستأنسوا قطعانهم استئناسا كاملا إذ يستخدمونها فقط فى جر زحافتهم بطريقة تشبه استخدام الكلب فى هذا الصدد . أما فى المناطق المحصورة بين الاطراف الشرقية والغربية فتوجد جماعات التنانجوس أو رعاة الرنة التانجوس الذين يمثل الياقوت Yakut أكبر جماعاتهم كما أن قبيلة سويوت Souot الصغيرة تبدو وكأنها تمثل نموذجا للعادات والتقاليد الرعوية السائدة فى بيئة رعاة الخيل . ففى هذه المنطقة تحلب الرنة مثلما تحلب الخيول فى أواسط آسيا ، كما تستخدم أيضاً فى الحمل والامتطاء . وأسراج التانجوس تشبه أسراج خيول المغول كما أن كثيراً من تقاليد وطرق الامتطاء وإعداد المطية لديهم تشير إلى وفود هذه التقاليد من الجنوب صوب الشمال .

وتنتشر لغة جماعات التانجوس انتشاراً واسعا فى شمال شرق آسيا حيث

تنقسم إلى مجموعتين لغويتين شمالية وجنوبية . وهذا التقسيم يتفق بصفة عامة مع نمطين من الاقتصاد يسود بينهم . أما عن الجماعات الجنوبية أو التانجوس الجنوبيون فيقطنون أساساً في منشوريا ومنغوليا الخارجية Outer Mongolia حيث يمارسون بعض الزراعة إلى جانب تربية قطعان الماشية والخيول فجماعات المانشو Manchus الذين هزم أجدادهم الصين في عام ١٦٤٤ يعتبروا خير الامثله لتانجوس الجنوب . أما تانجوس الشمال الذين يعتقد بأنهم دفعوا إلى سيبريا من موطنهم الاصلي في منشوريا تحت ضغط جماعات أقوى منهم في الماضي فهم رعاة رنة في الاصل وصيادين فيما عدا بعض الجماعات النهرية الصغيرة وكذلك بعض القبائل الساحلية مثل قبيلة الجولدى Goldi والجيليـــاك Gilyak والذين يعتمدوا في حياتهم أساساً على صيد السمك . وينتمي كل الجماعات المتحدثة بلغة التانجوس إلى المجموعة المغولية، غير أن بعضهم يتصف بأن وجوههم أقل عرضاً وفلطحة من وجه المغول الحقيقيين الذين يقطنوا الجنوب .

وينتشر رعاة الرنة الذين يربوا عددهم على ٢٠ ألف نسمة على هيئة قبائل صغيرة مستقلة تعيش على مساحة واسعة من الأرض تمتد من شـــرق سيبريا ابتداء من نهر يانسي وحتى شبه جزيرة كمتشكا . هذه القبائل التي تعتمد اعتماداً كلياً على الرنة تعيش في شمال بحيرة بيكال إلى الشمال من خط عرض ٥٥° ش . وهم لا يطلقون على أنفسهم أسم تانجوس كما أنه لا يوجد مثل هذا الاسم لدى أي مجموعة منهم فبعض القبائل المنفردة تدعى لنفسها اسم ايفنكى Evenki وهو مصطلح لا يعرف معناه الاصلي على وجه الدقة غير أنه من دراسة مضامين استخداماته فربما يعني شعب People . بعض الجماعات الأخرى من التانجوس الرعاة تعرف باسم الاوروكون Orochon أو مربي التانجوس . أما مصطلح تانجوس فقد أطلقه عليهم جماعات الياقوت وأخذه عنهم بعد ذلك المستوطنين

الروس . أما الآن فيستخدم هذا المصطلح استخداما علميا فيطلق على كل المجموعة اللغوية المتحدثة بها .

فى فصل الشتاء تغطى معظم مناطق التايجوس الشمالية بالغابات التى تسمى باسم التايجا وحيث يخترقها عدد من الانشاءات النهرية التى تساعد فى فصل الصيف على خلق منطقة مستنقعية متسعة كتلك التى توجد فى قيعان لاودية النهرية الكبيرة . والتربة فقيرة لا تصلح للزراعة كما أن فصل النمو قصير جدا غير أن الأراضى الغابية والمستنقعية تغطى بالطحالب والشجيرات والصفصاف القزمى وغيرها من الحشائش التى يأكلها حيوان الرنة . وفصل الشتاء طويل كما أنه بارد جدا حيث تنخفض درجة الحرارة إلى ٨٠°ف ، ويستمر الطقس المثلج المتجمد من أوائل أكتوبر وحتى شهرى مايو ويونيو . وتساقط الثلج خفيف كما أن غيبة الغطاءات الجليدية تساعد على تجمد التربة لاعماق كبيرة .

ويسود المستنقعات كل المنطقة الموجودة فى شمال شرق آسيا فيما عدا قمم التلال والجبال وذلك إبان فصل الصيف ، كما أن التجمد الذى يتسرب إلى الأرض إلى أعماق بعيدة لا يذوب إلا فى الأجزاء العليا فقط وذلك فى فصل الصيف ، ومن ثم فالاوحال الناتجة عن ذوبان التربة العليا والتى تصل إلى بضعة أقدام لا تجف خلال فصل الصيف القصير ، كما أن المياه الناتجة عن الذوبان لاتجد منفذا لإنصرافها إذ أن الطبقة السفلى من التربة ما تزال متجمد . ومع نهاية فصل الصيف تغطى الأراضى التى يمكنها أن تجف مظهراً لتربة صلبة ولكنها فى العادة لا تمثل إلا قشرة يمكن أن تنهار بسهوله .

وسهول التندرا المتجمدة والتى تمتد صوب الشمال إلى ما وراء نطاق أشجار الزان تمثل بيئة رعويه أفضل من الغابات فى فصل الصيف ومن ثم تتحرك بعض

الجماعات البيا خلال فصل الدفء . ولا توجد هناك حشائش بكثرة ولكن توجد بعض شجيرات الصفصاف والحشائش القصيرة. ولابد للحيوانات أن تأكل ما تستطيع أكله وتسمن فى هذا الموسم إذ عليها أن تقاوم الشتاء القاسى حينما تضطر إلى الرعى فوق الجليد للحصول على القدر اليسر من الطعام والمتمثل فى طحالب الرنه والتى تعتبر الغذاء الرئيسى لفترة تتراوح ما بين ثمانية وتسعة شهور . وفى خلال فصل الشتاء على وجه الخصوص لا بد للقطعان من التحرك الدائم وذلك لأن تراكم الجليد قد يحول دون قدرة الحيوان على التنقيب . ونتيجة لذلك فعلى جماعات التانجوس أن تجوب فوق مساحة واسعة ومن ثم فكثافة السكان فى هذه المناطق قليلة جد حيث تصل الكثافة إلى شخص واحد لكل ١٠٠ ميل٢ .

أما فى فصل الصيف فيعانى حيوان الرنه كثيراً من الذباب والناموس بحيث إذا ما تركت الحيوانات بدون رعاية فإنها تهـــزل وتمرض . ولذا فيضطر التانجوس لمطاردة تلك الحشرات وذلك عن طريق اشعال النار وتكثيف الأدخنة حول المنطقة التى ترعى فيها الحيوانات أثناء النهار . ويحدث الرحيل عادة أثناء الليل فى فصل الصيف وذلك لتجنب الحيوانات الضاربة . أما فى الشتاء فتمثل الذئاب خطرا كبيرا على الرعى حيث يفقد القطيع فى العادة ما يقرب من نصف عدده بسبب الذئاب أثناء فصل الشتاء حيث يرتفع عـــدد لضحايا بين صغار الحيوانات وضعافها . وفى العادة يخرج القطيع للرعى أثناء النهار ويبقى إلى جانب المعسكر أثناء الليل وذلك حينما تبدأ الذئاب فى التجوال .

والرنه الذى يمتلكه جماعات التانجوس من سلالات مرعاه وليس مستأنس من أصول بريه فلون الرنه ربما يكون أسود أو أبيض أو الاطياف المختلفة من اللون البنى وذلك على النقيض من اللون البنى الرمادى الذى يميز الأنواع البرية

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد يلحق فى بعض الاحيان ذكور الرنه البريه بالقطعان المستأنسة وذلك أثناء فصل التزاوج ولكن يعمد التانجوس لقتلهم وقتـــل سلالاتهم المختلفة وذلك لإعتقادهم بأن الاصول البرية لا يمكن استخدامها . والرنه المستأنس وضـــع محترم حيث يلتحقوا بمعسكرات التانجـــوس وذلك لحاجتهم إلى الملح وإلى مخلفات الإنسان .

ويكمن الخطر الأكبر للرنه فى الذئاب ومن ثم فلا تزن أحجام القطعان بسهوله . ومن هنا لا يلجأ التانجوس بذبح حيواناتهم من أجـــل الحصول على اللحوم ولا يحدث ذلك إلا فى المناسبات القليلة الهامة وفى حالة المجاعات . وحتى فى تلك الاحوال فلا يقتل إلا ضعاف الحيوانات . والانتـاج الرئيسى لحيوان الرنه الألبان التى تحلى ويصنع منها الكريم غـــير أن نسبة الدسم منخفضة فؤنثى الرنه يمكنها أن تعطى فى أفضل حالتها حوالى رطل من اللبن يوميا وذلك بعد اطعام رضيعها . وتقوم النساء بحلب الألبـان ورعايتهـا غير أنهم لا يقمن برعيها إذ يترك القطيع ليرعى بنفسه وليجد المأكل والمشرب اللازم فى أى مكان ليعود بعد ذلك بنفسه لمكانه ولا تغادر انثى الرنه ورضيعها المعسكر ، كما تقطع قرون الذكور وذلك خوفا من أن تجرح راكبها أو تشبك فى الشجيرات أثناء رعيهـا ، ومن الطبيعى أن تتعرض للتلف بسهولة وذلك فى فصل التزاوج . ويقدر التانجوس حيواناتهم كثيراً حتى فى حالة رعيهم لا يستخدموا عصى أو اسواط لقيادتهم . ويتحصر الإستخدام الرئيسى للرنه فى النقـل والركوب أما استخدامه فى الحمل فيأتى فى مرتبه بعد ذلك وفى بعض الأقاليم تربط الرنه احيانا فى زحافات للسفر فى مناطق التندرا إثناء الصيف والشتاء فرنه التانجوس الكبير الحجم يمكن يستخدم مثل الحصان فى سيبريا حيث يستطيع ان يرحل لمسافة ٥٠ ميـلا يوميا ويحمل ١٧٥ رطلا بسهولة فوق اراضى وعره وصعبه

لا يمكن للحصان ان يسير فيها . وإستخدام الرنه بهذه الصورة يمثل اساس اقتصادى هام للتانجوس إذ تمكنه من توسيع نطاق صيده .

ويعتبر الصيد والقنص هو النشاط الإقتصادى اليومى لقبائل التانجوس . حيث يعمد الأهالى لاصطياد الثعالب والسمور Sable وبعض الحيوانات الكبيرة مثل الرنه البرى والايل والدب والذئاب ذلك إلى جانب الخنازير . ويستخدم التانجوس حاليا البنادق بدلا من القوس والسهم والرمح الذى كان يستخدم قبل ذلك . ولا يمارس صيد السمك بطبيعة الحال إلا فى الأوقات التى يتحرك فيها التانجوس صعوب المجارى المائية . وعلى الرغم من الأهمية الكبرى لحيوان الرنه فى الحياة العاطفية والدينية للتانجوس إلا أنهم جماعات صائدة أساسا ، فحيوان الرنة هو الحيوان الذى جعل التانجوس يعيشون فوق مستوى الكفاف كما انه هو الذى جعلهم أكثر حرصا كصيادين ، وبهذا المفهوم فلهم الفوق الحضارى على مجتمعات الصيد والقنص العادية الأخرى التى توجد فى أنحاء العالم . وتمدهم منتجات الصيد بحاجاتهم الأساسية من طعام وملبس ومأوى . كما أن صيد الحيوانات ذات الفراء ولاسيما السمور والسنجاب وذلك للمقايضة مع التجار الروس يمثل أهمية إقتصادية كبيرة لقبائل التانجوس منذ قرون عدة . فروج الحيوانات والبنادق والطلقات النارية والفؤوس الحديدية والسكاكين والأدوات المنزلية والشاى والتبغ كلها بضائع وسلع هامة بالنسبة للتانجوس يمكن مقايضتها نظير فراء الحيوانات ،

ويختلف ملبس التانجوس من مكان لآخر وذلك تبعا للمأثيرات الحضارية المختلفة المستقاة من جيرانهم فى جميع الجهات . وقطعة الملابس الوحيدة الباقية من الملبس التقليدى للتانجوس هو المعطف المزركش وهو مصنوع من جلود

الرنة ويفضل جلد أنثى الرنه حيث تحاك بطريقة تشبه طريقة حياكة المعطف الأوربى . ويرتدى التانجوس هذا المعطف شتاءاً وصيفاً . وربما نجد أن الفتحة الأمامية بها ميزات معينة أثناء الامتطاء حيث يتعرض الصدر والمعدة إلى البرد ولذا فتوضع قطعة من الجلد لحماية هذه الأجزاء من الرياح . ويوجد هذا الطراز فى بعض جهات الصيد . (شكل ٩)

وربما كان الأصل الجنوبى لتانجوس الشمال وعدم ملاءمتهم الكاملة لظروف الحياة القطبية عاملا وراء مظهر آخر من ملابسهم . فالبنطلونات قصيرة . وهو نموذج معروف أيضا بالصين ـ كما أنه يوضع عليها قطع متوية عند الركبة . أما الأحذية الجلدية ذات الرقبة والتى تعتبر نموذجا حضاريا مرتبطا بالمناطق القطبية فربما استعير بمظهره الكامل هذا من القبائل القطبية المجاورة وذلك لأن الخف Footgear الأصلى الذى لا يناسبهم مطلقا لم يستخدم . كذلك النظارات التى تحمى العين من ضوء الشمس أثناء الربيع وتحفض الرؤى لدرجة كبيرة فقد استعيرت هى الأخرى من السكان السابقين .

وتتكون نواة مجتمع التانجوس من خيمه صغيرة يعيش فيها الزوج وزوجته وأطفاله على الرغم من أن والدى الزوج قد يعيشا مع الأسرة فى أغلب الأحيان. وتكون الأسرة أساس الوحدة الإقتصادية والتقسيم الأولى للعمل فى المجتمع بين الرجل والمرأة أمر معترف به هنا حيث يرتكز نشاط الرجال على الصيد والدفاع ضد أخطار الحيوانات الضارية والاعداء ، كذلك صناعة معظم الادوات وتحميل الحيوانات وذبحهم وسلخهم ، وعملية التحطيب وغيرها من الامور التى تتم خارج المنزل . أما النساء فتقمن بصنع الثياب والخيام وحلب الحيوانات ورعايتهم فى المعسكر ذلك إلى جانب الاعمال المنزلية العادية التى ترتبط باعداد الطعام ورعاية

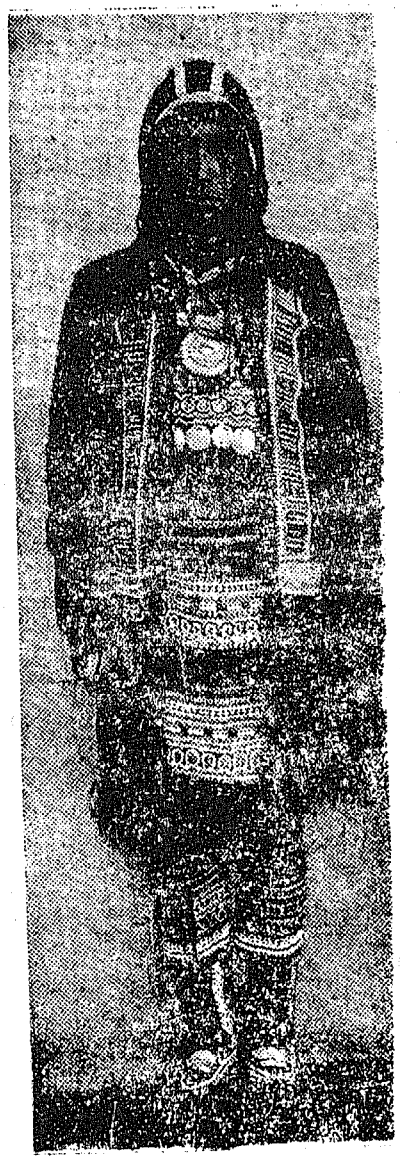

شكل (٩) التانجوس فى سيبريا

الاطفال . وجماعات التانجوس لاتتمسك بشدة بتقسيم العمل بين الرجل والمرأة ومثلهم فى ذلك مثل كثير من المجتمعات حيث يساعد الرجل المرأة فى كثير من أعمالها كذلك تقدم الزوجة المساعدة للزوج فى عمله . أضف إلى ذلك فقد يقوم الرجل المسن الذى لا يقوى على الصيد بجميع الاعمال التى تقوم بها المرأة فى المنزل .

ولا بد أن يكون منزل التانجوس سهل الحمل والنقل كذلك لابد أن تكون أدوات المنزل خفيفة ومحدودة .

فخيمه الشتاء الجلديه صغيرة وتحتوى فى العادة على اماكن مبيت لشخصين أو ثلاثه إلى جانب بعض الاطفال . اما الماوى الصيفى فيشيد عادة من لحاء الاشجار وهو أكثر اتساع من الخيمة وذلك لان مكان الاستقرار فى فصل الصيف أكثر دوما منه فى الشتاء . ويأخذ المنزل الشكل المخروطى حيث يحمل على اعمده مائله تتجمع عند القمة فى الوسط حيث تترك مفتوحة كمنفذ للدخان . أما الاثاث فعباره عن الجلود التى تكون الاسرة . ويفضل التانجوس الاسترخاء على الارض بدلا من الجلوس وذلك لكى يتنشقوا هواء انقى .

ولابد وان تظل الخيمه مغلقة جيدا فى فصل الشتاء كما لابد وان تظل النار مشتعلة وذلك لشدة البروده اما فى الصيف فيتبع نفس النظام بالنسبة للمستقر الصيفى وذلك بسبب وجود الحشرات ومن ثم فالجو داخل المسكن دائما مدخن وادوات الطهى لاتزيد فى العادة عن كونها مجرد غلايه من المعدن . وعنصر الطعام الرئيسى فى جميع المواسم اللحوم المغليه ذلك إلى جانب الشاى والدخان اللذان يقدما فى العادة عند وفود الضيوف .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وتتسم طريقة أو اتيكيت المعيشه فى المسكن بأنها معقدة حيث يخصص المكان الذى يقع على يمين المدخل للزوج والزوجه بينما يخصص الجانب الايسر لأكبر الذكور بعد ذلك وفى العادة يكون الابن الأكبر . أما الجانب المقابل للمدخل فيخصص للأرواح أو للزوار الذكور المغتربين حيث يعامل الزوار معاملة تتسم بالحفاوة والكرم . والمحادثه امر عادى ولا سيما إذا كان الزائر أكبر من المضيف كما أن التعبيرات العاطفية للفرح والسرور والدهشة أمر غير مستحب وتقدم الهدايا بحريه وواجب على الضيف عدم رفض الهديه بل يقتضى الواجب عليه أن يردها .

وفى فصل الشتاء الذى يستغرق ٣/٤ العام ينتشر التانجوس على طول حدود القبيله ونادرا ماتجد جماعة تزيد على اسرتين أو ثلاث . ويتحرك معسكر التانجوس باستمرار مع بحث الرئه عن أراضى رعى جديدة ويغيب الرجال عادة عن المعسكر وذلك بسبب الصيد ورحلات القنص بينما تتعهد النساء القطعان وتحافظ على المعسكر حتى فى حالات الضرورة قد تقمن بنقل المعسكر إلى موقع جديد . وحين يتكون المعسكر من عدد من الاسر يقسم الصيد بينهم فيما عدا الجلود التى يبقى عليها من اجل أن يتبادلها الصائد شخصيا للحصول على الشاى والتبغ وبعض الكماليات .

وتعمد اسر التانجوس لاختيار مواضع معينه لمعسكراتهم كما ان لها طرقا منظمه للهجـــرة حيث تأتى جميعها فى فصل الصيف إلى معسكر أكثر دواما وأكبر وقد تترك الاسر المنفردة وجماعات معسكر الشتاء مخازن الطعـــام والملابس والادوات الاخرى فى مواضعها المعتادة وذلك لكى تتخلص من مشكله النقل والمخازن عبارة عن اكواخ طوليه صغيره ترتفع فوق ارضه وذلك لكى

تحميها من الحيوانات ويسمح لاى فرد أو أى اسرة من التانجوس التى تنتمى إلى القبيلة أو العشيره أن يأخذ من المخزن ما يشاء واذا ما اخذ شخص شيئا ثمينا من المخزن ولم يتمكن من ارجاعه إلى مقامة قبل وصول العائله فانه يترك مكانها قطعة من الخشب يوضح عليها شخصية المستعير ومعنى ذلك أن الشيء سوف يرد فيما بعد .

ولا يتبادل التانجوس فى العادة التجارة مع غيره إذ يقتصر الامر فقط على تبادل الهدايا والاستعارة والكرم العادى أما الادوات والشاى والتبغ والمواد الاخرى تى تأتى من الخارج كلها بضائع يحضرها بعض تجار التانجوس فى نظير تبادلهم للفراء. وكان من نتيجه ذلك أن احترمت الملكيه الخاصه للسنجاب والسمور . وفيما عدا ذلك لايوجد اعتراف بحقوق الملكيه الخاصة للمصادر الطبيعية فا لابد الاكبر إذكان قادرا يرث فى العادة حقوق ومسئوليات كبير العائله غير انه لاتوجد ملكية خاصه بمعنى الكلمه يمكن ان تنتقل اليه . فتطبيع الرنه ليس بذات قيمه لانه ملكا دائما للاسره . فحجم التطبيع يتذبذب من سنه إلى أخرى بسبب فتك الثعالب والامراض بهم ومن ثم فيجتمع قادة الاسر فى كل صيف على هيئة مجلس العشيرة ليعيدوا توزيع رؤوس الرنه على الاسر وذلك لكى تتمكن كل اسرة من العيش فى خلال الشتاء القادم . وهذا يعنى ان ملكيه الرنه استثمار لكل العشيرة على الرغم من الاسر المنفرده . تتعهد الجزء الخاص بها من القطيع وبنفس المنطق الاراض التى تتجـــول فيهاالاسر تدخل ضمن نفوذ العشائر المتزاوجه التى تشغلها فلا توجد امتيازات ثراء مهمه بين السكان .

وتتكون عشيرة التانجوس من اسر ابويه متقاربة ، وتسمى كل عشيرة باسم

يحمل احيانا اسم جد الرجل . وتختلف عشائر التانجوس فيما بينها اختلافا كبيرا من حيث الحجم إذ يتراوح عدد افرادها ما بين ١٢ فردا إلى عـــده مئات ، ورياسة العشيرة ليست وراثية، ففى فصل الصيف حين تجتمع كل الاسر فى الماوى الصيفى يتخذ القرار باجماع اراء رؤساء الاسر أو عن طريق مجلس العشيرة . وهناك ميـلا بين عشيرة معينـة لأن يتزوج أفرادهـا من عشيرة أخرى . ونظام الزواج يخضع لأصول قوية فإذا مازوجت عشيرة بناتهـا لعشيرة أخرى كان على العشيرة الاخيره ان تقوم بنفس العمل . وفى الواقع كما هو جارى بين التانجوس ان ينحصر الزواج بين كل اسرتين وذلك عن طريق زواج البنات ومن ثم فيسود زواج ابناء العمومه إذ يلجأ الرجـل دائما لزواج ابنه خاله ، ويعتبر الزواج فى هذه الحالة مثاليا أما ابناء العمومه فيعتبروا من العشيرة ذاتها ولذا يحرم زواجهم من بعضهم .

ولقـــد اصبح التزاوج الداخلى بين افراد العشيرة فى وقت من الاوقات يكون اساسا من الاقارب عن طريق الانحدار الوراثى ، قبائل التانجوس مثلها فى ذلك مثـل الجماعات الاخرى القبليـه والعشائرية تكون وحدات عريقه متماسكه متميزة لتوضيح اختلافات دقيقة وحساسه عن العشائر الاخرى ولهـا وحدتها الاقليمية الامر الذى يدعونا إلى ان نصفهـــا بانها قبيلة حقيقية . ووحدات التانجوس القبليه لاتحافظ على استمراريه واضطراد سكانها لفترة طويله من الزمن إذ يبدو بوضوح من اسمـاء العشائر المتشابه ومن الشعائر العليـة التى تمارس فى مناطق متعددة أن بعض هذه الوحدات قد انفرط عقدها وانقسمت إلى مجموعات منفصلة وذلك على النقيض من مجموعات أخـــرى من العشائر قد تجمعت سويا وقطنت اقليما واحدا .

وتوضح انماط مصطلحات القرابه التى تستخدم بين قبائل التانجوس امرين هامين اولها العضويه فى العشيره وثانيها العنصر النسبى للفرد . فالنظام المفضل فى الزواج ربما منذ الايام الاولى يتكون اساسا من اتحاد عشيرتين ومن وجهة النظر هذه يوجد نوعين من القرابه احدهما تختص بقرابة عشيرة الأب والاخرى بقرابه عشيرة الام . وكل واحده من هذه تقسم إلى قسمين نوعين أحدهما يضم كبار السن أو المتحدثين باسم مجموعة والاخرى صغار السن .وتتيجة التزواج بين هذين العنصريين نمط بدائى عام وبسيط يفصل بين تزواج ابناء الخال والخالة وابناء العم والعمة وذلك لان زواج المجموعة الاولى مباح حيث تعيش عشائرهم بعيدة أما المجموعة الثانيه فينظر على انهم من عشيره واحده ولذا يحرم الزواج من ابن العموميه اللزم أو مايطلق عليه باللغه الانجليزيه **Parallal Cousins** وذلك على النقيض من مصطلح Cross Cousins بالنسبة لزواج ابناء الخالة والخال . وقد تستخدم هذه المصطلحات على نطاق واسع بالنسبة لاعضاء أخرين ينتمون إلى عشائر الاب والام . فمصطلح خال يطلق على كل اصدقاء الخال فى العشيرة وليس على المتحدث بأسمهم أو أكبرهم فحسب.أما المصطلحات الوحيده التى تشير عن استخدامها إلى اشخاص بعينهم فهى تلك التى تستخدم للدلاله على الاب أو الام أو الاجداد أو الابناء أو البنات والاحفاد . وقد يميز الاخوه والاخوات الكبار غير المتحدث عن الاخوه والاخوات الصغار . فيما عدا هذه المجموعة الصغيرة من المصطلحات العائليه فإن مصطلحات القرابه الاخرى تستخدم بحرية فى المخاطبه بين الافراد . وقد يستعمل فى مخاطبة شخص غير موجود اسمه الحقيقى أو اسمه الاول .

ولايجوز ان يخاطب الشخص شخص أكبر منه باسمه إذ ان عمل ذلك يعد اهانه كبيرة ، كذلك لايجوز للشخص ان يجلس فى حضرة شخص أكبر منه

إلا إذ دعاه لذلك ولايجوز له التحدث ايضا إلا إذا تكلم قبله ، اضف إلى ذلك فإن مظاهر التقدير له لابد وان تصحب بالانحناءات .

وتحديد وضع الشخص من الكبار أو الصغار لايحدد العمر النسبى بقدر مايحدده جيله . فقد يحدث ان يكون العم فى سن ابن شقيقه أو شقيقته أو يكون اصغر منه ولكن لكونه ينتمى إلى جيل الاب فإنه يعامل ابن أخيه وكأنه أكبر منه كثيرا فى عمره الحقيقى . ولا توجد محرمات أو عادات يجب تجنبها بين طبقات القرابه المختلفة فى مجتمع التانجوس فيما عدا تلك المسافه الاجتماعيه التى تصاحب اختلاف الاجيال .

وتصر العشيرة على أن يطيع جميع افرادها النظم والقواعد التى تضعها فكل شىء للعشيرة حق للفرد فجميع اسرها تجوب حدود الصيد لتقتنص منها حيوان الرنة كما أنها تنظم الزواج وتحمى افردها من الأعداء وتدعم قواعد السلوك الإجتماعية . وتخول العشيرة فى معاقبة الأفراد العاقين ولها فى هذا الصدد ثلاث عقوبات فالشخص يمكن أن إذا ارتكب جريمة عدم طاعة الكبار أ أتباع تعاليم العشيرة كما يمكن أن يحكم عليه بالموت إذ أرتكب جريمة أكبر من ذلك كالقتل وأن كانت مثل هذه الجريمة نادرة . ثم هناك أيضا عقوبة الطرد من العشيرة وهى أقصى العقوبات لأن الطرد فى هذه الحالة يفقد انتمائه إلى المجموعة وهذا الأنتماء اقتصادى وإجتماعى فى نفس الوقت . أما أفراد التانجوس الذين يعيشون فى الوقت الحاضر فى المحلات الروسية هم الأفراد الذين طردوا فيما سبق من عشائرهم . أما عقوبة تجريد الفرد من ملكيته فغير معروفة وذلك لأن الملكية لا تفهم فى هذا المجتمع بالمفهوم الفردى ومن ثم فليس لها قيمة . ومن ثم فالسرقة لنفس السبب ليست جريمة شائعة . وفى الواقع أن الجرائم من أى نوع فى مجتمع التانجوس نادرة حتى

الآن حيث لا تحدث الجرائم الخطيرة إلا فى اعقاب تناول كميات كبيرة من الكحـــول .

وجماعات التانجوس حريصة دائما على أن تزيد من حجم عشائرها وذلك لأن العشيرة القوية تطفى الأمان والسكينة على افرادها . وحينما تصبح المرأة حاملا يظهر أعضاء العشيرة فرحة كبيرة لهذا الحدث ولا سيما وأنه لا يوجد تفضيل لأى من الجنسين على الآخر وذلك لأن الولد سوف يبقى ليعيش فى إطـــار أرض العشيرة ولكن البنت أيضا سوف تستخدم للمبادلة فى الزواج مع عشيرة أخرى

وعندما يحين موعد ميلاد الطفل تنصب خيمة صغيرة إلى جانب المنزل لتكون حجرة للولادة ، وفى داخلها يوضع عمودان فى وضع رأسى ويشجبا سويا بعمود آخر . وعند الوضع تضع الأم صدرها على العمود العرضى وتمسك بذراعيها فى العمودين الاخرين .

وقد يساعدها فى ذلك أمرأه عجوز غير أنه لم يكن فيما مضى مسموحا بأن يساعدها أحـد . كذلك لايسمح حاليا أو قبل ذلك أن يحضر عملية الولادة أى رجل إذ يظل الزوج بعيدا عن مكان الوضع . ولا يمارس التانجوس عملية الوئد حتى فى حالة ولادة التوءم رغم أن ولادة طفلين مره واحدة تعتبر أمر غير عادى وغير مصدق بالنسبة لهم لأن سوف تكون لها روحا واحده ومن ثم فموت أحدهما لابد وأن يكون مصحوب بموت الآخر . وبعد الميلاد تعيش الأم ورضيعها فى الخيمه الصغيرة لمدة شهر وذلك إذا ما حدث الميلاد فى فصل الصيف أما إذا كان فى فصل الشتاء فلا تبقى إلا عشرة أيام فقط . ولاتستطيع الأم أن تدخل إلى مقر الاسرة إلا بعد أن تقام شعائر طهرها عن طريق الاستحمام وتعطير نفسها وممتلكاتها عن طريق الابخره .

وبعد الميلاد بفترة قصيرة يعطى الطفل اسما الذى بقوته السحريه سوف يؤثر فى نمو الطفل وشخصيته . ويظل الطفل فى خلال الأيام الأولى من ميلاده ملفوفا بالقماش ولكن يغسل بعد ذلك ويوضع فى حقيبه من القماش ويعلق حيث يبقى على هذا الحال لمده عام. وتظل الأم ترضع وليدها لمدة ثلاثة أعوام وإذا لم تلد المرأة فى غضون هذه الفترة فقد تستمر فى ارضاع طفلها لمدة سته أعوام. ويعطى الطفل غذاء اضافيا معينا خلال عام ، ويعرض الأطفال للعرى لفترات قصيره دائما ليقدروا على تحمل برد الشتاء القارس. والاستحمام نادر على أى حال كما يحرم غسل الرأس لمدة عامين أو ثلاثة ولهذا السبب نجد أن اطفال التانجوس معرضين للعدوى والمرض .

وقد يحرص الاباء والاقارب عـــلى تعليم ابنائهم قواعد الادب والمهارات المتطلبه فى المجتمع غير أن عملية التدريب لاتصاحبها العقوبات أو الزجر. فالاطفال محبوبين جـــدا من كبار المخيم ولذا فيسمح لهم بأن يفعلوا أى شىء من شأنه تسليتهم كالتدخين أو شرب الكحول أو ممارسة الأعمال البدنية الخطرة بين الحيوانات . ونسبة وفيات الأطفال مرتفعه جدا نتيجة لعدوى المرض أو تجمد الاطراف أو الحروق التى تحدث للاطفال من جراء اقترابهم للنار فى أثناء الزحف .

ويعنى بلوغ الفتاه قدرتها على الإنجاب ويعرف ذلك عن طريق التغيرات المورفولوجيه التى تطرأ عليها ويطلق على الفتاه اسم « سمينه Fat » حينما تبدأ الحيض الذى قد يحدث لاول مرة عندما تبلغ من العمر ١٤ عاما حيث ينظر اليها حينذاك على أنها خطره وغير نظيفه . كذلك يصل الولد إلى مرحلة الرجوله أو البلوغ تدريجيا ، ولايوجد طقوس خاصه تصاحب ذلك إذ انه يتحمل مسؤليه الرجال تدريجيا ابتداء من سن العاشرة إذ أن الإنتماء الحقيقى لكل من الصبى

والصبيه إلى مجتمع البالغين فى لعشيرة يتم عند زواجها . ويحدث الزواج عادة فى سن مبكر لدرجه أن الزوجين قد يكونا أحيانا غير ناضجين جنسيا إذ يفضل فى معظم الاحيان أن يكون الزوجين من سن واحـــد ومن أبناء الخال ، كذلك يفضل دائما أن تتبادل الاسرتين الازواج، والزواج المثالى أن يتزوج ابن الاسرة بنت أسرة أخرى وأن شقيق الاخيرة يتزوج شقيقة زوجها . وحين يكون الزواج على هذه الصورة لاتكون هنـاك أى حاجه لتبادل أشياء ذات قيمة بين الاسرتين ويحدث الزواج فى العادة نتيجة للاتفاق بين الاسرتين أولا ثم موافقة العشيرتين اللتين تنميا لها الاسرتين ثانيا .

والزواج الذى يتم خارج نطـاق الاسرتين المتقاربه يكون مصحوبا دائما بتبادل ملكية بعض الاشياء وذلك بعد فترة من المباحثات والاتفاقات وتبادل الهدايا ، حيث يتمكن الزوج بمعونه اسرتهوعشيرته من جمـــع عدد كبير من حيوانات الرنه والتى تقدم كمقابل لاسرة الفتاه . وهذا المظهر يتفق على العادة التى تدعى خطأ باسم مهر والذى ينتشر بصورة كبيرة فى المجتمعات الرعويه وتعتبر حجم الهديه عامل تفاخر هام بين الاسرتين لدرجه أن عشيرة الزوج قـد تصل إلى حد الفقر فى سبيل تقديم هـديه ثمينه للعروس . غير أن نصف قيمة الهدية سوف يعود مرة ثانية إلى عشيرة العريس على شكل مهر يقدم مع الفتاة .وبطبيعة الحال مـع مرور الوقت تأخذ قيمة وحجم الهدايا فى القلة وذلك لميل العشيرتين المستمر للتزاوج بينها وتكرار تقديم الهدايا .وفى بعض الاحيان تكون أسرة الرجل وعشيرته فقيرة ومن ثم تكون عاجزه عن التعاون فى زواج معين ومن ثم لايملك العريس مايستطيـع أن يقدم به هدية ففى هذه الحالة يقيم منزل الزوجية مع أسرة زوجته وذلك لـكى تعاونه اقتصاديا . وقد توجد مثل هذه العادة أى عادة خدمة العرس بين بعض الشعوب الرعوية .

وتعقد الحتفالات الزواج في وقت يحدد قبله بعام وقد يحضر الحفل عدد يزيد على ١٥٠ شخصا حيث تقيم العشيرتان مضاجعهم في مكانين منفصلين ثم يبدأ اليوم الأول باحتفال كبير ، وتصل الإحتفالات إلى ذروتها بعد أن يقدم العريس الهدايا للعروس ، وحينما يحمل المهر على حيوان الزفة بغض النظر عن المسافة التي يقطعها للوصول إلى مأوى العريسين ويكون هذا الموكب مصحوبا بملابس العرس . وتأخذ لعروس بعد ذلك مكان الزوجة في بيت الزوجية وذلك في الجانب الأيمن من المدخل على حين يجلس أقاربها وأقارب الزوج في حلقة . ويدخل العريس بعد ذلك محفوفا بأقرانه وأصحابه ليطوف بالدائرة ويحيي الضيوف والمهنئين . ويقوم كل ضيف بتقبيل العريس في فمه ويديه أما الخاطب الذي يقوم بدور الواسطة في الزواج بين العشيرتين فيقبل اليد ثلاث مرات، وإذا ما تمت هذه المراسيم يصير العروسين زوجين أما بقية اليوم والليل فيقضى في الأكل والمشرب .

وأفضل وسائل التسلية في حفل عرس التانجوس الرقص أو الغناء كما يطلقون عليه وذلك بسبب النغمات التي تردد أثنائه . حيث يكون الرجال والنساء حلقة دائرية كبيرة للرقص وأحياناً يكون كل منهم حلقة متصلة تتشابك فيها الأذرع سويا . ويبدأ الرقص بأن يتحرك الراقصون صوب اليسار بميل أجسادهم ثم تتحرك الدائرة مع عقارب الساعة وفي هذه الأثناء يرتل رئيس الحلبة أغاني من تأليفه يرقص عليها الأفراد دون وعي وقد يستمر هذا الرقص لعدة ساعات .

وحينما تدخل الفتاة الحياة الأسرية وتصبح زوجة فإن أعباء جديدة تلقى عليها لتكون أكثر من تلك الواجبات التي كانت تتحملها وهي بين أسرتها .

فمنذ ذلك اليوم تصبح هى نواة الأسرة والراعية الوحيدة لشئون الخيمة ومحتوياتها ، تحمل جرة المياه وحطب النيران ، وتعد الطعام وترعى الحيوانات ، وتدبغ الجلود وتخيط الملابس . أضف إلى هذه الواجبات تتحمل الزوجة أعباء أخرى خـــارج المنزل وذلك لأن الزوج يقضى معظم وقته فى الصيد . فتغيير مواضع المنازل باستمرار بسبب الحاجة لحيوان الإبل عمل يقع دائما على كاهل المرأة . وقبل بداية الرحيل فعليها أن تجمع حيوانات الرحلة التى ترعى كما عليها أن تسرجها وتضع عليها الأحمال ثم عليها بعد ذلك أن تقود طابور الرحلة الذى يتعهده الأطفال والذين يسيرون فى ركابها ولذا فـــلا بد وأن يكون لها دراية كاملة بالأرض التى تسير فوقها فتعرف أماكن المياه والحطب والرعى ، كما عليها أن تعود إلى مكان لقاء زوجها فى الميعاد المحدد الذى اتفق عليه . وبصفة عامة نجد الزوجات معاونين لأزواجهم غير أنهن لايحتلن مرتبة أقل منهم . والإختلاف القائم بينهم هو نوع من الإختلاف الموجود بين المجتمعات الإنسانية والذى ينحصر فى طبيعة العمل إذ يقضى الرجال معظم أوقاتهم فى الخارج وعملهم ذات أهمية اقتصادية كبيرة للمجتمع بينما تبقى هى للأعمال الثانوية فى المنزل إلى جانب رعاية الأطفال وتبعا لذلك تقوم الزوجة بإعداد الطعام عند حضوره كما تقوم بخدمة الزوار الرجال وإن كانت لاتجرأ على الحديث معهم كما أنها لاتتناول الطعام هى وصغارها إلا بعد انتهائهم من الأكل . ويبدو فى بعض الأحيان أن العلاقة بين الزوج والزوجة غير عادية فلا يستطيع أحدهما على سبيل المثال أن ينادى الآخر باسمه ولكن يستخدم مصطلح زوج وزوجة إلى أن يولد طفل ومن ثم يشير كل منهم للآخر على كونه أب الطفل أو أم الطفل . ومثل هذا السلوك أمر شائع فى كثير من المجتمعات البدائية التى توجد فى أنحاء العالم .

وتعدد الزوجات أمر نادر بين التانجوس ولكن يسمح به حينما لا تنجب

المرأة أو حينما تكون الزوجة أكبر من الزوج وتصل إلى السن الذى لا يسمح بالحمل وليس من المقبول أن يتزوج الرجل شقيقتيه ولكن فى نظام تعدد الزوجات باستخدام مصطلح أخت كبرى وأخت صغرى، كما أن الاطفال يطلقوا عليها سوياً لقب الام .

ويبدو أن التانجوس أكثر تعرضا للأمراض والضعف عن غيرهم من البدائية . ومن الامراض المنتشرة بينهم الجدرى والجديرى والذى يعتقد أنها من قبل الارواح غير أن التانجوس يلجأ إلى عزل المريض منعاً من انتشار المرض ، كما يمارس أيضاً عملية التنظيم .واعتقادهم فى السحر والشعوذة كوسيلة للشفاء محدودة إذ أن المعالجة الطبيعية هى الأساس .

والتانجوس كغيرهم من الجماعات التى تقطن المناطق القطبية فى أمريكا الشمالية بما فى ذلك الإسكيمو قد تأثروا بعد استقرارهم أو بما يسمى بهستريا المنطقة القطبية Arctic hysteria . ويذهب الباحثون لتعليل أسباب هذا المرض أن العادات غير كفيلة بأن تفى بحاجات الأفراد ومن ثم فالهستريا وسيلة لجذب الناس إليه وإثارة العاطفة نحوه ولذا فهى أمر شائع فى تلك المنطقة . ويعتقد أن الشخص المصاب بالهستريا مرتبط بعالم الأرواح ومن ثم فلا بد وأن يستدعى الشامان لطرد الأرواح الشريرة من أجسادهم . وتعتمد هذه النظرية على أن الأرواح تبحث عن سيد وتحاول أن تمتلكه من آن لآخر وما أن تجد وسيلة لها وهو الإنسان أو الشخص حتى تسيطر على روحه وتمنعها من الاتصال بإنسان آخر فتعزلها إلى أن يأتى شخص آخر ويسيطر عليها .

وهكذا فدور الشامان عند التانجوس يشبه دوره بين جماعات الإسكيمو وهنود أمريكا فى أن الشخص القادر على التحكم فى الروح لكى يبعدها عن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الشخص الضار كما أنه يكون من آن لآخر وسيط لها بمعنى أنه قادر أيضاً على استخدام الروح فى تجميع وإرشاد الأرواح التى قد تؤذى . وبين قبائل التانجوس يمكن للمرأة أن تكون شامانا مثل الرجل ، ومن الصدف أن تكون كلمة شامان من كلمات التانجوس وأنها نقلت من هناك إلى العالم الغربى بواسطة الروس الذين قابلوا التانجوس فى القرن السابع عشر الميلادى .

ويفترض فى الشامان أن لديه معلومات خاصة عن الأرواح ولذا فقد يقوم أحياناً بدور الجان. وفى هذه الحالة لا بد من وجودشخص آخر يقوم بشرح أفعاله وكلماته التى تصدر عنه ورغم ذلك فدور الشامان الرئيسى هو السيطرة على الأوراح ومنعها من جلب سوء الحظ أو طرد الأرواح من الأجسام التى تعانى عدم اتزان عقلى .

ويلجأ الشامان لدى التانجوس لاستخدام أدوات خاصة تختلف فى تعقيدها من شامان لآخر ولكنها دائما تشتمل على العناصر الآتية مرآة صينية من النحاس ولبـــاس معاون وتومبرين أو طبلة يدق عليهـــا ليهيء نفسه لمقابلة الأرواح ومن أجل أن يوصى باقتراح أو رأى معين لذهن السامع . ويختلف مشهد الشامان ذاته فى تفاصيله من إقليم لاخر ، كما يختلف أيضا بغرض الاحتفال ولكن المشهد الأساسى هو الدق المستمر للطبلة ليظهر أخيرا الشامان وهو متلبس بالروح . والغرض المتكرر هو أن ترحل روحه إلى العالم السفلى لكى يصاحب بعض الأعمال مع أرواح الأجداد وذلك من أجل خير معشيرة . وجزء مسبق من هذا المشهد يختص أولا بالبحث عن أسبـاب مرض الشخص أو المنـاعب الأخرى أو التنبأ بالمستقبل . ولا يعنى ذلك أن الشامان رجل متحدث بحق أو طبيب ففى حالات المرض يرتكز دوره أساسا على التشخيص وفى حالة مايقرر

إذا ما كان الشخص مريضا لكى يطرد الأرواح وفى هذه الحالة يكون علاج المرض نفسى أكثر منه اجتماعى .

أما الموت فيعتقد أن سببه هو رحيل الروح الدائم عن الجسد . ومن ثم فيعتقد التانجوس أن موت الأطفال أسهل من موت الكبار وذلك لأن الأرواح فى الصغار لم تستقر بعد . أما الكبار فيتوقعون الموت كشكل أو مظهر طبيعى فى الحياة ولكن الكبار الأشرار يموتون خلال الحوادث أو نتيجة لمرض أو بفعل الأرواح التى تطرد الروح من الجسد. وقد يكون فقدان الروح جزئى كما يحدث فى حالات الإغماء أو فقدان الوعى . فالشخص المريض الذى يحتضر أو يكون بين الحياة والموت وكذلك الشخص الحديث الوفاة يمكن للشامان فى هذه المحاولة وإذا ما قضى الشخص نحبه فإن انتباه الناس يتجه إلى مشكلة نقل الروح إلى العالم الاخر. ومن ثم يكفن التانجوس المتوفى بأفخر ثيابه وتغطى الجثة بملاءة وبعد ذلك يبدأ الأقارب المأتم الذى يستمر طوال يومين إذا كان الطقس باردا وعلى أى حال لاتقل فترته الزمنية عن ٢٤ ساعة . وتوضع أنواع عديدة من الأطعمة والشراب بالقرب من رأس المتوفى كما يوضع التبغ والبيب أو أداة لتدخين بالقرب من صدره ، ومن آن لاخر يفد الأهالى لإلقاء بعض الأطعمة أو قطرات اللبن أو الشاى فى الهواء وذلك فى حالة ما إذا كانت الروح حاضرة . وليس هناك التزامات لإظهار الحزن والأسى على المتوفى فقد يجلس التانجوس حوله يتحدثون فى نبرات عادية فى شئون الحياة اليومية . وأخيرا حينما يتأكدون أن الروح قد ذهبت ولن تعود ثانية تضع الجثة فى صندوق خشبى حيث يوارى التراب . ويضحى بحيوان الرنة فى هذه الحالة من أجل الروح كما توضع على الميت بعض ممتلكاته الخاصة التى يعتقد أنه سوف يكون بحاجة إليها . وإذا ما أصاب رجال العشيرة سوء الطالع أو بعض المتاعب عقب دفن الجثة فإنه يعتقد أن روح المتوفى

غاضبة لأنها لم تكرم التكريم اللازم ولذا فيستدعى الشامان لطردها وإقناعها بمواصلة رحلتها إلى العالم الآخر . أما الأرواح التى لا تصل إلى العالم الآخر فيشعر التانجوس أنها مصدر خطر عليهم .

ويتصور التانجوس أن الظروف المعيشية فى العالم الآخر هى نفس الظروف على الأرض ومن ثم فالأرواح تحتاج إلى أشياء فهى تقاسى من البرد والجوع فى بعض الأحيان ، كما أنها معرضة للغضب والغيرة كما يحدث فى الحياة العادية لبنى البشر وإن كانت الأرواح تظهر فى بعض الأحيان ميلا للطفولة أكثر وهنا يأتى دور الشامان لإرشادها . وهكذا تنحر الحيوانات كلما أمكن وتقام الصلوات من أجل أجداد العشيرة لكى تبعد عنهم سوء الحظ بعودة الروح . ويتكون عالم التانجوس من ثلاثة عوالم الأول العالم السفلى أو عالم الأرواح أو عالم الأجداد Lower World of Ancestor Spirits ثم العالم الأوسط Midle world الذى يعيشون فيه ثم العالم الأعلى Upper Orsky World حيث يوجد الشمس والقمر والنجوم وحيث توجد أرواح السماء . ويسود بين التانجوس أيضا ومثلهم فى ذلك مثل سكان منشوريا الاعتقاد فى روح السماء . غير أن جماعات التانجوس ليس لديهم معتقدات معينة تخص بإله السماء أو المخلوقات أو نظرة واضحة لعملية الخلق إذ يبدو فى نظرهم أن كل شىء ظهر بصورته الحالية . فأرواح أجداد العشيرة هى الشىء الأساسى الذى يجذب أنظارهم وإن كان من الصعب وسوء التقدير أن نقول أن فى ذلك اتجاه « لعبادة الإجداد » إذ لا يعدوا هؤلاء الأجداد إلا أشخاصاً انتهى دورهم بعد الموت .

وربما تعطى الهستريا القطبية التى تسود بين التانجوس طابعا خاصا للحياة اليومية لهم . غير أن السلوك الإجتماعى العادى لكثير من الزوار والباحثين الذين وفدوا إلى منطقتهم يوضح أنهم أناس على درجة كبيرة من البشاشة .

والإنفتاح . فيذكر الإنثروبولوجى بيرثلود لاوفير Berthold Laufer وذلك فى مجال المقارنة مع غيرهم من سكان سيبريا « أنه شعر كأنه فى بيئة بين جماعات التانجوس ذوى العقـــول المتفتحة والسلوك المستقيم والنفسية المتطورة وأنه وجدهم كما ذكر الباحث فون ميدندرف A. Von Middeudorff نموذجا لإرستقراطى سيبريا » .

وقد خضعت القبائل البدائية السيبرية للروس لعدة قرون غير أن نتائج هذا الغزو على الحضارة البدائية لم يغير فى معالمها أو يبدل أوضاعها إذ أن التغير كان بطيئا غير مباشراً . وربما كانت الأوبئة والأمراض الأوربية هى الطلائع الأولى لنتائج هذا الإحتكاك والإتصال . وإلى جانب ذلك كانت هنـاك بعض النتائج الموجبة بالنسبة لحضارة تلك القبائل حيث أدخل إليها البنادق والأدوات الحديدية التى حصلوا عليها نتيجة المبادلة وذلك إلى جانب معرفة النبغ والشاى والسكر والملح. ومما هوجدير بالذكر أن مربى الرنة السيبرية لم يتأثر بسرعة بتلك الحضارة الوافدة كما تأثر جماعات اليـاقوت الزراعية أو الجماعات الصـائدة الشبه مستقربية مثل مثل جماعات الكورياك والشوكشى والجولدى Coldi إلى الشرق والشمال منهم .

وقد اعتمدت علاقات التانجوس مع الروس أساساعلى التجارة المتفرقة حيث كان تبادل جلود الرنة وفراء السنجاب والثعالب والدببة هى مواد التجارة والنبال الرئيسيه على البضائع الأوربية . وكما سبق أن بينا فإن معظم السلع التى وصلت عن طريق التبادل قدساعدت التانجوس فى حياتهم أو على الأقل لم يتمخض عنها أى أضرار ، ولكن أحد السلع المتبادلة التى لا يحبها معظم البدائيين فى كافة أنحاء العالم هى الكحول وهى فى هذه الحالة الفردكا الروسية فقد أحدثت الصعوبات والمشاكل العادية ولكن فى المناطق الشمالية المتجمدة يوجد خطر

آخر من استخدام الكحول . ففى جليد الشتاء يصبح الإسترخاء أو الكسل سببا فى تجمد الأيدى والأقدام وربما ينتج عنه الموت . والتانجوس الذين يمكنهم ببساطة عدم التحكم فى النفس قد قاسوا الكثير بسبب إهمالهم فى استخدام الكحول . وفى بعض الأحيان استدان صيادو الفراء استدانة كبيرة نتيجة لإدمانهم الشراب واضطروا أن يعيشوا تحت رحمة التجار الذين لا يرحمون .

وقبل الثورة الروسية اعتنق مجموعات كثيرة من التانجوس المسيحية الأرثوذكسية اليونانية ولكن يبدو أن هذا الإعتناق كان إسميا أكثر منه فعلياً واستمر الشامان فى أداء أعمالهم القديمة كما يفعلون اليوم . ومنذ أيام الثورة توقفت أعمال الإرساليات الدينية ونحن لا نعرف إلا القليل جداً عما حدث فى تلك الفترة . وليس من المعقول أن التحول الفكرى إلى الماركسية سوف يكون له وزنا بين الصيادين البدائيين وقد تركزت الصناعة فى سيبريا فى أماكن محدودة للفحم والحديد بعيداً عن منطقة التانجوس. ومن المحتمل جداً أن التغير الاقتصادى فى سيبريا يحدث بسرعة كبيرة الآن عن تلك السرعة التى كان يحدث بها أيام القياصرة عند ما كان اهتمام روسيا الأمبراطورية بالعلاقات الاقتصادية المرتبطة بأوربا أكثر من تنمية موارد شبه قارة سيبريا .

وكما يتضح من دراسة أجزاء أخرى من العالم فإن مجتمعات الصيد فى المناطق النامية تكون أكثر عرضة للتغير المفاجىء الشامل من المجتمعات الزراعية المستقرة، ونحن نتوقع أن يحدث للتانجوس نفس الشىء عند ما يرون أن حيوانات الفراء قد انقرضت وإن فرص العمل فى المناجم وقطع الاخشاب قد زادت . ويجدر بنا أن نلاحظ أن الروس فى سيبريا لا يجبرون البدائيين على الحياة فى مخصصات وليست لديهم تميزات عنصرية ولكنهم على النقيض من ذلك يحاولون جذب الوطنيين للاشتراك بسرعة فى الحياة الإقتصادية للدولة.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قبائل الشين

The Cheyenne of the North American Plains

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قبائل الشين
فى شمال أمريكا الشمالية

لم تحظى أى جماعة بدائية بجذب انتباه الأمريكيين والأوربين مثلما حظت بالنسبة للمحاربين المولين الموجودين فى السهول الغربية بأمريكا الشمالية . فحين يسمع المواطن الامريكى العادى عن الهنود يذهب خيالة إلى تلك الجماعات التى تتجول بحرية صائدة الجاموس البرى وهى ترتدى قبعات الحرب المصنوعة من الريش وتتزين ملابسهم الجلدية بطلاء الحرب وهم يرقصون رقصة الشمس ويستخدمون الاشارات اللغوية ويعيشون فى قرى دائرية وغيرها من الصور التى تتوارد تبعا على مخيلاتهم . وفى واقع الأمر يعتبر فرسان السهول من أكثر الجماعات تطورا بين هنود أمريكا . فقطعان الجاموس البطىء الحركة التى تنتشر فى منطقة السهول العظمى تعتبر نموذجا فريدا كمورد للغذاء فى العالم الجديد غير أنه عندما تطلب قبائل هندية معينة الخيول الأسبانية وتبدأ فى استخدامها لصيد الجاموس تشهد المنطقة نقله حضارية واضحة ، أضف إلى ذلك فى كمية وحجم الحروب بين قبائل تلك السهول أكبر وأكثر بصورة غير عادية بالنسبة للجماعات الهندية الأخرى وذلك بسبب ظروفها الخاصة .

والحضارة التى توجد فى هذه السهول على الرغم من شهرتها إلا أنها ليست بحضاره أصيلة كما أنها لم تعمر طويلا . فالحصان وهو الوسيلة الكلتيه التى طرأت على حياة المنطقة انتشر تدريجيا صوب الشمال عن طريق التجار واللصوص الذين أحضروه من المحلات العمرانية الاسبانية التى وجدت فى نيومكسيكو وذلك بعد عام ١٦٠٠ . وما أن عرف الهندى الامريكى طريقة امتطاء الحصان حتى أمكنه أن يطارد عددا أكبر عن ذى قبل من الجاموس ليقتله . ونظرا لمزايا الانتاج

الوفير الذى صاحب طريقة الحياة الجديدة بواسطة الخيول فقد أقبلت قبائل ذات حضارات مختلفة ولغات متعددة إلى مناطق السهول وذلك من كل صوب وحدب . ومن ثم فحضارة السهول Plans culture الجديدة كانت محصلة للتطلبات الوظيفية لصيد الجاموس بالخيول ولتجمع عادات وتقاليد مختلفة الأصول . ولكن هذه الحياة الخيالة لم تستمر إلا لبضعة أجيال قليلة حيث استمر ازدهارها فى كل منطقة السهول حتى عام ١٨٠٠ م وابتداء من عام ١٨٥٠ وحتى عام ١٨٧٠ فقد شهدت المنطقة حروب إبادة ضروس بين الرجل الابيض والهنود الامريكين وذلك إبان فترة الزحف الأوربى صوب الغرب للحصول على مزيد من الاراضى الزراعية . وقد ترتب على ذلك أن أبيدت معظم قطعان الجاموس فيما عدا تلك المناطق القليلة والتى تعرف باسم المخصصات Reservation والتى يعيش فيهـــا الهنود الباقين .

وقبل أن يستعمر الأوربيين العالم الجديد وقبل أن يتمكن الحصان من احداث انقلاب فى نمط الحياة فى منطقة السهول كان قنص الجاموس بطريقة الارتجال غير مثمرة وغير كافية لإقامة أود عدد كبير مـــن السكان فمعظم حضارة الهنود الامريكيين التى كانت تنتشر فى شرق الولايات المتحدة كانت تعتمد على الزراعة زراعة الذرة ، والفول والقرع . وقد انتشرت طريقة الحياة هـــذه من مناطق الغابات الشرقية إلى مناطق السهول حيث وجدت فى كل بقعة يمكن أن تقوم بهـا الزراعه على طول الانهار . ولاسيما فى ولايتى داكوتا ونبرسكا بل امتدت أكثر نحو الغرب إلى ولاية مونتانا . وانحصر نمط الزراعة هنا فى زراعة الحدائق وليس زراعة الحقول إذ أن الهنود لم يكن لديهم أدوات زراعية ثقيله يمكن بواسطتها تسوية التربة وتقليبها كما ليس لديهم حيوان للجر يمكن استخدامه لتطهير أراضى الحشائس وإعدادها واستغلالها للزراعة ولذا فقد ظلت طريقة زراعة الحـدائق

الهندية قاصرة ومحدودة فى أودية الانهار .

وهكذا كان قمة تطور حضارة السهول فى الفترة السابقة بكولومبيا هو امتداد الحضارة الزراعية الشرقية بجميع مقوماتها إلى تلك السهول بما فى ذلك من سكان قرى مستقرين . وجميع هـــؤلاء الهنود الظيون كانوا يعيشون فى منازل دائرية بنيت من الطوب اللبن ويبلغ قطر الواحدة منها ٥٠ قـدما وتضم القرية حوالى ٧٠ منزلا . وكانت رحلات صيدهم للجاموس البرى فى منطقة السهول رحلات طارئة مرة واحدة كل عام تقريبا وذلك من أجل جمع غذائهم النباتى الذى يكون أساس حياتهم ذلك إلى جانب قرون الثيران . أما الجماعات الصائدة فى منطقة السهول حينذاك كانت جماعات بدوية حديه تتحرك فى جماعات صغيره وتقاسى من شظف العيش غير أن استخدام الحصان غير تماما هذه الصورة .

ولعله من النقاط الهامه التى تهتم بهـا النظريات الانثروبولوجية والمهتمين بهـذه الدراسة مسألة التغير الحضارى Culture Change وكيفية فهم كيف تمكنت هذه الحضارة الجديدة من الملاءمة فى الاجزاء المختلفة من السهول عن طريق استخدام أدوات جديدة وظـروف أيكولوجية متغيرة وكيفية استعارة هذه الحضارات لطرق ومظاهر حضارات أخـــرى وملاءمتها ووضعها فى الاطار المناسب فى النظام القائم . وربما ما حـدث فى منطقة السهول العظمى يعطى مثلا فريدا لهذا التغير الحضارى . ففى عام ١٨٠٠ كان يقطـن كل المنطقة جماعات قبلية تكاد تكون متشابهة تماما فى جميع خصائصها وطريقة حياتها وبعض مظاهر حضارتها ولاسيما فيما يخص بالتنظيم الاجتماعى الذى كان متطابقا فى تشكيلة فى كل المنطقة الممتدة من تكساس إلى البرتا . وقد كانت هذه القبائل على درجة كبيرة من الاختلاف اللغوى حيث استخدمت فيما بينهـا لغات تنتمى إلى ستة أصول لغوية منفصلة وأنهم قد جاؤا جميعا إلى منطقة السهول من جميـع جهات

أمريكا الشمالية من الشمال والجنوب والشرق والغرب بل جاؤا فى بعض الأحيان من مسافات بعيدة ومن ثم فالاختلافات الحضارية بينها كانت فى الأساس كبيرة وعملية التحول السريع من الاختلاف الحضارى Cultural heterogeneity إلى التجانس النسبى Relative homogeneitg للحضارة بين القبائل المختلفة التى تكون أجزاء من التنظيم العام للشعب أمر غير عادى غير أنه مسجل بحيث يقدم لنا مستندا تاريخيا يبين هذا التغير. وإذا كانت اللغة قد حافظت على أسلوبها وأصولها بحيث لم يطرأ عليها تغيرا إلا أن وسيلة مميزة الاتصال نشأت بينهم وانتشرت بسرعة بين قبائل السهول واتسمت هذه الوسيلة الجـــديدة الشهيرة بالاشارات اللغوية Siga language ،

وقد ارتبطت أعظم فترة لانتشار الحصان فى منطقة السهول العظمى بالستة عقود المحصورة بين عامى ١٧٤٠ و ١٨٠٠ . فمن المعروف أن القبائل التى كانت تعيش على تخوم وبالقرب من أماكن استقرار الأسبان فى نيو مكسيكو قد عرفت الحصان قبل القرن السادس عشر الميلادى ولكن نظرا لان الاسبان حرموا بيع الحصان للهنود بسبب أن الاعداد التى كانت لديهم فى بادىء الامر محدودة لم يتمكن الهنود المجاورين للاسبان من الحصول إلا على النذر اليسير من الخيول التى يذبحونها ليستخدموها كطعام . وفى خلال القرن الثامن عشر تمكن الاسبان من حوزة إعداد كبيرة من الخيول فى نفس الوقت الذى بدأت فيه قـــوة أسبانيا الحربية تضعف .

وهكذا كانت وفرة الخيول فى ذلك الوقت عامـــلا مساعدا على أن تنتشر تجارتها فى كل منطقة السهول حيث أقبلت القبائل على شرائها وركوبها لاستخدامها فى صيد الجاموس البرى الذى أخذت إعداد ضحاياه تزداد سريعا نتيجة لسهولة

صيده . وقد توتب على التفوق الاقتصادى الجديد أن اجتذب إلى المنصة وافدين جدد راغبوا فى المشاركة فى أسلوب الحياة الجديد المتسم بوفرة الصيد . ومن المحتمل أيضا أن سكان الاودية الزراعية من الهنود لم يتمكنوا من الدفاع عن قراهم وهم مرتجله أمام هؤلاء ممتطى الخيول وكان ذلك دافعا على هجرتهم إلى تلك المناطق وإبتياع الخيول أو سرقتها لاستخدامها فى نمط حياة متغيرة وبالتأكيد أصبح الحصان فى منطقة السهول العظمى كما أصبح فى أى مكان آخر فى العالم وسيلة فعالة فى الحروب حيث من الممكن أن نعتبره سلاحا حديثا أدخل ثورة فى كل الادوات الحربية المستخدمة .

وقبائل الشين الهندية هم جماعات مزارعة بمعنى الكلمة تحولت إلى فرسان بدو . وما إن عرفوا الحصان حتى لاءمت حضارتهم نمط السهول وذلك أولا لانهم قدموا ليشغلوا موضعا جغرافيا واسطا فى منطقة السهول ولانهم ثانيا كانوا بمجموعه وسطاء على طريق انتقال الخيول من الجنوب إلى الشمال ثم قاموا ايضا بعد ذلك بدور نقل البضائع الاوربية والاتجار فيها بين الشرق والغرب

وقد عاش الشين كما بين المكتشفون الفرنسيين الاوائل فى وادى نهر المسيسى الاعلى على حدود ويسكنسون ومينسوتا ومصطلح الشين Cheyenne مصطلح فرنسى اشتق اساسا من كلمة Sha hi. ye (والتى تعنى المتحدثون بلغة غير ذكية) التى اطلقها هنود السيوكس Sioux. indian على هنود الشين .

أما اسم الشين الذى يطلقونه على أنفسهم فهو Tsis Esis tas أى الشعب . وقد صاحب طرد الهنود الأمريكيين من المناطق الشرقية فى الغرب الاوسط فى عام ١٦٠٠ وصول البريطانيين والفرنسيين إلى هناك حيث أجبروهم على الاتجاه نحو الغرب ، وحيث تشير السجلات لتاريخيه إلى اضطرابات وحروب استمرت

فى ولايات ويسكنسون ومينسوتا والينوى حتى نهاية القرن السابع عشر . وأخيرا تحرك الشين إلى داكوتا الشمالية واستقروا على نهر الشين قبل بداية القرن الثامن عشر . وفى ذلك الوقت كانوا ما زالوا يعتمدوا فى حياتهم على الزراعة وان كان عملية الانتقال لصيد الجاموس قد أخذت طريقها بينهم . ومن المحتمل ان قليلا من القرى ذات المواقع الملائمة أو مجموعة منها قد بدأت بالتغير أولا ولكن من المحتمل ان فى عام ١٧٧٠ كان هناك كمية من الخيول كافية بحيث تمكنت قبائل الشين ان تصبح قبائل بدوية تماما .

وما هو جدير بالتأكيد ان الحياة فى منطقة السهول العظمى بجميع مظاهرها وذلك فى عام ١٨٠٠ والتى كان يمارسها الشين لم تكن مجرد نتيجة بسيطه لتأثير الحصان على حضارة أصلية وزيادة هائلة فى صيد الجاموس إذ ان حضارة الرجل الابيض قد تركت بصماتها على أشياء كثيرة فى حياة الهنود بحيث لا تقل فى قيمتها عن ادخال الحصان اليهم . وربما لم يكن الشين قد عرفوا أو شاهدوا الرجل الأبيض أو انهم شاهدوه أحيانا تجاراً أو مكتشفين ولكن تجارة الرجل الأبيض أخذت تدفق على منطقة السهول العظمى حيث شارك فيها الشين مشاركة فعالة . فالسلعة الرئيسيه كانت الخيول التى جلبت فى نظير المنتجات المحليه وفى نظير الحصول على الفراء إلى جانب جلود الجاموس التى انتشرت تجارتها بين القبائل الهنديه إلى ان وصلت إلى محلات الاوربية الغربية وإلى مناطق الاستقرار الزراعى .

وقد كان من نتيجة هذا التبادل أن أصبحت الفؤوس الحديدية والسكاكين والاوانى والاسرة مستخدما على نطاق واسع فى منطقة السهول ذلك إلى جانب رغبة الهنود الدائمه في الحصول على البنادق .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

وقد دفعت رغبة الهنود فى الحصول على البنادق والرصاص والبارود إلى المزيد من شن الغارات للحصول على الأموال . فقد أعطت البنادق ميزة كبيره فى الحـــرب إذ بواسطتها يمكنهم أن يكونوا بعيدا عن مرمى القوس والسهم . وبصفة عامة كانت كل منطقة السهول فى غضون مائة عام احـــدى الترسانات الحربية التى شهدت صراع قبلى مرير لم تعرفه فى أى وقت من الأوقات . فلم يكن هناك حدوداً أو حقوقا ثابتة للقبائل وذلك اولا بسبب التذبذب فى اعـــداد الخيول المطلوبة لمختلف القبائل وثانيا امتـــلاك البنادق التى كل المنطقة فى حالة غليان .

وقد انعكست طبيعة الإختلافات الفعلية فى المناخ على طبيعه مرعى الجاموس البرى ومن ثم فقد اثرت أيضا فى التنظيم الاجتماعى والسياسى لهنـود السهول العظمى فكان أكثر مرونة وسهولة عن تلك التنظيمات التى توجد بين المجتمعات الزراعية المستقرة بين الهنـود . ففى السهول الوسطى والشماليه تنمو الحشائش بسرعة مع نهاية فصل الربيع وبداية فصل الصيف ولكن مع أواخـــر فصل الصيف تزيل الحشائش وتجف والبقيه الباقيه منه تموت . ومرعى الشتاء فقيرا جداً وفى أغلب الأحيان تغطيه الثلوج .

وكنتيجة لهذه الظروف الجغرافية ترحل الجاموس فى قطعان كبيره فى خلال فترة القحط على الرغم من أنهـا تكون مملوءة بالشحم واللحم مع منتصف فصل الصيف . وفى فصل الشتاء والتساقط تتناثر قطعان الجاموس فى مجموعات صغيرة وتتجول بسرعه فى نطاق واسع للبحث عن المرعى . ومن ثم فنهج حياة الصيادين وتنظيماتهم تتجه نحـــو نظام الهجرة الفعلية للجاموس البرى . فهم يتجمعون فى شكل قبائل متماسكه ابان فصل الصيف للصيد فقط بينما يهاجرون بقية العام فى

اعداد صغيرة مستقلة حيث يقتاتون من المخزون من الطعام أو ما يثمر عنه نشاط النمو ال من حصول على طعام .

وحينما وفد الشين إلى بيئتهم فى السهول الغربيه فى شمالى كولورادو وجنوب ويمنج wyoming وشرق النلال السوداء كان عددهم حوالى ٣٥٠٠ شخصا وقد ارتبطوا فى منطقة السهول على هيئة رابطة band اطلق عليها اسم سوتايو Swtaio التى يتكلم أفرادها لهجة تنتمى إلى مجموعة الالجونكيان اللغوية Algonkeian Language والذى ذابوا فى المجتمع . وجماعات الاراباهو Arapaho التى تتحدث أيضا اللغه السابقة لهم تاريخ يشبه تاريخ جماعات الشين كما انهم هو وأقاربهم المعروفين باسم جروس فنتر Gros ventre عقدوا معاهدات تحالف مع الشين والذين امكنهم بهذه التحالفات من السيطرة على مساحات كبيرة من الأرض إلى الغرب من نهر الميسورى بين نهرى بلاتا وأركانسس وليكونوا جبهة ضد اعدائهم القدامى فى داكوتا وكرو Crow فى الشمال والغرب ، والباونى Pawnee فى الشرق وجماعات الكيوا kiowa والكومانش فى الجنوب . ويعتبر الجاموس البرى الغذاء الرئيسى لهنود السهول ومن ثم فالصيد الكبير من أصعب الأمور فى حياتهم الاقتصاديه . فليس مسموح لأى فرد ان يصطاد الجاموس كما يشاء لان هدف المجموعة هو القضاء على القطيع البرى دفعة واحده حين مشاهدته أو اكتشافه .

والطريقة الرئيسية للصيد الجماعى ترتكز على محاصرة القطيع ثم يندفع رجل ممتطى حصانا يرهبها بقوسه ويسوقها إلى داخل الدائرة حيث يسرع كل هندى باصطياد أقرب جاموس إلى مكانه . وإذا ما كان الصيد منظما ، زاد اضطراب قطيع الحيوانات التى تندفع فى كل مكان فيسهل للهنود اصطيادها .

وقد تستخدم السيوف من فوق ظهور الخيل فى اصطياد الجاموس الذى يقتل بعد ذلك بواسطة السكاكين . ومثل هذا الصيد يتطلب عملا مضنيا ولكن الحصول على وفرة من الصيد تبرر أى مجهود يبذل فى هذا الصدد وقد يستغرق ذبح وسلخ ونقل اللحوم والجلود إلى معسكر الهنود عده أيام حيث تجفف فى بيركات « Jerky » ثم تصنع لحوما يطلق عليها اسم البيميكان Pemnican وهى مطعمة بالزبد حيث تخزن بعد ذلك . وهذا العمل من اختصاص المرأه إلى جانب حياكة الجلود .

وتقسيم العمل بين الرجل والمرأه صارم وقد يبدو أن هذا التقسيم غير متكافىء إذ تقضى المرأه معظم وقتها فى الجلوس فى الدفىء بينما على الرجل أن يستنفذ طوال أيامه فى الاجواء المتجمده يطارد الصيد ويتعرض للاخطار الجسيمة . كما يبدو أن أنشطة المرأه فى بعض الاحيان والتى يدخل ضمنها الخدمة المنزلية قد تؤدى كضريبة كما حدث لاحد الرجال البيض الذى ذهب الى معسكر الشين فى عام ١٨٤٦ .

ومما هو جديرا بالذكر أن الأغنام البرية والايائل تجوب السهول واقدام التلال باعداد كبيرة ومن ثم فيعرف الهنود عادات هجرة هذه الحيوانات فيطاردوهم للامساك بهم فى حفر أو فى إمكان مسورة وقليل من قبائل السهول يمارسون الصيد غير أن جماعات الشين تنبغ فى هذا الصدد . أضف إلى ذلك تجمع الجذور والدرنيات فى مواسمها كما يمارس صيد الحيوانات الصغيرة، وقد تقدم لحوم الكلب كطعام وذلك من أجل التغير .

ويحصل الشين على معظم خيولهم عن طريق الشراء أو الإغارة غير أن هناك بعض المحاولات قد تمت من أجل أسر الخيول البرية . فهم لم يتمكنوا من أن

يتعلموا الطريقة الأسبانية فى صيد الخيول وذلك بالقاء مايسمى باسم : اللاسو Lasso على الحصان إنما استعملوا بدلا منها الحبال التى تلقى للقبض على الحيوان. وأثمان الخيول مرتفعة كما أن مركز الشخص يقيم بعدد الخيول التى فى حوزته ويبلغ متوسط عدد الخيول لكل أسرة حوالى عشرة ولكن قد تملك الأسرة فى بعض الأحيان أكثر من هذا العدد كثيرا . وتستخدم أفضل الخيول فى الصيد والحرب أما الخيول الأخرى فتستخدم فى نقل البضائع وحملها ، والبغال أيضا ثمنها مرتفع إذ تستخدم هى الأخرى كوسائل حمل وانتقال غير أنها نادرة فى كل المناطق فيما عدا منطقة السهول الجنوبية الغربية . وقد توضع جميع متاع المنزل فوق ظور الحيوانات وقد تربط أيضا فيما يسمى باسم الترافو Travois وهما عبارة عن عمودين يربطا فى الحيوان وفى نهايتها ما يشبه الزحافة . وفى العادة يجر الترافو الكلاب .

ويعتمد الشين على جلود الجاموس وعظامهم وقرونهم وكذلك على منتجات الايائل فى الحصول على مواد الخام الأساسية لصناعة أدواتهم وأسلحتهم وملابسهم ومأواهم أيضاً . فخيمتهم المخروطية الشهيرة المعروفة باسم Tipi خيمة كبيرة فى العادة تسع ما يقرب من ٢٠ شخصاً وهى مصنوعة كلية من الجلود المدبوغة المزركشة . أما القوس فيصنع من طبقات من قرون الجاموس على الإمعاء ، كذلك تصنع الانية من الجلود ومن القرون . أما المغارز والمقاشط فتصنع من قرون الوعل فى حين تصنع الملابس من الجلود . أما النسيج فأمر غير معروف أو ربما تركه الهنود حينما تحولوا إلى حياة البداوة . ويصنع الفخار فى بعض الأحيان فى السهول وإن كان قد أفسح المجال سريعاً إلى الأنية الفخارية التى عرفت عن طريق التجارة.

وملابس الشين محاكة جيدة ومزركشة بصفة خاصة ، وترتدى النساء فساتين مكونة من قطعة واحدة مصنوعة من جلود الإيل أو الظبي الفاخر وتصل إلى القدم وصدرها واسع على هيئة المعطف ويتسم الفستان بأنه مطرز ترتدى النساء كذلك ما يشبه الجوارب تمتد من الركبة على القدم وتربط بواسطة ما يشبه الرباط . فى فصلى الشتاء تلبس ذيل الجاموس إلى جانب الشعر . ولا يرتدى الرجال البنطلون والمقسين Moccassin « حذاء بدون كعب » إلا فى فصل الصيف أما فى الشتاء فيرتدون بالإضافة إلى القمصان المصنوعة من جلد الإيائل والتى تتدلى إلى مقاعدهم الجوارب الطويلة تصل إلى تحت القميص . وتتصف القمصان بأن الكمام طويله وبعضها مزين بالخرز الذى يضف أيضا حول خصلة جماجم العدو . ويطلق فى العادة على هذا القميص إسم قميص الحرب وذلك بسبب الزركشة كما أنه يرتدى فى مناسبات الإحتفالات . شكل (١٠)

ويغرم الشين تزيين أجسادهم . ويركز الرجال انتباههم بصورة خاصة على شعورهم التى تترك لكى تنمو أطول ما يمكن حيث يرشقوا فى وسطها الخرز وأنواع مختلفة من البلور . ويعمد كل من الرجال والنساء إلى عمل الشعر على هيئة ضفيرتين . أما ريش الطيور فلا يرتديه إلا كبار السن . وقبعات الحرب المصنوعة من الريش والتى تتسم بوجود زيلين طويلين هى القبعات التقليدية الشهيرة لقبائل داكوتا ، أما بين الشين فلا تستخدم إلا فى الاحتفالات لبعض الرجال المبارزين . أما العقود والأساور والحلقان فتستخدم على نطاق واسع كما يغطى الوجه والجسد بألوان عدة وعلامات مختلفة .

وتنقسم قبيلة الشين إلى عشر جماعات Pands منظمة منفصلة لكل منها محرماتها الخاصة واحتفالاتها وعقائدها . ويشعر أفراد كل مجموعة انهم اقرباء من

شكل (١٠) الشين ـ هنود سهول أمريكا الشمالية

ثم فالزواج بين افراد الرابطة الواحدة غير مسموح به . كذلك يوجد تقسيم قبلي داخلي بين هؤلاء الذين يعيشون فى الجزء الشمالى من الحدود وهؤلاء الذين يقطنون الجنوب . وقد ترحل هذه الجماعات على مدار السنة ولاسيما فى فصل الشتاء فى مجموعة من العائلات الصغيرة نسبيا ، وفى بعض الأحيان تتقابل سويا وتعسكر معا ولكن تذهب كل مجموعة بعد ذلك إلى شأنها . وهذه التقسيمات أو المعسكرات تعرف باسماء وتمارس وظيفة القطاعات الإجتماعية فى الرابطة غير أن تكوينهم فى تغير مستمر حيث تلتحق مجموعة صغيرة بمجموعة أكبر أو ينشطر جزء من المجموعة ألا كبر .

ويتقابل كل أفراد قبيلة الشين فى فصل الصيف وذلك بغرض التعاون فى صيد وفيرومن أجل أيضا اقامة الاحتفالات الهامة للقبيلة . حيث ينظم المعسكر الكبير للقبيلة على هيئة جزء من دائرة أو على شكل حدوة الحصان ويتكون من ثلاثة أو اربعة منازل واسعه . حيث يفرض على كل عشر روابط أوعصب ان تعسكر فى موضع خاص بالنسبة للدائرة وتترك المنطقة الوسطى الكبيرة خاليه ليمارس بها الرقص وليجتمع مجلس القبيلة ولتقام الاحتفالات العامة .

وتقسم القبيلة ككل إلى عدد من المجتمعات ذات الوظائف الحربية والإجتماعية والترفية وذلك فى وقت تجمع الروابط المختلفة فى فصل الصيف ، وأكثر وابرز المجموعات ست مجموعات عسكرية . وعلى الشاب ان يختار الالتحاق بأى مجموعة ولكن جرت العاده على أن يذهب الرجل إلى المجموعة التى ينتمى اليها ابيه ولا يقبل فى عضويه هذه الجماعات غير الأفراد الاشداء الشجعان من القبيلة . وتسود بين بعض قبائل السهول نظام الفئات العمريه بمعنى أن على الرجل ان ينتقل من واحده إلى الأخرى مع تقدمه فى العمر إلى ان يصل إلى قمة المجتمع التى تتكون من كبار السن ذوى الشخصيات السياسية الهامه والمراكز المرموقه فى الاحتفالات .

وهذه المجتمعات هى التنظيم الحربى فى القبيله وقوتها البوليسه ومن الواجبات اليوميه للهنود مراقبه تحركات المعسكر وحمـــاية الطابور المتحرك أثناء مسيرته وتطبيق السلطة على الصائدين أو التحركات الأخرى التى قد تؤدى إلى اضطراب خط سير الجاموس البرى . وتمارس كل مجموعة رقص خاص للقبيلة كما تختص فى بعض الأحيان اربعه اشخاص مرموقين لاحتلال مراكز الصدارة فى الاحتفال وكل جماعة تنتخب لها رئيسا الذى هو فى الواقع يعتبر قائدها الحربى الشجاع .

ويكون عدد محدود جدا من رجال القبيلة الشجعان مجموعة صغيرة تعرف باسم المعارضون Contraries وكما يوحى الإسم هم مجموعة من الرجال يعارضون كل شيء بمعنى أنهم يقولوا « لا » حينما يعنون « نعم » وفى الحـــرب والمعارك نجدهم يتسلحون بسحر خاص أو « بقوس الرعد Thunder bow » الذى يجعلهم يقوموا باعمال خارقه من الشجاعه . وإذا ما استدعى شخص لينضم إلى مجموعة المعارضين فإنه منذ تلك اللحظة يأكل فى اطباق خاصة ويعيش فى كوخ أحمر ولا يصاحب الهنود العادين إلا نادرا .

والتنظيم السياسى للشين كما يظهر فى لقائهم الصيفى متطور جدا وذلك إذا ما قورن بالعديد من قبائل السهول حيث توضع كل امور القبيلة أمام مجلس القبيله الذى يتكون من ٤٤ عضوا بحيث يمثل كل رابطه band أربعة اشخاص بالاضافة إلى الأربعة رؤساء العامين . ويعتزل هؤلاء الممثلين عقب مرور عشرة اعـوام ويحق لهم اختيار خلفائهم ولكن يلعب الرأى العام من الناحية العملية دورا هاما فى اختيار الرئيس . ويعبر عن حكم المجلس بمجتمعات الجنود غير انه لا يوجد جهاز لانزال العقاب على الأفراد المجرمين .

ويلاحظ أن هنـاك تفرقه اجتماعية واضحة بين الرجال . فالشجاعة والقوة

والكرم صفات تقدر تماما ومن ثم فركز الشخص يتأثر كثيرا بمدى توافر هذه الصفات . ويتنافس الشباب بصفة خاصة بشدة لامتلاك الخيول إذ أن أسر أكبر عدد من الجنود دليل على جسارة الشاب وقوته . وقد يظهر الرجل كرمة عن طريق اقراضه للخيول الجيدة أو فى بعض الأحيان الاستغناء عنها يمكنه أيضا الاتجار بالخيول مع القبائل الأخـــرى فى نظير الحصول على الانيه والفؤوس والسكاكين والخرز وغيرها من السلع المطلوبة له . وهكذا يقدر الكرم وحسن الضيافة لدرجة أن حفـــلات العطاء «giveaway» ceremonies تذكرنا بمهرجانات النوتكا Nootka الشتويه .

ويعد الانتصار فى الحرب الطريق الرئيسى للحصول على المنصب حيث تبدو العملية كلها فى صورة حرص شديد على تمثيل الفرسان الأوربين وعلى أى حال فالهدف الأول هو الحصول على حصان أما الثانى فهو تهديد الجماعات المجاورة بغارات مستمرة حتى لايفكروا فى الاعتداء على حدود الشين . فشباب الذكور يتفاخر دائما بانتظامهم القتلى أثناء مواجهتهم العـــدو ولكن البعض يقدر أكثر الرجال الذين يأسرون الخيول .

وبصفه عامه نجد أن معظم رجال الشين من المحاربين المهره إذانها هى مهنه الرجل الحقيقية كما أن حب القتال توضع بذوره فى نفس الفرد منذ طفولته . فالموت فى ساحه القتال هو أفضل أنواع الموت ولذا فاغلب قبائل السهول لها مجموعة من المآثر البطوليه التى تفخر بها . فقتل عدو اعمل كبير كما أن الاستيلاء على فرس من معسكر العدو عمل أقل أهميه . وتجمع فروة رؤوس الاعداء ولكن أهميتها قليلة بالنسبه لمآثر الشجعان .

والواقع تعين الغارات الهادفه للحصول على الخيول على الأرجل ، ويستطيع أن

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

يقوم بهذه الغارة أى رجل يقود مجموعة ولكن لابد وأن يكون هذا الرجل ذو كلمة مسموعه حتى يأتمر بامرة باقى المجموعة المغيره وكقائد عليه ان يعقد عدة لقاءات مع كبار الرجال ثم يقدم بعد ذلك العطايا إلى الأسهم المتدسه . وإذا ما كان الرجل لأول مرة قائدا فعليه ان يتجه للتلال للصوم ولتطهير نفسه وذلك على أمل ان يتلقى نظرة أو نفحه نجاح من روح اجداده . وفى الليله السابقه لليله الاغارة تسير المجموعة المحاربه حول دائرة المعسكر ليخرج من بداخل المساكن ليقدموا اليهم الهدايا عند سماعهم لأغانى الحرب .

وفى اليوم المحدد يجلس القائد بمفردة ، وفى أوقات مختلفة يترك لباقون المعسكر ويتجهون إلى اتجهات مختلفة يتقابلوا معه فى نقطة متفق عليها . وما أن يصلوا إلى ارض العدو حتى يرسل قائد المجموعة شابين من رجاله لا كتشاف مكان المعركة قبل ان يدخلوه وبعد ا كتشاف معسكر الاعداء يختار القائد مكان الاختفاء حيث يرصد منه كل محاربية وحيث تترك الاسلحة الزائدة وفى الليل تزحف المجموعة صوب القريه حيث يتعمد الشبان إلى محاصرة أ كبر عدد من قطيع الرعى بينما يختار بعنايه الرجال الكبار الذين يتسللون إلى المعسكر للحصول على خيول الجاموس التى توضع دائما بالقرب من صاحب المعسكر .

ويعود الجميع بعد ذلك إلى النقطة التى تركوا فيها ادواتهم الزائده ومن هناك يعاودوا الادراج حيث يقود كل فرد الحيوانات التى استولى عليها . ومع طلوع الفجر تربط الخيول فى قطيع واحد بعد أن يتعرف كل رجل على مايخصه ويساق القطيع بعد ذلك لمسافه طويله قد تستغرق ٢٤ وذلك لكى يبتعدوا بهم عن أى مقتفى أثر لهم . وفى هذا الوقت يكون الخطر قد مر إذ لا يمكن لاى هندى أن يتعقبهم بحصان واحد طول هذه المسافه وتنجح غارة الهنود فى العادة

إذا ما خرجوا من المعسكر دون أن يزعجوا أحد . وفى طريق عودتهم إلى المعسكر يعطى بعض الرجال كل حصيلتهم من الخيول .

وبجموعات الحرب على النقيض من مجموعات الاغارة تخرج مدفوعة فى الرغبة فى الانتقام . فقتل العدو يبعث على عزاء الجماعات المكلوبه . وفى بعض الحالات النادرة حينما تكون الجروح كبيرة تحرج كل القبيلة لملاقه العدو دون اصابة المجموعه المحاربه بخسائر . وهذا امر سهلا جدا إذا ماحصرت بمجموعه صغيرة من العدو وابيدت وعلى الرغم من ان الجماعات الهندية تتصف بالشجاعة والاقدام الا انها تفتقر إلى التنظيم والنظام ومن ثم فالمعارك الطويلة نادرة .

وقد تبقى مجموعة المحاربين العائدة خارج المعسكر طول الليل وذلك استعدادا للدخول لهم مع الفجر كمنتصرين وهم مرتدين ملابس الحرب حاملين معهم فراء رؤوس اعدائهم على صوارى ويتقدمهم فى ذلك هؤلاء لرجال الذى أظهروا شجاعه كبيرة فى المعركه حيث يخرج جميع افراد المعسكر لاستقبالهم بالغناء والصياح . وإذا ماقتل أى فرد من المجموعة فلا تحمل جثته إلى المعسكر بل تترك بدون دفن إلى البرارى . وفى هذه الحالة يذهب المعسكر إلى الحداد ولايحدث مثل هذا الاحتفال.

وعلى الرغم من حقيقة ان المعسكر الكبير يجمع أفراد جماعات غير متقاربة إلا أن معظم المصاحبة اليومية للشين تحدث بين مجموعة من الأقارب . فعلى مدار السنة تعيش المجموعة الصغيرة المتقاربة منعزلة عن المجموعات الأخرى حتى ولو كانت متحاورة منها فى معسكر القبيلة . وأساس النظام الإجتماعى هو الأسرة الأموية الممتدة . حيث تتكون المجموعة العادية من رجل وزوجة وبناتهم المتزوجات وأزواجهن الذين وفدوا من مجموعات مختلفة بالإضافة إلى أطفال

البنات والأبناء الذين لم يتزوجوا بعد . ويعيش فى خيمـــة مفـردة « Tipi » الزوج والزوجة والأبناء الصغار بينما يقطن بقية أفراد الأسرة فى خيم أخرى مجاورة ويتعاون جميع أفراد المعسكر فى أنشطة متعددة من بينها الطهى الجماعى على الرغم من أنهم يتناولون طعامهم فى خيامهم المنفصلة .

ومصطلحات القرابة التى تسود بين الشين من النمط الواسع الإنتشار والذى يطلق عليه الانثروبولوجيون اسم النظام الوراثى « generation system » والذى يعنى أن أبرز تميز هو ذلك الذين بين الأجيال ، أما بين أقارب الجيل الواحد فليس بينهم إلا قليل من التميز . ويوجد هذا النظام على وجه الخصوص بين البولنزين . فكما سبق الذكر تتبع الأقامة بعد الزواج الأم غير أن الاحفاد يتبعوا بعد ذلك الجانبين ، بمعنى أن أقارب الأب هم أيضا بالكامل أقارب الأم . ولا يميز أبناء العمومة على أساس أبناء الأعمام وأبناء الخـــال Cross and parallel types . كما انه ليس هناك تميزا بين الأقارب فالجميع ينادوا بنفس المصطلح على الرغم من الإختلاف فى النوع والسن . كذلك الزواج بين الأقارب غير مسموح به . ويطلق مصطلح أم على الخالة عندما تكون من جيل الامومية ولكن يطلق على العمة مصطلح مخالف . كذلك يطلق على العم مصطلح أب أما الخال فيخاطب بمصلح آخر . ويسمى أبناء الأخ باسم الأبناء والبنات أما أبناء الأخت فيعرفوا بأسماء أخرى .

وهناك أنواعا مختلفة من المجاملات بالنسبة لمختلف الأقارب فهناك من يعاملوا بإحترام زائد وبحساب وذلك على النقيض من الجماعات الأخرى التى لايوجد بينها حاجز فى المعاملة . والعلاقة بين الأباء والأبناء والأقارب بطبيعة الحال قوية ومتصلة . وبصفة عامة نجد العلاقة بين الأب وابنه وأقاربه من نفس

النوع علاقة غير رسمية وذلك على النقيض من علاقتهم مع الجنس الآخر . وما أن يصل الأخ والأخت إلى سن البلوغ حتى يحترم كل منهم الآخر إحتراما شديداً . كذلك العم والخالة اللذان يطلق عليهما مصطلحي أب وأم ويعاملا باحترام نظرا لقرابتها الشديدة أما الخـــال والعمة اللذان لا ينتميا إلى العائلة الأموية فعاملتها مع أولاد أختهم وأخيهم تتسم بالبساطة والتبسط . وكما هو الحال فى معظم المجتمعات يتمتع الأجداد سواء أجداد الاباء أو أجداد الأبناء بعلاقات طيبة مع الأبناء .

والعلاقة بين الأبناء وأبنائهم « بحكم القانون » على جانب كبير من الأهمية فالنظام الأموى فى السكن يفرض على الرجـــل أن يصاحب ويعيش مع أبنائه بحكم القانون غير أنه لا يرى البنت دائما ومن ثم فقواعد اللياقة والذوق ليست صارمة بالنسبة لها . ويعامل كل من الرجل وحماته بعضهما بإحترام وكلفه شديدة لدرجة انهما لا يخاطب بعضهما مباشرة رغم وجودهما فى كوخ واحد ، وإذا تقابلا صدفة فعلى الرجل أن يغطى رأسه ، أما الحماة فيهتم بزوج ابنته ولذا فحرية المناقشة بينهما سائدة غير أنه لا يتدخل فى أموره .

ويأخذ الزواج على أنه وسيلة لتوسيع دائرة الأقارب ، وهذا أمر هام جدا إذ يذكر الشين أنهم لا يستطيعوا الزواج إذا كانوا أقارب مهما كانت الدرجة بعيدة . فالشاب يذهب إلى مجلس أقارب الفتاة وليس إلى الفتاة ذاتها عن طريق إرسال هدايا لهم . ويتقدم العرض إلى والدى الفتـــاه وأحيانا إلى شقيقها وذلك عن طريق أحد أصدقائه المقربين : ويتم الزواج عن طريق تبادل كمية كبيرة من البضائع بين الأسرتين .

وينظر الزواج إلى شقيقة الزوجة الصغرى على انها ربما تكون الزوجة الثانية

إذ يحتمل أن يتزوجها فى حالة وفاة زوجته . وفى بعض الأحيان قد تحف لتعيش فى منزل شقيقتها بعد بلوغها سن النضج ومن ثم فهى على الأقل و وجهة النظر الإقتصادية للمنزل زوجة ثانية لزوج شقيقتها أو أخيها فى القانو وإذا ما توفى الزوج فمن المتوقع أن يحل شقيقه محله . ورغم ان هذه التقاليد غ إجبارية إلا انهامقبوله ومتوقعه ما دامت الرغبة موجودة للمحافظة عـ الأسرة الممتدة . ومن الأشياء الحسنة أن يتزوج شقيقان شقيقتان وذلك لأنهم فى هذه الحالة سوف يكونا متقاربين ومتجاورين فى المعسكر .

وتتعاون الأسرتان سويا عند ميلاد طفل الزوجين حيث تساعد النسا الكبيرات من الأسرتين فى عملية الميلاد ، بينما يصح زوج الشقيقة مهد للطفل فى حين يربطها الزوج بنفسه بعد الميلاد فى الشجرة . أما اسم المولود فيتفق عليه مسبقا بين أسرة الأب حيث يعطى له اسم أحد أفراد الأسرة الكبار ، وتوجه عناية للطفل فى غضون العشرة أيام الأولى للميلاد .شكل (١١)

وقد تتكفل عائلة الزوج بعد ذلك بالاحتفالات مثل قص شعر الطفل لأول مرة ، كما يختار الزوج صديق له لممارسة شعائر ثقب الأذن . ويفترض ان الشخص الذى يختار الزوج لتمثيله فى الاحتفال أشقاء بعد ذلك .وتعتبر أسرة الزوجة مسئولة لدرجة كبيرة عن تربية الطفل فى حياته اليومية وذلك لأنه يعيش بينهم . وقد تقوم الأم بحمل طفلها على ذراعيها فى خلال الشهور الأولى من الميلاد ولكن بعد ذلك وإلى أن يتمكن من السير فيوضع فى مهد يحمل فوق ظهر الأم . ولايوجد إحتفال خاص عند وصول الطفل إلى مرحلة البلوغ غير ان الحيض الأول للبنت يتسم بالإثارة إذ تطلى البنت بطلاء أحمر بعد اعتزلها فى كوخ خاص بصحبة جدتها لمدة أربعة أيام . ثم يعلن الأب النبأ فى إجتماع

(شكل ١١) أحد اطفال هنود السهول بأمريكا الشمالية

عام فى المعسكر الكبير وعليه أن يطلق عدد من الخيول إذا كان فى مقدروة إحتفالا بذلك . وتعتبر فترة الحيض بالنسبة للمرأة فترة خطره ومن ثم تفرض بعض الرقابة والعناية على نشاطها فى هذه الفترة .

ويعتبر أول صيد لجاموس برى وأول اشتراك فى مجموعة حربيه الاحداث الهامة فى حياة الصبى . ففى عفنون فترة الطفولة يتعلم الأطفال مهارات الكبار ولذا يكون الصبية مهرة فى الصيد وركوب الخيل فى سن ١٠ و ١٢ عاما حيث يعهد اليهم فى هذا العمر رعاية قطيع من الخيول . ومع سن ١٣ و ١٤ عاما يكون الصبى مستعد للصيد الأول للجاموس البرى الذى إذا ما نجح فيه يحتفل الأب به عن طريق إهداء بعض خيوله إلى جماعات ليها عدد قليل منها . والإشتراك فى أول حمله حربية تمثل حدثا تاريخيا للشاب فإذا ما نجح فيها وثبتت شجاعته يعطى اسما جديداً ، ويعقب ذلك انه يعتبر من بين المتعقلين حيث يعامله والده وأقاربه بعد ذلك معاملة الرجال .

ويتوقع من الشباب ممارسة بعض تعذيب النفس وذلك لكى يكتسب نظرة لارواح الحظ السعيد التى سوف تحمية فى ساحة القتال وتجلب له الحظ السعيد فى الصيد . وترتكز هذه العملية أساسا على الصوم لمدة اربعه ايام والجلوس عاريا بمفردة على قمة التل وقد يتأتى اكتساب نظره الارواح فى بعض الاحيان عن طريق التعذيب الجسدى لفترة قصيرة من الزمن . فمن الطرق السائدة وضع سيخ من الخشب تحت مجموعة من الجلد عند الصدر ثم يربط السيخ فى حبل يثبت فى قمة عمود وبعد ذلك يمضى الشاب طوال يومه يشد نفسة بعيد عن العمود من اجل تمزيق اللحم . وقد تقطع فى بعض الاحيان قطعة لحم عائله من ظهر الصبى وتربط فى رؤوس عدد من الجاموس التى تشد خلفها طول اليوم .

وقد تمارس مثل عمليه التعذيب الجسدى هذه احيانا أخرى من أجل مصالح خـــاص .

وكما يبذل الجهد لتعليم الصبية فنون الحرب ومهارات الصيد فانه يوجة ايضا لتعليمهم الطريقه الصحيحه لصحبه عشيرتهم فمن المفروض أن يحترمون كبار السن على مدى حياتهم كما لابد وان يكونوا بشوشين إمناء واصدقاء مع زويهم واصدقائهم . أما سلوكهم ازاء الاعداء فلا بد وان يكون قاسيا جافا ، رغم أن مجتمع الشين لا يتصف بذلك .

أما عن الذوق والسلوك الاخلاق كمقومات للتركيب الاجتماعـــى والانثربولوجى لجماعات الشين فيلاحظ انه يجعل حياتهم اليومية تسير فى هدوء وسكينه فمثلا إذا مادخل زائر المنزل عليه ان يتجه صوب اليمين ثم يتوقف ثم على صاحب المنزل الذى يجلس فى الخلف والذى يكون فى العادة فى الغرب يدعو الضيف للجلوس وإذا مارغب فى ان يزيد من تكريمه فإنه يدعوه للجلوس إلى جانبه . ومن العادات السيئه ان يتجه الضيف نحو اليسار لان هذا المكان خاص بالاسرة كما انه لايجوز ان يخترق الفرد الممرين موقد النار والشخص الجالس . ولابد وان يصاحب الزوار الرسمين « جوزة التدخين Pipe Smoking » حيث يبدأ المضيف بنشر دخان الجوزة إلى السماء والارض وإلى الجهات الاصلية الاربع ثم يصلى بعد ذلك ومن ثم يأخذ نفس منها ويدورها على الجالسين من اليمين إلى اليسار ويعد سوء طالع ان تمس الجوزة أى شيء فى دورانها لذا لابد وان تعطى بعنـــاية .

وتقام فى العادة الصلوات قبل تناول الطعام كما يحجز جزء من الطعام على

جانب للارواح وقد يتناول الرجال والنساء الوجبات سويا فى مسكنهم غير انهم فى المناسبات الرسمية يأكل الرجال بمفردهم . والاعياد الخاصه تكون مصحوبه دائما بالخطب وسرد القصص . ومن افضل السهرات حين يجتمع افراد مجموعتين من الجنود ليتفاخرا بما فعلا إذ يحاول كل شخص ان يحصى عدد قتلاه ويلتزم فى ذلك بالصدق إذ تقدر هذه الصفه فى الرجال .

وقد تعود الشين على رؤية الجرحى والقتلى باسباب طبيعية ولا سيما فى الصيد والحروب غير ان المرض يعلل على أنه المرض من فعل قوة خارقه وانه لا سبيل إلى التخلص منه إلا عن طريق لرجل المطبب ، حيث يمارس الشامان ـ كما هو الحال بين قبائل الهنود الامريكيين الاخرى بعض الشعائر والطقوس التى تعتبر من اسراره وخصوصياته . فبادىء ذى بدء يرتل سبع أغانى مختلفة مصحوبه بخشخشه وذلك بعد اطلاق دخان الجوزة المقدسة والتى تعتبر جزءا من علاجه الخاص حيث يخلط بها مجموعة من الادوية السحرية التى يفركها بيده ثم يضعها على الجزء المصاب من المريض . ويغنى بعد ذلك تسع أغانى يتناول بعضها الطعام الذى يقدم اليه .

وقد يوضع المريض فى بعض الأحيان فى كوخ صغير للبخر حيث توضع صخور محميه فى داخله ومن أن لآخر تصب عليها المياه لكى تصدر بخار كثيف. وفى هذه الاثناء يصلى الشامان ويغنى ويهز خشخاشه . ويتبع ذلك غطس فى النهر وكما هو الحال فى عديد من مجتمعات الهنود الامريكين يعتبر حمام البحر تطهير ومن ثم يستخدم من العادة لاغراض دينية بحته .

ومعظم الهنود لديهم وصفات معينة من أدوية والاعشاب يتناولها فى حالة المرض . وقد تأتى بهم الوصفه الطبيه فى المنام حيث ينظر اليها كقوة روحيه

أكثر من كونها دواء حقيق . ويحمل الرجال معهم دائمـــا خدمه طبيه « Medicine burdle » من الاعشاب الخـــاصه التى تربط من أعناقهم أو فى شعورهم .

ويستطيـع أى هندى أن يكون شامانا وفى اطـار هذه النظره فجميع أفراد الشين لهم درجات من قوة السحر ، ولـكن إذا ما كان هناك شخص اعتقد أنه على درجة غير عادية من التطبيب فإنه يستدعى لمساعدة الشخص العـليل فى مقـابل هدايا تعطى له ومن ثم يصبح ممتهنا تلك الحرفة . ويعتقد أن قليل من الشامانين لديهم قوة سحرية غير عادية يمكنهم بها تطويـع المـــرض أو الموت لارادتهم . وتستخدم هذه المقدرة فى العادة للتأثير على الناس ولـكن نادرا ماتحدث .

وحين يموت شخص يسرع الشين بالتخلص من الجثه وذلك خوفا من الاشباح فتبعد الجثه لمسافه بعيدة عن المعسكر وتوضع على حمالة من الاشجار أو فى كهف أو تغطى بالصخور .كما يقتل حصانه المفضل ويوضع بالقرب منه ذلك إلى جانب ممتلكاته الخاصة . أما بقية ممتلكاته فتعطى للغير . وقد يستمر المأتم لمدة عام أو أكثر ، وتقوم النساء المقربات اليه بقطع شعورهن وجرح رؤسهن وأرجلهن وإذا ماقتل الشخص فى معركة قد يصل الجرح إلى حـــد قطع الأصبع . أما الرجال فلا يقوموا بحلق شعورهم ويتركوا تطول خلال فترة الحداد .

ويعتبر الشين أن جميع الاموات تذهب إلى العـالم الاخر فيما عدا هؤلاء الذين ينتحروا فعالمهم هو السماء الذى يمكن الوصول اليه عن طريق معلق وفيها يعيش الميت مثلما كان يعيش على الارض ولـكن فى صورة أشباح وظلال . ومما تجدر ملاحظته فى هذا الصدد أنه حينما وصلت المرايا إلى جماعة الشين عن طريق التجارة انزعجوا بشده لانهم تصوروا أن الانعكاس عليها من فعل الارواح وأنه

من سوء الطالع أن ينظر اليها . ونفس الشيء حدث فى السنوات الاخيرة حين وصلت الصور الفوتوغرافية اليهم .

ويعتقد الشين فى قوة الهين أكثر من غيرهما من الالهة والارواح ، ويقطن احدهما فى السماء والاخر تحت الارض ، كما أن هناك أربعة أرواح قوية تعيش كل واحدة منها فى احدى الجهات الاصلية . والى جميع هذه الالهه يوجه الشين صلاتهم ودخان « البيت المقدس ».

والى جانب بيب التدخين أو البيب المقدس هناك عدد كبير من الأغراض الاخرى تستخدم كايقونات وتعويذات لازالة وإبعاد الحظ السيء وتأثير الارواح الشريره . فدروع المحارب وقميص الحرب وتلوين الجسد كلها علامات لها دلالتها المقدسه عنده .فكل شخص يرتدى أو يحمل سحر خاص مثل رؤوس الرماح أو خصله من الشعر أو حجر أو بلور أو بعض الحشائش والعشب . وهكذا تحرم عديد من الافعال اليوميه خوفا من انتظام الارواح . فالرجال الذين لديهم دروع معينة لا يمكنهم أكل الامعاء كما أن هناك أيضا من يحرم عليهم استخدام السكين فى الطعام أو أى أدوات معدنية أخرى وآخرون لا يستطيعوا أكل قلوب الحيوانات ... وهلم جرا .

وهناك نوعان من المعتقدات السحرية Fetishes لها دلالة كبيرة بالنسبة لكل قبيلة الشين أولها الاربعة أسهم التى يخصص اثنان منها للجاموس واثنان للرجل - والتى ينظر اليها على أنها مقدسه كما أنها تحت توجيه قوة خاصه . وهذه الاسهم مثل حزمة الدواء Medicine bundle لها نفس الدلالة عند جميع أفراد القبيلة حيث يسعى كل واحد لحوزتها ومن ثم تقام بعض الاحتفالات الهامة عند الشين من أجل تجديد الاسهم المقدسة .

أما النوع الثانى من المعتقدات وهو قبعة الطب Medicine hat والتى كانت فى وقت ما معادلة لرمز القبيلة سوتابو Sutaio وحيث أصبحت مقبولة بعد أن اندمجوا فى قبائل الشين الحقيقية .

وتصنع القبة من رأس الجاموس وقرونها ثم توضع فى رابطه تحت حراسة رجل خاص وحينما تعرض للجمهور فى مناسبات خاصه فيعتقد انها تجلب الحظ والصحة والرخاء على القبيله . والمكان الذى توضع فيه القبعه يشبه الكنيسه فهو مكان مقدس لايجوز لأى شخص أن يرتكب فيه جريمة أو يتتبع عدو .

وتقيم القبيله طقوسها الدينية الرئيسية فى فصل الصيف حين يجتمع كل أفرادها من المعسكر الكبير وأشهر هذه الطقوس مايطلق عليه رقص الشمس San dance والذى يمارس فى جميع أنحاء السهول . ذلك بالإضافة إلى احتفال الماسايم Massaum والذى يعرف فى بعض الاحيان باسم الرقص المجنون Foolish dance والذى يتضمن استعراض للمعارضين .

ورقص الشمس عند الشين أو كما يعرف لديهم باسم مكان الطب فهو يشبه بصفة عامة الاحتفال عند بقية هنود السهول على الرغم أنه بين قبائل الشين يوجه بوضوح إلى الأرواح وذلك من أجل خير القبيلة . فيقام منزل للاحتفال كبير على شكل مستطيل يوضع فى مركزة عمود مقـــدس تجرى حوله حلبة الرقص وتقديم العروض وتقام الشعائر المختلفة . وفى ختام الأيام الأربعة للإحتفالات يربط الشباب الراغب فى التعذيب الجسدى فى العمود بعد وضع الأسياخ فى جلود صدورهم . وقد لفت هذا العمل الأخير أنظار الأوربين والرجل الأبيض بعضه خاصة وكان عاملا فى منع رقص الشمس فى مخصصات الهنود الحمر على الرغم من أن هذا العمل ليس من أبرز مظاهر الإحتفال .

أما رقصه الماسيم Massaum فهى أساساً محاكة للسحر إذ ترتكز على تصور الشخص لصيد الحيوان وتمثيل الظروف التى يقتنص فيها الحيوان . وغرض هذا الاحتفال هو طلب وفرة فى الصيد وشفاء المرض وتأكيد النجاح فى الحرب ولذا فقد يمارس المعارضون حركاتهم التى تثير ضحك المتفرجين .

وقد وصلت حياة هنود السهول إلى أوجها فى الفترة التى تزاد فيها الاتصال السريع بالمجتمع الأمريكى . فى ذلك الوقت أصبحت منطقة السهول العظمى ميدان للصراع بين المدن الشرقية ونيو مكسيكو وكاليفورنيا وأريجون ولكن لفترة لم يكن هنـــاك استحواذ على الأرض إذ أن الرجل الابيض كان لا يوجد شيئاً سوى حماية عربات البضائع من السطو إذ أن استمرار العلاقة السلمية بينهم وبين هنود القبائل الهندية ساعد على حصولهم على الفراء فى نظير إعطائها الخرز والمرايا والسكاكين والآنية النحاسية والحديد . ثم أخيراً البنادق والبارود والقصدير والويسكى الرخيص الذى أقبل على تناوله شباب الهنود ومن ثم أصبح عنصراً هاماً فى التجارة .

وفى عام ١٨٣٢ افتتح طريق سنانت فى Santa fe الشهير الذى عمل على زيادة التجارة بين المدن فى مسيورى ونيو مكسيكو كما أن قبائل الهنود الجنوبية تاجرت على القوافل وعملت معهم غير أن بعض الجماعات قد هاجمتهم من آن لآخر لأنه لم يكن هناك بوليس قبلى . وكل هذه الامور كانت مثيرة غير أنها لم تمثل أى تهديد لقطعان الجاموس البحرى فى أرض الشين .

ولكن بعد أن بدأت أعداد العربات تزداد فى طريق أوريجون فى السهول الشمالية حتى صممت حكومة الولايات المتحدة على وضع الهنود فى حدود خاص بهم ومن ثم فقد عقدت معـــاهدة فى عام ١٨٥١ فى قلعة لارامى بينهم وبين

هنود الشين والاراباهو Arabaho حددت بواسطتها مساحة واسعة لصيدهم بين شمال نهر بلاتا ونهر اركانس وبين جبال الروكى وحتى التلال السوداء Black Hiels وقد كانت هذه المساحة كافية غير أنه بعد مضى ثمانية أعوام على توقيع الاتفاقية بدأ الباحثون عن الذهب يتجهون إلى منطقة نهر بلاتا ومن ثم توقع الهنود أثر صوب الغرب . وأسوأ من ذلك الجاموس البحرى الذى كان يعد المورد الرئيسى لمنطقة السهول أخذت أعداده تقل بسرعة . فقد لجأ الصيادون الاوربيون لصيد الجاموس من أجل جلودها فقط كما أن المسافرين عمدوا لقتل أعدادا منهم على سبيل الرفاهية . ويبدو أن ظهور الذهب كان بشير لإفناء المورد القديم للمنطقة وهو الجاموس الذى بدأ تقل أعداده ببطء فى بادىء الأمر ثم أخذ ينقص بدرجة مزهلة إلى أن كاد ينقرض بعد أعوام قليلة من الأحداث السابقة .

ويبدو أن تتابع الاحداث بسرعة قد ترك هنود السهول فى حالة من الإضطراب تقريباً . وذلك أولا لان أعداد كبيرة من الأوربيين وفدت فى أعقاب قيام طرق القوافل ولم يلاحظوا أو يعرفوا طبيعة المعاهدات التى وقعت مع الهنود من قبل ومن ثم فعند ما كان الهنود يهاجمون الهنود كانت قوات الحكومة تتبعهم وتفتك بهم . وهكذا تردد بين الأوربيين أن أفضل الهنود هو الهندى المقتول ومن ثم فلم يفرق الرجل الأبيض من الهنود غير المسالمين أو الهنود المسالمين أو الهنود الذين يجب عقابهم لجرائم لا يعرفوا عنها شيئاً . فقد ذهب الجنرال كوستر Custer إلى قرية الشين المسالمة فى بلاك كتل Black Kettle وأبدوها عن آخرها . كذلك فقد تمخض عن الموقعة التى حدثت فى Sand Hill بالقرب من دينفر Denver أن حصر معسكر الشين ورفع عليه علم القوات الأمريكية بعد أن أبيد من فيه وعرضت أشلائهم فى مسرح دينفر .

وقد وفد أعداد كبيره من البيض بعد الحرب الأهلية إلى منطقة السهول وتبعا لذلك أصبحت حياة الهنود فى هذه المنطقة مستحيلة . وفى عام ١٨٦٧ قبل الهنود الذين يعيشون فى النصف الجنوبى من السهول بما فيهم الفرع الجنوبى من الشعين نظام المخصصات ومن ثم فاستقروا فى خلال أعـــوام قليلة فى أوكلاهوما . أما فى الشمال فقد أدى استمرار تدخل الرجل الأبيض فى أراضى الهنود إلى نشوب الحروب الهندية التى بلغت ذروتهـــا فى أعوام ١٨٧٠ . فقد اتحدت قبائل الشين مع بعضها حيث نجحت فى إلحاق الهزيمة بالجنرال كوستر فى موقعة ليتل بيج هورن Little Bik Horn غير أن الدائرة أردت عليهم وهزموا وانتهى بهم الأمر للعيش فى مخصصات .

ومما هو جدير بالذكر أن معظم أراضى المخصصات غير صالحة للزراعة ، كما أن الزراعه هى فى هذه الحالة من اختصاص المرأة . وحتى رقصة الشمس قد حرمت ذلك إلى جانب جميع مظاهر الحياة القديمة لهم التى لم تجد مجالا لها فى المخصصات . وهذا التوجيه الخاطىء الذى تكرر باستمرار فى أجزاء متعددة من العالم حيث توجد الجماعات البدائية قد خضع للحضارة وكان رد الفعل فى أغلب الأحيان عنيفاً . ومثل ردود هذا الإحتكاك يعرف بإسم Revivalism أو messianism والتى تنطوى على إيجـــاد نظم تحتوى الإحتفالات والتقاليد الخيالية التى كانت موجودة قديماً .

وقد وجدت بين هنود أمريكا حركة عرفت بإسم رقصة الشبح الدينية Ghost Dance Rolgion والتى بدأت فى نيفادا فى عام ١٨٨٨ ثم انتشرت بعد ذلك إلى بقية القبائل الهندية الأمريكية المنتشرة فى الغرب الأقصى إلى أن وصلت أخيراً إلى قبائل السهول . وقد ذكر أحد قادة هذه الحركة من الهنود

ويدعى وفوكا Wovoka إن ماتعلمه من أصول الرقصة يساعده على إحضار أجداده الراحلين وتجديد الأرض بصيد جيد. وفى هذا الوقت تمكن الشين وكذلك قبائل السهول الأخرى من اعتناق الدين الجديد ومن ثم فقد دعوا سلمياً لمواصلة الحرب المقدسة ضد البيض. وهذه الحركة كانت فى مضمونها حركة الاحياء Revivalistic حرمت فيها الملابس والعادات والأدوات الجديدة للرجل الأبيض وجددت فيها الطرق القديمة . وهكذا قامت حركة مسلحة لهنود تيتون Teton فى داكوتا غير أنهم هزموا فى وندد نى Woundod knee ولم تحدث معارك أخرى على الرغم من أن الاضطرابات قد استمرت عدة أعوام .

وفى وقت لاحق صاحب حركة الاحياء أكل هنود أمريكا لزراير جافة مصنوعة من نبات معين يحصل عليه عن طريق التجارة على الهنود الذين يعيشون فى المناطق الهنوبية الغربية وفى المكسيك . ونظراً لأن هذه السلعة تحتوى على مادة مخدرة فقد انتشر استخدامها من الجنوب إلى هنود السول حيث يستخدمها الآن معظم الهنود .

ومنذ أن فشلت جهود الحكومة فى اجبار الهنود الذين يعيشون فى المخصصات الشمالية على الزراعة وحتى أخذت تربية الماشية تجد طريقها فى الاهمية بالنسبة للمنطقة . وقد ساعد على ذلك أنه ينظر إلى تربية الماشية على انها وسيله أفضل لعمل الرجل كما أن البيئة ملائمة لذلك. غير أن المساحة المخصصه صغيرة لاتكفى هنود الشين الشماليه والذين يبلغ عددهم ١٦٤٧٠ فردا لكى يربوا قطعان من الماشية تكفيهم . فمعظم السكان يعيشوا فى الوقت الحاضر فى اكواخ متلاصقه كنوع من الاحياء الريفية الفقيرة Rural Slum وهم على درجة كبيره من الفقر فبعض الرجال يعمل دورى وإن كان القليل منهم له حرف ثابتة بالقرب من

المخصصات أو بها ذلك إلى جانب بعض أرباب المعاشات وهؤلاء الذين يباعون بعض منتجاتهم المحليه . فقد وصل متوسط دخل الفرد لديهم فى عام ١٩٤٥ حوالى ٢٤٠ دولار وهذا المبلغ يوزع بطـــريقة أو اخرى بين الأفراد عن طريق المشاركة .

ولازال بعض التقاليد الاصليه معمرة بين الشين فالتأكيد على القرابة مازال ينعكس على فترة الزيارة الطويلة للاقارب ، كما أن قليل من وسائل التطبيب القديمة مازالت معمرة ذلك بالاضافة إلى أن بعض الاحتفـالات القبلية مازالت تمارس . ومن هذا يبدو أن عملية الاندماج فى المجتمع الامريكى الحديثة يسير ببط شديد حيث توجد معوقات أكثر من تلك التى ظهرت فى نظام المخصصات وعلى أى حال فالتزاوج والاختلاط مع الرجل الابيض مستمر فمزيد من أطفال الهنود يلتحقون بالمدارس ، كما أن المزيد منهم يحصل على وظائف خارج المخصصات أكثر من قبل . واذا مااستمر هذا الاتجاه فإن وضع الهنود الحالى سوف يتغير فى غضون جلين أو أكثر .وفى تلك الاثناء فإن الأمريكى الاصلى الصائد والمحارب والمكتفى ذاتيا أصبح مواطن من الدرجة الثانية بأمريكا وهو عـــلى مستوى اجتماعى واقتصادى منخفض بالنسبه لأى مهاجر وفد على تلك الأرض .

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

قبائل النوير

The Nuer of the Upper Nile River

قبائل النوير

يقطن النوير مناطق طويل من الحشائش المدارية التى تشغل المنطقة الممتدة من التخوم الجنوبية للنطاق الصحراوى وصوب الجنوب إلى شـــرق إفريقية ، وهم جماعات طويلة القامة ذوى سيقان طويلة ورؤوس ضيقة إذ يمثلون نتاج سلالى متنوع بين سلالة البحر المتوسط وزنوج غابات إفريقية . ويتحدث جميعهم لغات متقاربة وضعت حديثا كلها تحت مجموعة اللغات السودانية الشرقية . وقبائل النوير قبائل ترعى الماشية تتمثل خير تمثيل فى الجزء الشمالى من شرق أفريقية غير أنهم يختلطوا أكثر بجماعات البانتو الزراعيين كلما اتجهنا جنوبا إلى أوغندا .

ومن الجماعات الرعوية النقية المساى فى جنوب كينيا وشمال تانجانيقا وهم جماعات معروفة جيدا على الرغم من أنهم ليس أفضل النماذج النوير إذ أن الجماعات التى توجد فى الشمال تعتبر أكثر تمثيلا للمجموعات القبائل السودانية الرعوية المنتشرة فى المنطقة على نطاق واسع .

وأرض النوير فى وسط وجنوب السودان عبارة عن منطقة واسعة مـــن الحشائش يخترقها المجرى الأعلى من نهر النيل بروافده المتعددة ، وهى ذات مناخ مدارى حيث تنقسم السنة بالتساوى بين فصل شديد الجفاف وآخر غزير المطر فتبدأ من شهر ديسمبر وحتى شهر يونيو تنخفض المياة فى نهر النيل وفروعه ويبدو المظهر الطبيعى فى المنطقة وكأن الجفاف يسيطر على كل شىء ولكن ابتداء من شهر يونيو وحتى شهر ديسمبر تسقط الأمطار الغزيرة وتفيض الأنهار على ضفافها وتنمو الحياة العشبية الغنيه بحشائشها الطويلة .

وقد تبدو المنطقة للناظر حينذاك وكأنها منطقة مستنقعية . لاعلاقة لها بالمظهر الصحراوي الذي كان يسودها فى الجزء الآخر من السنة .

ومن وجهة نظر الزراعة الحديثة أو رعى الحيوان يبدو أن هذه المنطقة تشهد فترات تزيد فيها المياه عن الحاجة وأخرى تقل فيها لدرجة واضحة ، ولذا توجد أنواع متعددة من الحشرات فى المنطقة . ففى فصل الأمطار يوجد الباعوض بكثافة غير عادية لدرجة تحول دون عمل الانسان والحيوان اللهم إلا إذا احرق نارا يصدر منها دخانا كثيفا . أما فى فصل الجفاف فيهاجم الذباب بأنواعه المتعددة الحياة الحيوانية .

ويعتقد النوير أن بلادهم أفضل الأوطان على سطح الأرض ، والقليل منهم من تعدى فى ترحالهم مدينه الخرطوم . وتنصف جماعات النوير مثل بيئتهم بالشح وعدم الجود ومن ثم فالقبائل المجاورة لهم تخشاهم ، كما أن القوى الاستعمارية لم تهتم كثيرا بالاستيلاء على أراضيهم أو تجنيد الأهالى فى العمل . ونتيجة لذلك يعتبر النوير فى الوقت الحاضر من أكثر الجماعات البدائية الأصيلة تقاوة فى عاداتها الاجتماعيه وتنظيماتها على الرغم من المنطقة شهدت استعمارا بريطانيا .

ويبلغ عدد البوير حوالى ٣٠٠ ألف شخص غير أنه لا يربطهم جميعا أى وحدة سياسية فلا يشار إلى النوير كشعب أو مملكة بل عبارة عن مجموعة من القبائل المتشابه حضاريا ولغويا والتى تجعلها تشعر بدرجات متفاوته أنهم يكونون مجموعة مختلفة عن جيرانهم . وجماعات الدنكا التى ظلت لفترة طويلة من أشد أعداء النوير أكثر شعبها لهم من الجماعات الأخرى المحيطة بهم ومن المحتمل أن ينتمى النوير والدنكا إلى أصل حضارى ولغوى واحد (شكل ١٢) .

ومن جيرانهم الاخرين القبائل المتعددة المتحدثة بلغة الشلوك مثل الجالا فى أثيوبيا والانواك Anuak والبوير Beir . أما إلى الشمال فيوجد العرب الرعاة الذى اتصل بهم النوير فى بعض الاحيان . وبصفة عامة نجد أن طبيعة وصفات

شكل (١٢) النوير

اختلاط النوير بجيرانهم كانت واضحة .

وجماعات النوير جماعات رعوية أساسا على الرغم من أنهم مثل أى مجموعة رعوية أخرى فى العالم ، يقومون بزراعة بعض المحاصيل القليلة حينما يدفعهم الفقر إلى ذلك بغض النظر عن فقر التربة وعدم ملاءمة المناخ لذلك . وينظر النوير كما ينظر كل رعاه شرق افريقية إلى الزراعة على أنها مهنة أقل من مهنة رعى الماشية حيث يعتزوا اعتزازا كبيرا بالمهنه الأخيرة . وتمثل الماشيه المصدر الرئيسى للطعام فتأخذ منه الألبان واللحوم والدماء كما تستخدم الجلود فى صناعة الإسرة والحقائب والحبـــال والطبول والدروع فى حين تصنع العظام والقرون أنواعا متعددة مين الادوات المنزلية والآلات . وتعتبر الماشية من أهم ممتلكات النوير الذين لايعادلون أهميه امتلاكها بأى شىء آخر فقد ذكر أحـــد الباحثين وهو البروفسير ايفانس بويتشارد evars - Pritchard فى كتابه عن النوير الذى صدر فى اكسفورد عام ١٩٤٠ أن «النوير لايتحدثون عن شىء سوى حيواناتهم . وأنه وصل لدرجه اليأس أحيانا لأنه فشل أن يجد فى حديثه مـــع الرجال سوى الحيوانات والنساء بل أن الحديث عن النساء كان يقوده دائما إلى الحديث عن الموضوع الأول » .

ويعتبر اللبن غذاء النوير الاساسى على مدار السنة ، فقد يشرب طازجا أو يخلط بالذرة لعمل العصيدة كما يملح لعمل طبق خاصة مـــن الطعام ذلك إلى جانب صناعة الذبد وتحلب الماشية مرتين فى اليوم ، وتقوم النساء والاطفال بهذا العمل ويمنع على الرجل حلب الابقار ولايسمح بها إلا فى حالة عدم وجود أمرأة . وفى فصل الجفاف حين يكون الطعام نادرا يجف لبن الابقار ومن ثم فقد يلجأ النوير إلى قطع أحد شرايين الرقبه فى البقرة للحصول على الدماء منها . ويغلى الدم إلى أن يصبح سميكا ، وقد يترك ليتجمد وبعد ذلك يشوح ويأكل .

ولاترعى الماشية من أجل لحومها ولكن حينما تصبح ضعيفة أو مجروحة أو أو كبيرة فى السن فإنها تذبح وتأكل فى ظل احتفالات وطقوس. ويتولى الرجال رعاية القطعان فبعد أن تنتهى النسوه من حلبهن يقوموا بقيادتهم صوب المرعى والماء والاشراف عليهم طوال اليوم ليعودوا بهم إلى حظائرهم بالمساء ،وفى تلك الاثناء ينشدون أغانى تصف محاسن حيواناتهم . ومما هو جدير بالذكر أن النوير يغسلوا أيدهم ووجوهم فى بعض الاحيان ببول الابقار كما أنهم ينظفون أجسادهم وأسنانهم بدماء مصنوع من روث الماشية .

وأهم الغلات التى يزرعها النوير السوريجام وبعض الذره .ويعتبر السوريجام أهم الاطعمة لدى النوير بعد اللبن فيصنع منه العصيده والبيرة التى تعتق أسبوعيا ويؤكل قليلا من الذره حيث لاينمو جيدا مثل السوريجام فى ظل الظروف المناخية الرطبة . أما الماعز والاغنام فتنتشر بين قطع الماشية غير انها لاتعتبر مصدرا هاما للاقتصاد لديهم . ويمثل صيد السمك مصدرا آخر هام لطعام النوير . مع نهاية الفصل الجاف ومع بدأ موسم فيضان الانهار وتكوين المستنقعات يسهل عليهم الصيد الذى يتواجد فى البرك المنتشرة فى أراضيهم . وموطن النوير غنى بحيوان الصيد غير أن النوير لايقبل على الصيد بكثرة ، فتوجد هناك عديد من أنواع الجاموس والفيله إلى جانب وفرة من التماسيح غير ان النوير يشعر ان الفقير الذى ليس لديه قطيع من الماشية هو الذى يتجه للصيد من اجل الطعام . وقد يضطر النوير لصيد الفهود والنمور فى فصل الجفاف حين تهدد تلك الحيوانات مصدر قطعانهم اى ان الصيد فى هذه الحالة من اجل حماية انفسهم ويعتمدوا فى ذلك على الكلاب والرمح . ولايرى النوير الطيور كما يعتبروا ان كثرة اكل الطيور البرية وبيضها امراً غير مقبولا .

وفى خلال فصل الامطار يعيش النوير فى قـــرى اقيمت فوق الاراضى

المرتفعة البعيدة عن غائلة الفيضان حيث يمارسون زراعة حديقهم الصغيرة. وهذه البقع التى تقام عليها المحلات العمرانية قليلة جدا ومن ثم فاغلبية الأراضى الفيضية الواسعة أماكن غير مؤهله وكذا تتباعد القرى عن بعضها لمسافة قدتصل إلى حوالى ٢٥ ميلا . ويتحدد حجم القرية بعدد سكانهـا ومساحة الأراضى الزراعية الملحقة بها ، وهكذا يتراوح قاطنى القرية الواحدة ما بين خمسين شخصا وعدة مئات ومن الأشخاص . ومع نهاية الفصل الممطر وبعد أن تجف الأرض يشعل النوير النيران فى الحشائش من أجل تهيئتها لقيام مرعى جديد ثم يرحلون لاقامة معسكراتهم بالقرب من المجارى النهرية وروافدها وذلك لفترة ستة شهور وكثرة الحركه والانتقال ضرورية فى هذه الفترة نظرا لان المرعى يصبح أكثر تناثر مع تقدم فصل الجفاف .

ولاتوجد حقوق ملكية دائمة للارض عند النوير . فاختيار موضع القرية يحكمها فكرة أن الارض مشاعة للجميع وأن الملكية الوحيدة المتمسك بها هى ملكيه قطعان الماشية وهذه الملكية ملكية أسرية أكثر منها فردية ولذا فبعض العائلات أغنى فى قطعانها من البعض الاخر . ويعود هذا الاختلاف أساسا إلى مركز صاحبها غير أن هذا الاختلاف لاينتج عنه اختلافـا ذات قيمة فى مستوى المعيشة . فدرجة المساهمة فى المجتمع وأيضا فى المجتمعات المجاورة يتوقف على دور المجموعة ككل فى مدى اشتراكها فى مصدر طعام واحد . ولاتوجد تجارة بين النوير إذ أن النمو الاقتصادى بطىء جدا فى بعض الأوقات فى أثناء العام ولاسيما فى أواخر فصل الجفاف يوجد نقص واضح فى الطعام ومن ثم فيفرض على مجتمع النوير أن يتعاون جميعا فى كيان اقتصادى مشترك .

وتتمثل الوحدة الاقتصادية الصغرى عند النوير فى المـنزل أو النزله

hame stead حيث يتكون من كوخ او مجموعة صغيرة من الاكواخ وحظيرة للماشية بنيت جميعها من البوص وطين اللبن وقد تضم المنزلة اسرة بيولوجية واحدة أو ربما تشتمل على اسرة ممتدة ترتكز على الاباء وعدد من الابناء مع عائلاتهم . اما فى فصل الجفاف فالمعسكرات المؤقتة تشيد من حصر بسيطة لتكون مجموعة من الاكواخ على هيئة خلية من النحل يعيش بها مجموعة من العائلات المتقاربه التى تتعهد كورال Corral ، او حظيره كبيره مسورة تضع بها الماشية ، أو قد يعيش بها عائلات واحدة تجوب مساحة واسعة وتعتمد فى حياتها على ظروف الأرض وقربها من المرعى وأماكن الصيد الوفير وفى العادة يرتبط النشاط الاقتصادى بالمنزلة وذلك فى غضون الإقامة فى قرى بينما فى فصل الجفاف يصاحب النوير قطعان ماشيتهم فى مرعاهم ولذا تكون الأنشطة الاقتصادية أكثر شيوعاً .

ويربط جميع افراد القرية أو المعسكر صلة القرابة وهى نفس الرابطة التى تربط كل الأفراد والجماعات التى تصاحب النوير . فكل الحقوق والواجبات والامتيازات والعادات ينظمها إطار القرابة ، فلا يوجد أى شكل آخر للصداقة فأما الشخص قريب أو عدو ، وهكذا يستطيع النوير ان يصنع أى شخص له احتكاك بهم فى وضعه الصحيح . ومصطلحات القرابة لدى النوير متعددة ومنها ما يطلق على افراد المقاشرين للأسرة ذلك إلى جانب الأقارب من نفس العمر أو هؤلاء الذين تربطهم صلات معينة بالأفراد المباشرين للاسرة .

ومعنى ذلك أنه من المشكلات الاجتماعية تحديد نوعية الأقارب من مصطلح يطلق على أحد الأفراد المباشرين فى الأسرة . ولذا فجميع الأقارب الذكور الذين ينتمو لجيل الآباء والامهات يطلق مصطلحى أب وأم ، كما أن الأقارب من

جيل واحد يطلق عليهم مصطلح أخ أو أخت ، كما أن أطفال الأخ والاخت يطلق أبناء وبنات . ويعتبر الخال كما هو فى بعض المجتمعات ذا وضع خاص فى القربه بالمقارنة بالذكور الآخرين فى نفس جيلة ولذا فيشار اليه دائما بمصطلح مميز وبطبيعة الحال هناك طرق مختلفة لتحديد درجات القرابة بشكل أوضح . فقد يستخدم مثلا مصطلح شقيق الاب فى مخاطبة العم بدلا من اطلاق مصطلح أب عليه ولكن ينظر النوير على استخدام مصطلحات محددة فى القرابة شكل شيء يتسم بالبرود والبعد .

وتعتبر قرابة السن مسألة هامة فى العلاقات الشخصية بين النوير ويبدو أن هذه المسائلة تفوق فى أهميتها أى اعتبر آخر . فيوضع كل فرد من أفراد النوير فى قسم تبعا لمصطلحات نظام العمر . فجميع الذكور يقسموا إلى درجات تبعا لأعمارهم فهناك الكبار والمتساوين والصغار . فيستطيع المرء أن يميز الكبار على أنهم أرفع قدرا من الصغار وأنه غير متكافئين مع متوسطى الاعمار . أما النساء فيتبعوا النظام الذى يحتوى الامهات والزوجات و الشقيقات والبنات اللاتى تنتمين إلى أشخاص ذكور معينين . وهكذا بحكم استخدام مصطلحات القرابة العمر النسبى أكثر من القرابة الفعلية ولهذا فيخاطب أى شخص من مجموعة كبار السن بمصطلح أب أو أم بينما يخاطب الصغار بمصطلح ابن أو أبنه . أما الشيوخ فيطلق عليهم لقب جد وجده . أما الرجال من نفس العمر إذا ما كانوا أصدقاء ينادى كل منهم الآخر باسم ثوره إذ أن اسم الثور يطلق على صاحبه .

وعلى الرغم من الاستخدام الواسع لمصطلحات القرابة المحدودة التى تطلق على عدد كبير من الناس إلا أنه توجد اختلافات هامة فى السلوك بين الاقراب من مختلف الدرجات . فلكل شخص صلات قرابة من جهة ابيه وأخرى من جهة

والده ، غير ان القرابة المتصلة بالطرف الأول تعتبر أهم قرابة الطرف الثانى . فافراد تسلسل الاب وهم أقرب الاقارب والصقهم لا يشترط تقاربهم فى الحدود ولكن القرب هنا فى الشعور أوضح . وهذا هو السبب فى أن الخال يخاطب فى بعض الأحيان بمصطلح خاص بينما يشار إلى العم بمصطلح أب إذ ان الأخير احد الافراد المتحدثين لتسلسل الاب وذلك على النقيض من الخال الذى يمثل نوعا أخـــرى . ويعنى التسلسل القرابى Lineage nember ship التمثيل فى المجموعة التى تشارك فى حقوق الأرض والتى تحكمها التزامات سياسية وقانونية عامة كما ان لها حقوق احتفالات معينة . ويعيش فى كل قرية أكثر من تسلسل قرابى بل ان التسلسل الواحد قد يكون له فروع متناثرة فى قرى مختلفة . وهكذا يلعب التسلسل القرابى الدور السياسى بمعنى أن كل افراد القرية لهم شعور طبيعى قوى نحو قريتهم . وهذا الشعور يكون بطريقة ما وحدة متكاملة يشارك أفرادها اعداد من الأنشطة الاجتماعية والاقتصادية . ولا يسمح نظام التسلسل القرابى بزواج الفرد من مجموعته التسلسلية انما يحدث الزواج فى القرية بين التسلسلات المختلفة .

ومن ثم فالتسلسلات القريبة تربط أفراد القرية بعضها ببعض حيث تشكل اتحادات وتخلق مجموعات أكبر بحيث قد تبدو القرى مكتفية ذاتيا .

وتكون الانساب المتقاربة مجموعات أكبر وهى العشيرة . وإذا كان درجة قرابة أى شخص تعرف بين ذوية فإن العشائر ينظر اليها على انها تتكون من انساب وليس من أفراد فصلات قرابة كل نسب بالآخـــر معروفة فى العشيرة ولكن الأفراد يعرفوا فقط كتوابع لأفراد لعشيرة التى انحدرت من جد عام .

وقد تتحد القرى فى مقر سكنى عام إذ قد تشغل عدد من القرى منطقة من

أرض يشعر قاطنيها بأنها وطنهم بعادتهم وحرفتهم وفى مثل هذه الحالة تعرف هذه القرى باسم عام هو اسم الناحية وفى نفس الوقت اسم مجموعة السكان . وقد يشعر أيضا بعض هذه النواحى بصلة القرابة بين بعضهم فى مساحة أكبر من الأرض وبالتالى تشعر المجموعة الأخيرة بنفس الصلة بمجموعة أكبر منها إلى ان يظهر اتحاد أعم واشمل يربط بين المجموعة المتقاربة تحت اسم القبيلة .

وجماعات النوير كلها تنقسم إلى ثمان أو تسع قبائل كبرى يتراوح عدد أفراد كل منها بخمسة الآف شخص وان كانت هناك جماعات اصغر من ذلك كثيراً ولكن القبيلة هى أكبر وحدة من السكان الذين يقطنون منطقة معينة ولهم اسم خاص والذين يشعرون سويا بالانتماء belongingness . ولا توجد حكومة بين قبائل النوير ومن ثم يعرفوا كشعب وكأمة فى إطار اشتراكهم فى لغة وحضارة وحدود واحدة اى أن التعريف السياسى غير وارد فى هذا الصدد .

وتتكون كل قبيلة من قبائل النوير من عدد من العشائر ولكن يوجد دائما بينهم عشيرة تشعر أنها أعرقهم وأكثرهم تميزاً وهى فى بعض الاحيان وليست دائما أكبر العشائر . وعلى الرغم من ان لكل عشيرة عدد من أفرادها فى كل قرية إلا أن هناك عشيرة بعينها تشعر أنها هى الأهم فى كل قرية ، وأخرى فى كل ناحية وهلم جرا ومن ثم فهناك من الأشخاص من يستطيع التحدث باسم العشيرة السائدة فى كل ناحية كما هناك من يمكنه التحدث باسم القبيلة ككل . وفى ضوء هذا الواقع نجد بعض الإختلافات الاجتماعية بين الأسر فى كل المناطق حيث تربط هذه الأختلافات بالمركز أكثر من السيادة أو الامتياز . فلا يوجد هناك طبقات اقتصادية تعتمد على ثراء اقتصادى مورث أو اختلاف فى مستوى المعيشة .

ولا يوجد بين قبائل النوير حكومة بمعنى الكلمة أو سلطة منظمة أو أى قانون . انما يوجد فقط بعض الرجال المؤثرين الذين لديهم نوعا من السلطة التى تعتمد على مقدرتهم على القيادة أكثر من اعتمادها على المركز أو الوظيفة الموروثة وفى العادة يأتى القائد من العشيرة البارزة ولكن لا بد له من أن يكون قوى الشخصية ذا حكمة حتى يمكنه اجتذاب الآخرين . والنوير جماعات تؤمن بالمساواة بقوة ولذا فلا يمكنها قبول أى سلطة فيما عدا تلك التى تتأتى عن طريق الأسر والتى تنطوى تحت تقسيمات السن والنوع فى نظام القرابة .

والمركز الذى يشبه كثيرا الوظيفة السياسية هو رئيس جلد النمر — Leopard Skin chief وسمى بهذا الاسم لأنه يسمح له بأرتداء روب من جلد النمر. ووظيفته الأساسية بالإضافة إلى بعض الطقوس المعينة ـ التوسط بين الخصوم . واعنف الاضطراب الاجتماعية فى حياة النوير ترتبط بتقل رجل لآخر. فكما هو الحال فى المجتمعات البدائية الأخرى التى تفتقر إلى وجود مؤسسات حكومية فإن هذا العمل يسبب الفرقة بين الاقارب ويكون بداية للخصومة والعداء الحقيق . ولا تسمح مجتمعات النوير لهذا الحدث أن يمر بدون ربط إذ أن المجتمع لا تنعدم فيه السلطة كلية رغم عدم وجود قضاه أو أى سلطة حكومية فى المحلة العمرانية .

فحينما ترتكب جريمه قتل يذهب القاتل إلى رئيس جلد النمر المحلى وإذا ما كان يخشى الانتقام فى الحال فإنه يظل مع الرئيس الذى يعتبر منزله مقدس . ودور الرئيس بعد ذلك هو إن يذهب إلى اسرة القاتل ويتفق معها على دفع عدد من رؤوس الماشية إلى اسرة القتيل ثم يحاول بعد ذلك إلى اقناع اسرة القتيل بقبول التعويض وعلى أى حال فهو الوحيد الوسيط. وإن كان ليس لديه أى سطة للحكم أو للاجبار على الدفع أو القبول .

ويمثل جلد الثور دور الوسيط فى بعض المنازعات الأخرى كما هو الحال عند الاختلاف على ملكية الماشية . وقد يستطيع الرئيس ومثله فى ذلك مثل كبار السن فى المجتمع أن يعبر عن رأيه فى الحالة ويحاول أن يناقش طرفى النزاع . ولكن كما سبق أن ذكرنا ليس لديه أى سلطة بالنسبة للداعى أو المدعى عليه .

وفى بعض الأحيان يوجد بعض الرجال الذين يفضل الأهل تسميتهم بالانبياء لهم بعض النفوذ السياسى . وهؤلاء الرجال يكونوا فى معظم الاحيان من الشامانين أو المطببين والذين يعتقد انهم يملكون روحا مساويه قوية . وفى بعض الاوقات يتمكن هؤلاء الرجال من توحيد عدد من المجموعات إبان الحملات الحربية أكبر من ذلك العدد الذى يمكن تجميعه فى غيابهم . ومن أفضل مأثر هؤلاء النبياء ماقاموا به من مقاومة التغلغل العربى والاوربى لاراضيهم فى القرن الماضى غير أن الاحتلال البريطانى لاراضيهم قد وضع نهاية لنشاط هؤلاء « الانبياء »

ويؤمن النمر بأن العلاقات السلمية لا بد أن تسود بين الاقارب الذى يجب مساندهم وإن درجة القرابه ترتبط ايضا بدرجة المسالمة . وبصفة عامة نجد النوير يتزوج من قبيلته ومن ثم فرابطة القرابه لا تتعدى حدود القبيلة . وإن كانت القرابة قد تمتد من ناحية أخرى إلى ماوراء القرى المحلية لأن قبول جماعات النوير فكرة تحريم الزواج من الاقارب وسعت نطاق مجموعات الزواج لديهم فلا يستطيع النوير أن يتزوج من ذرية أو عشيرته وبما أن العشيرة قد تكون كبيرة جدا لذا فقطاع عريض من السكان حرم عليه الزواج من بينهم . كذلك تحول قواعد الزواج الارتباط بأسرة الام وله بأى ذرية من عشيرتها . ولا يوجد تحريم للزواج المحلى غير أن القربة لكونها تضم مجموعات متقاربة لذا لابد للزوج للبحث

عن الزوجة خارج نطاق قريته . بمعنى أن الزواج المثالى هو الذى يحدث بين افراد تتزاور عائلتهم فى قرى تبعد عن بعضها .

وهدف الحياة النوير ذكورا كانوا أم أناثا منذ نعومة اظافرهم هو الزواج والبيت والابناء . فبعد البلوغ تطلق الحريه كاملة للفتى والفتاة لممارسة الحب حيث يجد كل طرف رفيقه دون تدخل من الاسرتين غير أن الزواج غرض بعيد عن العلاقة العاطفية ، إذ أن اسرة الفتاة من الضرورى وأن توافق على اسرة العريس إذلا بد وان يكون لديهم عدد كاف من قطعتين الماشية .

وقد يتم الزواج الحقيقى بعد دفع اسرة العريس عدد من رؤوس الماشية لأسرة العروس وفى العادة يتم الدفع على ثلاث فترات تصاحب كل منها طقوسا معينة ترتبط بالخطوبة Petrothal والزفاف Wedding واكتمال الزواج Consummation . فى وقت حفل الخطوبة بمنزل العروس تأخذ اسرة العريس يرافقها اصدقاء العريس عدد من رؤوس الماشية كهدية حيث يتمكن «افضل الرجال best man» (وهو المتحدث باسم اسرة العريس) الوصول مع اسرة العروس على اتفاق بشأن عدد رؤوس الماشية وتواريخ احتفالات الزواج وفى هذا الصدد يقام احتفال غنائى راقص ويذبح ثورا كوليمة . وبعد مضى عدة أسابيع وبعد مناقشات مستفيضة يحدد خلالها عدد رؤوس الاغنام التى تعطى لاقارب الفتاة الخاصين يعقد حفل الزواج مرة آخرى من منزل الفتاة ويحضره عدد كبير من افراد الاسرتين .

أما الزواج الحقيقى فيحدث عندما يعقد الاحتفال الثالث فى منزل العريس . وهذا الاحتفال هاما لأنه يتوج الرابط النهائية بين اتحاد الأسرتين كما أن الزوج ليس له حقوق على زوجته حتى هذا الحفل بمعنى انه لايستطيع معاقبتها فى حالة

خروجها عن أوامرة كذهابها مثلا إلى حفل راقص يدعى اليه أناس غير متزوجين وهناك لحظات هامة فى الاحتفال الثالث أهمها أثناء الليل حين يحدث الاتصال الجنسى لأول مرة بين العروسين ، وحين تذبح الثور فى الصباح كنحر مقدس يأكل منه جميع أفراد العائلتين فيما عدا العروس التى يحرم عليها الأكل فى منزل حماتها . وفى هذه الحالة تدهن العروس بالزبد ويحلق شعرها كاعلان لتغير وضعها.

ولايعيش الزوجان سويا بمعنى الكلمة إلا بعد انجاب طفل . فتعطى الفتاة كوخا خاصا فى مقر أسرتها بينما يبقى الزوج بين أفراد اسرته ويقوم كل ليلة بزيارة زوجته كلما استطاع ذلك . ولكن بعد انجاب الطفل يقبل الزوج كعضو فى أسرة الفتاة حيث يقيم مع اسرتها إلى يفطم الطفل ثم يرحل بعد ذلك هو وزوجته ليعش فى قريته .

وقد يظل الزوج والزوجه والأقارب فى قلق شديد إلى حين ولادة الطفل وسبب ذلك لايعود إلى حبهم إلى الأطفال فحسب بل لان الزواج لايصبح مستقرا إلا بعد ميلاد الطفل . فمن الممكن أن ينفرط عقد الزواج بسبب العقم وفى هذه الحالة ترد رؤوس الماشيه التى أخذتها أسرة العروس إلى اسرة العريس ومعنى ذلك انه لايجوز التصرف فى رؤوس الماشيه طوال هذه الفترة .

وبعد فطام الطفل الأول يبنى الزوج كوخا لزوجته وطفله فى مقر والدة وأول واجبات الزوجه فى مستقرها الجديدهو تشييد « دزوة Wind Screne » من الطين لتكون مكانا لارواح ذويها . لان ذلك يعنى كثيرا من التغير بالنسبة للزوجه إذ عليها من الآن وصاعد أن تذرع ذرعها وتحلب ماشيتها حيث يعطيها والد زوجها عدد من رؤوس الماشية لكى تبدأ حياتها المنزليه المستقلة .

ومع مرور الزمن وتتابع الحوادث نجد أن أحدا لايفقد مافع له من ثروة

إبان الزواج إذ تتقاسم المجموعة الماشيه التى تأخذها فى أى وقت بين الأقارب ومن ثم فعليهم جميعا المساهمة فى تجميع الماشيه المطلوبة لأى عريس ودفع الماشيه بهذه الصورة لايعنى مطلقا شراء العروس لها إذ أن الماشية كما تأتى إلى المحلة العمرانية تخرج منها . إذ أن ابرز ناحية لتحرك الماشيه بين ناحية والمرأه من ناحية أخرى هو الاستقرار الوظيفى الذى وجد فى المجتمع إذمن أكثر الأمور صعوبةوتعقيدا هو انهاء الزواج وذلك لأن الماشيه الموزعه على نطاق واسع لابد من عودتها لذا تستخدم أسرة الزوجه كل نفوذها لكى تظل مع زوجها ولهذا السبب ولكى تتجنب كثير من الصعاب يأخذ الزواج وقتا طويلا ومراحل متعددة لأن النوير يرغبوا من التأكد من استقرار الزواج قبل أن يتورطوا كاملا فيه .

ولابد للرجل الشاب من أن يميز عن أقرانه بحكم القانون وإن كان بعدميلاد طفله الأول وفطامه يتغير وضعه حيث يقبل على انه أحد الأقارب أكثر من كونه مجرد خاطب Suitor فوالدى الفتاة يخاطبونه الان باسم مولودة كما ان العلاقات الإجتماعية أصبحت مبنية على استخدام مصطلحات القرابة . وحيث لايتجنب الرجل أو الصبى حماته لفترة طويله بعد ذلك فيمكنه محادثتها بحرية كما يمكنه زيارتها من أن لآخر ولايحرم على الزوج إلا شيئين أولها تناول الطعام فى منزل والدى عروسة وثانيها الظهور عادى أمامهم .

ويمارس بين النوير نظام « الليفيرات » Levirate التى تجبر الأخ على زواج زوجة أخيه فى حالة وفاته .فى العادة يضطلع الأخ الأصغر بمسئوليه هذا الزواج ورعاية زوجة أخيه وأبنائه . وفى هذه الحالة لانقام أى احتفالات للزواج وتظل الأرملة محتفظة باسمها الأصلى كزوجه للأخ المتوفى .

وأحيانا يكون للرجل أكثر من زوجه وفى هذه الحالة لايكون للزوجة

الأولى أى وضع خاص إذ يعتقد النوير أن الزوجات لابد وان تعاملن جميعا بالتساوى . وقد يؤدى هذا الوضع إلى احتمال الاحتكاك بين الزوجات ويعرف النوير ذلك جيدا إلا ان أسباب تعدد الزوجات إلى جانب نظام الليفيرات ترجع إلى حين يموت الرجل دون ان ينجب ذكراً إذ لابد ان يستمر اسم الرجل فى ذريته الذكور وان الأرواح والاشباح سوف تكون غاضبه ـ كما يعتقد النوير إذا حدث ذلك . ولهذا يعمد اخيه الاصغر أو أحد المقربين اليه لزواج زوجة الرجل المتوفى وهنا يعتقد أن شبح الرجل المتوفى هو الزوج الشرعى يأخذ الاطفال اسمه ويسمى هذا الزواج باسم زواج الاشباح « gost marriage » .

كذلك يوجد هناك نوعا من الزواج بين امرأتين اللتان يكون احد أزواجهن عاقر . حيث يحضر الاطفال إلى الزوجين بمساعدة رجل قريب أو صديق ويمارس الاب فى هذه الحالة مسئولية نمو الاسرة كربها وكوالد الاطفال. وليس هناك أى دليل على ان هذا الوضع نتيجة لعلاقة جنسية شاذه بين امرأتين إذ حقيقة الامر ان شخص ثالث هو المسئول عن الطفل .

ويعيش الاطفال مع امهاتهم فى اكواخ صغيرة تحيط بحظيرة الماشية، وحين يبلغ الصبى سبعة أو ثمانية أعوام يأخذ الطفل من أمه ليذهب لقيام وياكل ويقضى وقت فراغه فى الحظيرة التى اقيمت لحماية الماشيه فى الوقت المطير ولتكون بنفس الدور الذى تقوم به دروة الرياح فى فصل الجفاف أى لتكون منتدى ومكان لتجمع الرجال وهكذا ترتبط الاكواخ بالحدائق بينما تتصل الحظائر بالماشية ومن ثم فالتقسيم الإقتصادى لعمل المرأة فى الزراعة والرجل مع الماشية كل فى قطاعه المنفصل ، وهذا لايعنى أن مركز المرأة فى مجتمع النوير أقل من الرجل إذ تقوم بجزء من النشاط فى الحياة اليوميه للمجتمع فنختلط بحرية بين الرجال وتساهم برأيها بحرية بين الآراء .

ولاتقتصر خبرات النوير على عائلته فحسب فكل السكان الذين يتجاورن مسكنه يساهموا فى تنشأة الطفل كما أن أى امرأة مرضع فى أى مكان فى القرية يمكن ارضاعه . ويقـــع على الام وأقاربها الاناث ولا سيما كبار السن منهم مسئولية توجيـة الاطفـال . أما أباء النوير فيدللون أطفالهم ويقضون اوقات طويلة معهم فى اللعب ولكن لايعاقبوهم ابدا .

والطفل الاول ولاسيما إذا كان صبيا يعامل معاملة خاصة ، فكما سبق ان ذكرنا يولد الطفل فى منزل أسرة والدته وانه يأخذ إلى مستقر ابيه بعد فطامة وإذا ما كانت جدته لامه على قيد الحياة فربما يترك تحت رعايتها ولا يذهب إلى قريه ابيه طوال فـــترة تربية أن إذ لم يكن له جده فأنه يبقى مع ابوية حتى السادسة أو السابعة من عمرة ثم يذهب بعد ذلك إلى منزل عائلة أمه ليعيش مع اخواله حتى السن الذى يقوم به باعمال الرجال ليعود ثانية إلى منزل أبيه .

وأهم حدث فى حياة الصبى النويرى وذلك قبل زواجه هو وضعه فى نظام الاعمار . هذا الحدث كما هو الحال فى معظم الجماعات البدائية يتضمن مجموعة من الشعائر المعقدة والتعذيب المضنى الذى ينتقله من مرحلة الطفولة إلى المرحلة التى يتطلع فيها بمسئوليات الرجال . فيوضع الاولاد الذين تتراوح اعمارهم ما بين ١٤ و ١٦ سنة سويا والموجودين فى القـرية فى هـــذه الشعائر حيث يوجهوا توجها جماعيا .

وابرز مظـاهر التعذيب التى تصحب وصول مرحلة الرجوله هو احداث ستة قطوع فى الوجه تمتد من الاذن إلى الاذن الاخرى ، وبعد هـذه العملية يوضع الصبية فى معزل خاص تمارس فيه مختلف المحرمات. ولايحضر هذه الطقوس والشعائر والاحتفـالات سوى الاباء ورفاقهم من نفس العمر وافتتاح واختتام

فترة التنصيب تذاع على جميع القبيلة وتبدأ باعلان خاص من متخصص يطلق عليه رجل القطيع Man the of Cattle

ويحاول الصبيه الذين التحقوا بفترة التنصيب أن يشتركوا فى أى غارة وذلك من أجل إبراز رجولتهم وشجاعتهم غير أن نظام الأعمار ليس فى الواقع نظام حربى كما هو الحال بين بعض المجتمعات الرعوية الأفريقية الأخرى أو نظام متصل بأنشطة معينة . حتى شعائر التنصيب ذاتهـــا لا تتضن أى تدريبات أو تعليمات خلقية إذ لا معنى لها سوى تقسيم المجتمع إلى مجموعات تنظم بينها العلاقات السلوكية بين الرجال بعضهم وبعض وذلك فى إطـــار مصطلحات التقارب العمرى . ولا يمثل عمر التنصيب للشاب أهمية بالنسبة للأعمال المنزلية المحلية إذ يعطى الأب أو الخال الولد فى هذه الفترة أول رمح يحوله إلى وضع محارب كما أول ثور . وفى هـذا الوقت يأخذ إسم ثوره أى ينـادى بالإسم الذى ينادى به الثور الخاص به . ومنذ تلك اللحظة وإلى أن يتزوج يصبح رجل بمعنى الكلمة إذ يحاول جهد استطـاعته ليبرهن على مقدرته على أن يكون رب أسرة وعلى مقدرته على الرقص وعلى الحب وذلك من أجل طلب الزوجة .

ويحرص النوير على إظهـار الخضوع الحقيقى لكبـار السن ولكن فيما عدا هذا النوع من الطبقة الإجتماعية فلا يوجد أى نظام للسيادة أو الخضوع فالمجتمع يتسم كما سبق أن ذكرنا بالتساوى . والنوير كرماء فيما بينهم ولكن يقابل أى طلب على صورة أمر بغضب شديد . ولا يثير وجود الغريب بينهم أى خوف أو حب استطلاع إذ يعتبر النوير انهم اسياد الأرض .

ولم يتمكن النوير من تطوير أى نوع خاص من الفنون فيما عدا الغناء الشعرى وهم يشاركون فى ذلك لأسباب متعددة غيرهم من الشعوب الرعوية فى

العالم ، فحين يشعر الطفل النوير بالسعادة يغنى ، ويفعل نفس الشيء أيضاً حينما يرعى الماشية أو يخطب فتاة وبعض الأغانى تقليدية غير أن بعضها ينظمها ويرتلها المغنى فى الحال . وبعض الأغانى تكون جماعية وبعضهـــا فردية إلا أن محورها جميعا يدور حول رعى الماشية .

ويوجـد لدى النويرخوف شديد من أشبـاح الموتى . فبعـــد الموت بوقت قصير تدفن الجثة فى قبور عمقها حوالى أربعة أقدام بعد أن تلف بجلود الأبقار ولا يوضع معها أى ممتلكات شخصية أخرى . ويبـــدأ الأقارب وأصـدقاء العمر فى ترك شعورهم تنمو ويخلعون الزينة والحـــلى من على أجسامهم . وأهم احتفال يحدث فى نهاية فترة الحزن وذلك بعد مرور ستة شهور على وفاة الرجل أو ثلاثة شهور على وفاة المرأة ، حيث تذبح الثيران لأقامة وليمة ويرش اللبن فى الشعائر . وبعد الوليمة يحلق المعزيون والأقارب رؤوسهم ويزتدون حليهم المعتادة . والغرض الأساسى من الحفل هو مباركه الروح الصاعدة وذلك لكى لا تقوم بأى محاولة لأخذ زوجة المتوفى أو زوج المتوفية والأولاد والقطيع .

وإذا ماقضى المرء نحبه فجأة بدون مرض سابق فيعتقد النوير أن إله السماء Sky God قد أخذ الروح ورفعهـــا إلى السماء . وفى هذه الحالة لا تحدد فترة للحزن إذ أن الروح لن تعود إلى الأرض فى هذه الفترة ومن ثم تنحر الماشيه فى الحال بعد دفن الجثه . ولا يظهر النوير تأثر شديد أو حزن على الميت وذلك لأنه رغبة إله السماء إذ ما اختار شخص وأن إبداء أى عاطفة يعتبر اعتراض على فعل الإله .

ويوجد عديد من إله السماء أو الأرواح والتى أقوها ذلك المعروف باسم الدنج Dong والذى يرتبط بالمرض . وهناك أرواح أخرى ينظر إليها على أنها

إله الحرب والصيد والرعد والبرق وعلم جرا . كذلك توجد أرواح للأرض ينتمى عديد منها إلى أنواع مختلفة من الطيور والحيوانات والتى تؤدى وظيفة الطواطم للانساب وتعتبر الطيور طواطم مقدسة على وجه الخصوص لدى النوير وهذا يوضح السبب وراء عدم تناول النوير فى طعامهم لحوم وبيض الطيور .

ويوجد فى مجتمع النوير بعض الرجال الذين يدعون بقوة خاصة فى التطبيب بسبب سيطرتهم على أحد الأرواح الطوطمية . ويعرف فى هذا الصدد عدد من المطببين المتخصصين فهنـــاك المتخصص فى الكهنوت والعرافة والآخر فى شفاء صداع الرأس أو الإمساك . ويرتبط الكهنوت بقراءة الأغانى بينما تتضمن عملية الشفاء الطرق العالمية فى التدليك واستخراج أو جذب الأشياء الغريبة من الجزء المصاب فى المريض وقد اكتسب بعض الشامانية تأثير قوى على النوير فأطلقوا عليهم إسم الأنبياء وذلك لإعتقادهم أنهم يمتلكون أرواح أقوى تساعدهم أكثر من الكهنة العاديين . ويمارس بعض هؤلاء وظيفة صانع المطر والمسئول عن الاحتفالات التى تقام ويضحوا فيها بالماشية من أجل روح الرعد . وصانع المطر وظيفة هامة بين جماعات الدنكا والشلوك المجاورة لجمـــاعات النوير غير أن هذه الوظيفة أقل أهمية لدى النوير .

ويقيم النوير فى بعض الأحيان أهرامات مختلفة الأحجام وذلك تكريما لروح إله معين ، وقد يصل ارتفاع هذه الأهرامات إلى ٥٠ قدما ومحيطها إلى ٣٠٠ قدم. وتبنى الأهرام من طوب اللبن والرماد ويحاط بأنيـاب الفيلة . وربما وصلت إليهم فكرة إقامة الأهرام عن طريق مصر الفرعونية ولكن أهرامات النوير على النقيض من الاهرامات المصرية لم تستخدم كمقابر ولم يجند فى بنائها العمال .

ويسود بين النوير فكرة « عين الحسود evil eye » أو الشخص الذى لديه

قوة خارقة تسبب الخسائر لاى شخص ينظر إليه ويرتبط بذلك أيضاً عمل السحر ولاسيما هؤلاء الذين يمارسون بعض شعائرهم على جثة الميت الحديث وذلك من أجل السيطرة على أرواح الاقارب الذين على قيد الحياة . وكما هو سائد فى المجتمعات الإنسانية فإن الأشخاص غير المحببين أو الذين يقومون بأعمال تثير الخوف فى النفوس وترتبط بالسحر يذكر النوير أنهم كانوا يقتلوا فيما مضى .

ولدى النوير عدد من المعتقدات والأساطير الخاصة بنشأتهم كبشر وبداية عادتهم. فهناك اتفاق عام بينهم على أنهم انحدروا من السماء ونزلوا إلى شجرة كبيرة جدا ومنها إلى الأرض ليصبحوا بشرا . والأجداد الأوائل كانوا أخوة غير أن « البطل الحضارى Culture hero » المعروف باسم « جا Gaa » قسمهم إلى قسمين وأمرهم أن يتزوجوا فيما بينهم وحرم عليهم الزواج من نفس المجموعة . ومع مرور الزمن وازدياد الأعداد تفرع النسبين إلى عدة فروع لتكون المجموعات المتقاربة عشائر .

والتوقيت الزمنى لدى النوير محـــدد بمدى قصير جدا بمعنى أنهم مثل معظم القبائل البدائية لا يعرفون الوقت Timeless people. فينظر إلى السنة على كونها مجرد مصطلحات بسلسلة من الاحداث نشأت من فصلين متميزين . وقد تستخدم الاقمار والتى تحـــدد بالدورة القمرية شهريا فى بعض الاحيان لمعرفة الوقت وعدد الايام وأى جزء من اليوم . ولكن يعرف الوقت أساسا لدى النوير بالإشارة إلى الانشطة فليس لدى النوير مصطلح معنى كلمة وقت كما هو معروف فى العالم المتحضر حيث لا يوجد لديهم مفهوم مجرد لهذه الكلمة بمعنى الإضاعة أو المحرر أو الإختصار . فالانشطة لا توجه عبر الزمن إذ أن التحكم فى أداة الانشطة يعود للأنشطة ذاتها التى تمارس على كونها أنشطة للترفية أو للحياة المعيشية .

أما فيما يختص بتسجيل الاحـــداث الماضية فيبدو أن النوير لم يبذلوا أى محاولة لحساب السنوات أو لتذكر أى فعل حدث قبل أو بعد وقت حدوث الحدث ذاته وربما كان نظام السن age-set هو العلامة الوحيـــدة للتذكرة فيقال أن الشىء قد حدث قبل بداية مرحلة عمريه معينة أو قد يقـول الشخص أن هذا الحدث قد وقع قبل وصوله إلى مرحلة التنصيب بثلاثة أنظمة قبله . ولهذا فإن تاريخ النوير قد يمتد لاكثر من قرن من الزمان . فتذكر الاحداث مثل حدوث المجاعات أو الحروب فى الازمنة القديمة كما تظهر فى تقاليدهم تبدو جميعا فى نظرهم وأنها حـــدث قريب . وربما خير دليل على ضحالة النظرة الزمنية لدى النوير اعتقادهم بأن الشجرة التى انحدوا منها ما زالت قائمة حتى الآن .

ولم يتمخض اتصـال النوير بالعالم الخارجى عن تغير أساسى فى حضارتهم وربما التغير الجذرى الذى طرأ على حياتهم كان من جراء القضاء على عشر قطعان الماشية فى خلال القرن الحالى نتيجة لطـاعون الماشية الذى انتشر بين الحيوانات بما فيها الاغنام والماعز ففى الماضى كانت ثروة العرس تتراوح مابين ٤٠و٦٠ رأسا من الماشية أما اليوم فيقدم للعروس نصف هذا العدد أو أقل . وقد دفع نقص الماشية النوير إلى زراعة الذرة بدرجة أوسع من زراعة من قبل وذلك لكى يعرضوا النقص والخساره فى مورد معيشتهم. وربما أدى التوسع فى زراعة هذا المحصول إلى زياده ارتباط النوير بقراهم أكثر والإقلال من ترحالهم عن ذى قبل.

وتضاءل قطعان الماشية لدى النوير ربما يفسر على الاقل سلوكهم العدائى فقد تعرض رعاة الدنكا لغارات عديده شنها جيرانهم النوير عليهم بينما قبائل أخرى مثل قبائل الشلوك لم تتعرض لغزوهم وحجة النوير فى ذلك هى أنهم لا يغيرون على قبائل لا تمتلك قطعانا وان الشلوك لو كان لديهم ماشية لشنوا الغارات عليهم للاستيلاء على ما يملكون .

ومما هو جدير بالذكر أن العرب تجار الرقيق والعاج الذين أخضعوا فيما مضى معظم القبائل السودانية كان تأثيرهم ضعيفا على النـــوير . فالحكومة المصرية وكذلك حكومة المهدى التى حاولت ان تحكم السودان فى الفترة مابين عام ١٨٢١ ونهاية القرن الماضى لم تتمكن من بسط سيطرتها على النوير وكذلك كان الحال بالنسبه لأى سلطه إلى إن تمكن الحكم المصرى السودانى من تأسيس نظام ادارى فى ارض النوير فى عام ١٩٢٨ وكان هدف هذا النظام الادارى عدم التدخل فى حياة النوير اليومية ومحاولة الاقلال من غزواتهم على جيرانهم .

ونظرا لان منطقة النوير فقيرة فى مواردها فلم تكن مطمعا للرجل الابيض ولذا لم يطرد النوير من أراضيهم كذلك لم يبدى النوير من ناحية أخرى أى ميلا للتطور التكنولوجى والحضارى الحديث إذ ظلوا معتمدين على قطعان ماشيتهم مكتفيين بطريقة حياتهم البسيطة التى تسمح له بالاكتفاء الذاتى وعـــدم الاتصال بالاوربى .

والخلاصة أن جماعات النوير تكون مع الدنكا والشلوك المجموعة الشمالية من الجماعات النيلية التى تقطن المنطقة الممتدة من جنوب الخرطوم حول النيل الابيض وفى مديرية بحر الغزال والمديرية الاستوائية حتى بحيرة كيوجا . ويسكن النوير منطقة المستنقعات من الحوض الادنى لبحر الجبل والزراف حيث تمتد منطقتهم إلى بحيرة نو وينتشرون شرقا حتى نهر السوباط وتقدر مساحة اراضيهم بحوالى ٢٦ ألف ميل٢ . وينقسم النوير إلى مجموعتين احدهما تعيش غربى بحر الجبل والأخرى فى شرقه .

ويطلق على المجموعة الاخيرة اسم نوير الاحراش Bush Nuer ويعتمد

النوير فى حياتهم على المطر فى فصل سقوطه ولكنهم يضطرون لحفر الابار فى فصل الجفاف وخاصة فى الاودية النهرية الصغيرة الجافة ويزرعون الذرة الرفيعة والشاميه إلى جانب رعى الماشيه وصيد الاسماك والحيوانات وفرس النهر

ويمتاز النوير بالرأس الطويله والقامة الطويلة جدا إذ يصل طول القامه بينهم إلى ١٨٥ سم وطول القامه مصحوب دائما بطول الساقين وضمورهما بصفه خاصه ويظهرون دائما فى وقفتهم التقليدية على رجل واحدة مرتكزين على حربة

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

تاهيتى بولينزيا

The Tahitians of Polynesia

تاهيتى بولينزيا

تشير السينما دائما وقصص البحار الجنوبية South seas الرومانية إلى مجموعة جزر المحيط الهادى المعروفة باسم بولينزيا والتى تنتشر فوق مساحة هائلة من مياه المحيط فى منطقة على هيئة مثلث فى وسط جزيرة تاهيتى وفى قمته جزر هاواى وفى وسط الضلع الغربى جزيرتى ساموا وتونجا بينما فى ركنه الغربى جزيرة نيوزيلندا وفى الركن الشرقى جزيرة استر . ويبلغ طول كل ضلع من هذا المثلث حوالى ٤٠٠٠ ميل فالمسافة كبيرة بين الجـــزر والانتقال من واحدة إلى أخرى يتطلب ملاحا ماهرا الأمر الذى كان سببا فى أن تعمير هـذه الجزر جاء فى فترة متأخرة نسبيا .

وقد ظلت جزر بولينزيا منذ الفترة التى وطئت فيها اقدام الملاحين المكتشفين أرض تلك البـلاد فى القرن السابع والثامن عشـر الميلادى وحتى الوقت الحاضر جزر الجمال والمناخ الأمثل وموطن لشعوب مبتسمة . وجزيرة تاهيتى أحـدى جزر سوسيتى التى تقع فى وسط مجموعـة الجزر البولينزية كانت من أجمل جزر المحيط الهادى كما كان سكانها على درجة كبيرة من الكرم علاوة على أن نسائها قد سحرن بجمالهن بحارة السفينة بونتى Bounty الشهيرة والتى كان يقودها كابتن Bligh والذين أعلنوا الثورة على الباخرة رغبة فى البقاء وعـــدم الاستمرار فى الرحلة . كذلك تشتهر تاهيتى بأنها ملجأ الرسام الفرنسى الشهير بول جاوجين Poul Gaugnin وعدد أخر من اللاجئين الذى وفدوا فى أعقابه .

وتنتشر جزر بولينزيا كما سبق الذكر فوق مساحة ضخمة من المحيط الهادى فالمسافة بين جزر هاواى التى تقع فى قمة المثلث إلى نيوزيلند فى الجنوب تصل إلى حوالى ٥٠٠٠ ميل ، كما أن أكبر مسافة بين الشرق والغرب تصل إلى ٣٠٠٠ ميل

وتتمثل بمجموعات الجزر الكبرى فى جزر هاواى ، واليسى Ellice وسالمون وتونجا وكوك Cook وسوسيتى Society وتواموتان Tuamotan وماركيز ونيوزيلندا .

وأهم الجزر المنعزلة جزيرتى ايستر Easter ونيى Niue ذلك بالاضافة إلى وجود عدد كبير من الجزر الصغيرة . وفيما عدا جزيرة نيوزيلندا التى تشغل مساحة أكبر من مساحة الجزر الأخرى والتى تقع فى منطقة مناخية أكثر اعتدالا لا تختلف مجموعات الجزر الكبرى الاخرى فى ظروفها الجغرافية كثيراً عن بعضها وإن كان يوجد اختلافات واضحة داخل بعض المجموعات .

والاختلاف الكبير بين الجزر هو ذلك الاختلاف بين الجـــزر الكبيرة المرتفعة « high Islands » ذات الاصـــل البركانى والجـــزر المنخفضة Low islands والتى تتكون من شعاب مرجانية صغيرة . وقد تشمل عديد من مجموعات الجزر الكبرى النوعين معا . على أى حال فى الجزر المرتفعة كان يقطن معظم السكان البولينزين أصحاب الحضارة البولينزية الكلاسيكية التى انقرضت . أما الجزر المنخفضة فقد عمرت من جماعات قدمت من الجزر المرتفعة غير أنه لكون هذه الجزر صغيرة ومواردها أقل وأكثر تحديدا لذا فقد فقد سكانها عديدا من المظاهر المادية لحضارة الجزر المرتفعة .

وتتميز الجزر المرتفعة بانها وعرة تغطيها بقايا المخاريط البركانية ولا يوجد بها إلا النذر اليسير من الأراضى المستوية فى داخلها غير أنه فى بعض الجزر مثل جزيرة تاهيتى يوجد سهول ساحلية منبسطة ونهر خليجى عريض . والأراضى الصالحة للزراعة غنية جـــدا اذ أن التربة هى حصيلة العوامل الجوية فى التربة البركانية كما انهـــا مغطاة بنبات مدارية كثيفة والامطار غزيرة على الجـــزر المرتفعة كما أنها أكثر من تلك التى تسقط على الجزر

المرجانية وذلك لأن القمم الداخلية مرتفعة فى العادة وتستطيع أن تدفع الرياح المحملة بالأمطار إلى أعلى إلى العروض الباردة حيث تتسبب سقوط أمطار على اليابس أكثر من على البحر . ويستطيع المسافرون ان يتبينوا الجزر المرتفعة من على بعد بروئيتهم السحب الكثيفة التى توجد فوقها . ومناخ معظم الجزر البولينزيه مدارى غير أن درجة الحـــرارة ليست مرتفعة على وجه الخصوص إذ يصل متوسطها فى جزيرة تاهيتى إلى ٧٧°ف كما يتراوح المـــدى السنوى بين ٦٩° و ٨٤°ف .

ويوصف سكان بولينزيا دائما على انهم محصلة اختلاط ثلاث مجموعات جنسية وهى القوقازية والمغولية والزنجية ، ومهما كان الخليط فسكان بولينزيا متجانسين فى صفاتهم الجنسية . وبصفة عامة فلونهم بنى فاتح ، طوال القامة بدون لحيه ، وشعر بنى ممووج وعيون بنية وملامح الوجه توحى بارتباطهم بسلالة البحـــر المتوسط . ولغة البولينزين متجانسة أيضا على امتداد الجزر المتناثرة فى المثلث بحيث نجد اتفاق بين كل من التجانس الجنسى واللغوى عبر المنطقة . وقد دفع هذا الارتباط اللغوى والجنسى الذى يسود فى بولينزيا بعض الباحثين إلى الاعتقاد بان انتشارهم الجغرافى والواسع فوق عـــدد كبير من الجزر يرجع إلى فتره حديثة نسبيا .

وتكون فتره ما قبل التاريخ للبولينزين مشكلة مثيره إذ أن هناك كثيرا من الفروض التى تشير إلى أصولهم والتى من بينها أن البولينزين انحدروا من قاره غير موجوده حاليا . وقـــد اقترح ثور هيدوهال Thor heyerdahl أن البولينزين وفدوا من العالم الجديد حيث يعتمد فى ذلك على رحلة طواف Raft voyage من بيرو إلى جزر كواموتو وهى اشاره إلى امكانية اتصال

الهنود الأمريكين بتلك الجزر . غير أن هـــذا الفرض لم يجد استجابة لدى الانثروبولوجين الطبيعين الذين درسوا البولينزين حيث لم يوجد فى التركيب الجنسى للسكان أى اصول تعود إلى العالم الجديد أو أى اتصال حضارى هام جاء من هذا الاتجاه .

وهناك ادلة عديده ومختلفة الأنواع تربط البولينزين وحضارتهم بالقاره الاسيويه ولا سيما الجزء الجنوبى الشرقى منها . فالخليط الجنسى للبولينزين يمكن ارجاعه إلى وجود مجموعات سلالية مختلفة فى جنوب شرق آسيا . وأكثر من ذلك فإن الارتباط اللغوى بين البولينزين والملايوويون أمر واضح إذ ينتمى المجوعتان إلى العائلة اللغوية الملاووية البولينزية . وخلاصة كل هذه الادلة توضح أن الجزء الاعظم من حضارة البولينزين لهـا أصولها ومثيلها فى أندونيسيا . ويعتقد بعض الباحثين أنه حتى لو أمكن تتبع موجات هجرات البولينزين وطرقها إلا أن ذلك لابـــد أن يعتمد على علم الاجناس والاساطير الخاصة بالبولينزين أنفسهم ولكن بالتأكيـــد يتفق معظم الانثروبولجين الان على النتائج التالية :

أن استقرار البولينزين فى جزر بولينزيا قد تم فى فتره حديثة لا تزيد عن ٢٠٠٠ سنة مضت وربما أقل من ذلك ، وان البولينزين قد قدموا من بعض أجزاء اندونيسيا ، ذلك بالاضافة إلى أن جزر سوسيتى كانت من أوائل المناطق التى عمرت فى وسط وشرق بولينزيا حيث برزت هناك صفات أنماط الحضاره البولينزية وتفاعلت من الاسس الحضاريه الاندونيسية . كذلك انتشر من وسط بولينزيا السكان إلى الخارج من جزيره الى أخرى إلى أن عمروا النقاط البعيدة فى هاواى وجزر ماركيز واستر ونيوزيلندا .

ومعظم الجزر التى توجد ضمن مجموعة جزر سوسيتى فى وسط بولينزيا هى جزر مرتفعة على الرغم من أنه يوجد بعض الجزيرات المرجانية الصغيرة وتبلغ مساحة الأرض الكلية حوالى ٦٠٠ ميل٢، وجزيرة تاهيتى التى تعتبر أكبر الجزر يبلغ طولها حوالى ٣٥ ميلا وعرضها فى أكثر جهاتها اتساعا حوالى ١٧٫٥ ميلا. ويصل ارتفاع قمتيها البركانيتين الى حوالى ٧٠٠ قدم، والجزيرة مغطاة بحشائش كثيفة وأشجار، ومعظم خط الساحل محمى بشعاب مرجانية داخلية تعطى لاجونا هادئا جميلا. ويتركز معظم السكان فى المناطق الساحلية المستوية وكذلك على بعد مسافات قصيرة من مصبات الاودية النهرية. وقد بلغ عدد سكان جزر تاهيتى فى وقت اكتشاف الاوربيين لها حوالى ١٠٠ ألف نسمة.

أما عن الحياه النباتية والحيوانية فى كل الجزر البولينزية فيما عدا نيوزيلندا فهى ضئيلة فى أنواعها واستغلالها حيث أن الحضارة الاصلية له تستطيع أن تطور بعيداً. فلا يوجد نباتات برية صالحه للأكل وباستثناء حيوان البنده Pandanus وبعض الطيور القليله لا يوجد حيوانات للصيد. ويعتبر البحر هو المصدر الطبيعى الغنى للطعام. على الرغم من أن الأطعمة الأساسية للبولينزين تجلب لهم من أندونيسيا كجوز الهند والبطاطا واليام والتارو Taro والموز وقصب السكر ذلك إلى جانب حيوانيين مستأنسين وهما الخنزير والدواجن.

وفى كل بقاع بولينزليا فيما عدا نيوزيلندا يعتبر طعام البحر هو أكثر الموارد الطبيعه استغلالا. فطرق صيد الاسماك متطورة وعلى درجة كبير من التنوع فهناك أشكال متعددة ومختلفة من الشباك والسنانير والفخوخ الى جانب سموم الاسماك وانواع أخرى من الخطاف.

والبولينزيون رجالا كانوا أو نساءاً مهرة جدا فى السباحة فتغطس النساء

لصيد الكابوريا والاسماك الصدفية والامساك بالاخطبوط عن طريق لفه حول عصى لكى تتمكن من سحبه خارج الماء . أما الرجال والصبية فيقضون وقتا طويلا فى الغوص الى أعماق بعيدة للحصول على قواقع اللؤلؤ واللحوم التى تستخدم كطعام والاصداف التى تصنع منها أدوات عديدة وحلى .

ويعتبر نخيل جوز الهند من أهم النباتات المستأنسه فلحم جوز الهند الناضج غذاء مفيد ذلك بالاضافه إلى زيته الذى يستخدمه الاهالى فى طهى الطعام وفى حماية جلدهم من حرارة الشمش ومياه البحر . كما أن سائل أو لبن جوز الهند الصغيرة يعد مشروبا منعشا ولذيذاً . وتستخدم أوراق النخيل كقش والنسيج للدوبار وصناعة الحصر والسلاك .

وينمو نخيل جوز الهند بصورة جيدة حتى فى مناطق التربات الفقيره ولا يحتاج لعناية كبيره فى خلال السنوات القليلة الاولى لنموه أى قبل بناء اسوار حوله لحمايته من الخنازير .

والى جانب جوز الهند تعتبر ثمره الخبز Bread fruit أهم غذاء فردى فى تاهيتى إذ تبدأ هذه الشجره فى حمل ثمارها الكبيره الدائرية فى عامها الخامس وقد تستمر تعطى محصولها لمده تزيد على أربعين أو خمسين عاما دون حاجة لعناية كبيره . وثمار هذه الشجره وفيره ومغذية ولكن ربما ترجع قيمتها الكبيره الى كونها تخزن وذلك على النقيض من المواد الغذائية الأخرى لدى البولينزين . وفى الواقع يمكن لثمره الخبز تحت النظام الذى يتبعه البولينزين فى التخزين أن تحافظ على طبيعتها حيث يعمد البولينزين إلى حفظ الثمار الكبيره ذات النكهه الجيده . ففى قمة موسم نضج المحصول تشرح أكوام كبيره من الثمار أو تخبز فى أفران حجرية كبيره وبعد ذلك توضع فى حفر كبيره مبطنه باوراق الاشجار ثم تغطى

وشجرة ثمرة الخبز تمد الاهالى باخشاب تصلح لصناعة المراكب والمنازل .

والتاهيتيون فلاحون مهره يستغلون الأراضى الخصبة القليلة الصالحة للزراعة أقصى استغلال عن طريق زراعتها كحدائق بعد تحويل جوانب التـــلال إلى مدرجات ، وحفر القنوات اللازمة للرى والزراعة وتخصيب التربة بالطرق المختلفة المرتبطة بزيادة نسبة العناصر الغذائية بهـا . وترتبط النباتات المزروعة بزراعة المحاصيل الجذرية كالتارو واليام والبطاطس ذلك بالاضافة إلى الموز وأذان الجدى Plantain وقصب السكر والقـــرع . وتعتبر العصى المعقوفه أهم الادوات المستخدمة فى الزراعة .

وأهم مصدر بورتينى إلى جانب طعام البحر البورك والخنازير التى تربى بعناية وقد تأكل الدواجن ولكن لا يستخدم بيضهـا كذلك تربى الكلاب كحيوانات أليفه ولكن تستخدم أيضا كطعام .

وتزرع أنواعا عدة من أشجار الفلفل على طول المجارى المائية وذلك مـــن أجل جذورها التى تستخدم فى صناعة الكافا Kava وهى مشروب مسكر لهـــا مذاق المياه بالصابون . وتمضغ الفتيات الصغيرات الجذور ثم توضع بعد ذلك فى أوعية كبيرة يضاف اليها المياه ثم يصفى الخليط بعد ذلك . ليعطى العصير مـادة قلوية يستمد منها المشروب تأثيره .

ومن الأشجار النافعة الأخرى الموجودة فى تاهيتى شجرة أوراق النوت التى تزرع من أجل لحائها الداخلى الذى يستخدم فى صناعة مـلابس اللحـاء الشهيرة باسم تابا Tapa حيث توضع قطع مختلطة من اللحاء مع بعضها وتضرب سوياً بمضرب لتشكل مادة تشبه الورق الخفيف ولكنها قويه جدا على الرغم من عـدم مقاومتها للماء . ويقوم كل البولنزين بتزينها عن طريق طلائها أو صبغها . ولا يوجد

فى تاهيتى أى خيوط يصلح لعمل المنسوجات غير أن الحصير يصنع من وبر البنده الخشن ومن خيوط أو نسيج جوز الهند. كذلك تصنع بعض معاطف الاحتفالات من الريش .

والتكنولوجيا فى جزر تاهيتى معقدة على الرغم من ان الموارد محدودة فلا يوجد بها أى معادن ومن ثم فجميع الأدوات تصنع من الأصداف والأحجار أو الخشب حيث لايوجد أيضا صلصال لصناعة الفخار .

وتوجد أنواع متخصصة عديدة من الأدوات الخشبية . فتوجد الفؤوس ذات المقابض على أنواع وأحجام متعددة ، كما أن مخراز النفخ يعد من مآثر البولينزين أذ يتكون من اسطوانه مدببة مستقيمة مع نقطة غرز من الحجر أو العظام ، ومع تشغيل الاسطوانة خلال لوحة افقية من الخشب الثقيل أو الحجارة التى تمثل عجلة متحركة وفى أعلى الاسطوانة تربط بالدبارة عن طريق اللف حولها وشبكها بأحد أطراف عمود خشبى مقيد . وعند جذب العمود الخشبى إلى أسفل تدفع حبال الدوبار العمود الاسطوانى للعمل ومن ثم العجلة المتحركه على دوران العمود

أما القوارب والكانو فأفضل مايصنعه النجارون هناك حيث تحضر الكتله الخشبيه ويصنع منها كانو مزود بشراع وجداف ويستخدم فى الرحلات المحلية وقد تصنع مراكب أكبر عن طريق وضع سطح فوق كانوئين أو مركبين صغيرين . ويتخصص فى صناعة الكانو طبقة خاصة من العمال الذين يرتلون كثيرا الصلوات والادعية أثناء عملهم . وتتمتع هذه الطبقة بمركز مرموق حيث ينطون تحت نقابة تلحق بالكنيسة .

ولايوجد لدى البولينزين أدوات ملاحية ميكانيكية إنما اعتمادهم الوحيد يتوقف على معرفتهم للفلك والجغرافيا . فهم يعرفون كل الإجرام ومواضع

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

النجوم ومن ثم توصلوا إلى نتيجة ان الارض كروية وذلك قبل وصول الاوربيين اليهم .

وتشييد المنازل يشبه بناء القوارب يعتبر مهنة خاصة فى جزر سوسيتى فمنازل القادة والرؤساء يبنيها عمال محترفين لذا قد تبدو كبيرة ومزينة. ويبلغ طول المنزل فى تاهيتى حوالى ٣٨٧ قدما . ومعظم سكان تاهيتى يبنون منازلهم التى تتسم بأنها صغيرة ومربعة وغير مميزة نسبيا . ويبنى المنزل التقليدى فوق اعمدة ركنية يربط بينها عوارض خشبية وتسقف . ويصنع جوانبها وحدائقها من القش المختلط بوبر البنده واوراق جوز الهند أما الابواب فتغلق بواسطة بوص البامبو . وقد تستخدم حصير جوز الهند او اقمشة التابا فى تبطين منزل الرئيس من الداخل وقد يمهد خول المنزل مساحة من الإرض تبعد عن المنزل بحوالى عدة ياردات وقد تغطى بالحصى او الشعاب المرجانية .

وأثاث المنزل ضئيل وهزيل وذلك لإن معظم الحياة المنزلية مثل الطهى تأخذ مكانها خارج المنزل أو فى مكان الطهى . وفى العادة يجلس رب الأسرة على كرسى غير أن السكان يجلسون بصفة عامة القرفصاء على الارض . أما الملابس فتعلق على الاشجار فى حين يفرش الحصير فى المساء ليحل محل الأسرة كما أن الوسائد عبارة عن كتلة خشبية مقعرة . وعلى الرغم من عدم الراحة كما يبدو فى النظام إلا أن البولينزين يشتهروا بنومهم العميق فقد لاحظ بعض رجال الارساليات أن هناك رجال ينامون مايقرب من ١٥ و١٦ ساعه دون استيقاظ.

ويتم الطهى فى العادة فى فرن ترابى مبطن وهى عبارة عن حفرة مبطنه من الحجاوة تحرق فيها النيران قبل أن يوضع بها الطعام ويغطى بالاوراق وبالتراب والطريقة الاخرى الهامة فى الطهى هى ماتعرف باسم غلى الحجر Stone poiling

حيث تلقى الاحجار المحميه فى سلال غير قابلة لنفاذ المياة أو أوعية خشبية لغلى المياه . وهذه الطريقة شائعة فى جميع أنحاء العالم حيث لايوجد فخار أوأى أوعية أخرى تتحمل النار . وتأكل الاسماك والاصداف نيئة فى العادة ولكن تطهى اللحوم والخضروات . وتعمل الخضروات فى العادة كعجينة ثم تخلط بلبن جوز الهندأو الزيت . وطعام الرجال يعده الرجال بأنفسهم أما النساء فتطهى طعامهن وطعام الاطفال حيث يتناولوا الطعام بمفردهم .

وفى العادة يتناول اليولينزيون وجبتين يوميا ، الاولى وجبة خفيفة وتأكل فى الصبح ويستطيع الفرد أن يتناولها فى أى مكان وفى أى وقت أما الثانية وهى الوجبة الغذائية فيتناولها دائما فى المساء . والبولينزيون أناس أكلون إذ أن الولائم التى يقيمها فى احتفالاتهم قد أدهشت الاوربيين . ويقدم الطعام على اطباق من الورق أو فى اوعية خشبية محفورة او على اصداف جوز الهند حيث يتناولون طعامهم بأيديهم .

وليس لدى سكان جوز تاهيتى إلا قليل من الملابس فيرتدى الرجال ما يسمى باسم ملابس الأسد Loin cloth بينما ترتدى النساء «كلوت Kilt» او جنله كلاهما مصنوع من اقمشة التابا . اما معاطف الريش فتلبس فقط فى المناسبات الخاصة . وفن تزين الجسد فن راقى فى جزر تاهيتى . فالوشم Tattooing ظاهرة عامة فى بولينزيا وان كانت طريقتها تختلف من مكان لاخر هناك . (شكل ١٣) .

فى جزر سوسيتى يشم الرجال انفسهم بغزارة احيانا فوق كل الجسم فيما عدا الوجه بينما لاتشم النساء فى العادة إلا ايديهم واقدامهن . ويتم الوشم عن طريق غرس الكربون فى الجلد بواسطة اداه حادة من العظام وتختلف تسريحة الشعر اختلافا كبيرا في بولينزيا ولكن في كل مكان فهي مظهر هام لزينة الشخص .

شكل (١٣) فتاة من بولنزيا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ففى جزر سوسيتى تلف النساء شرورهن بطريقة بسيطة ولكن الرجال يصففن شعورهم الطويلة على هيئة كعك Buns او ذيل الخنزير ، او حلق جزءا من الشعر وعمل الباقى تسريحات مختلفة ومعقده . وفى بعض المناسبات فى حالة الحرب مثلا - يرتدى الرجال باروكات طويلة مزينة بريش مصبوغ . ويلبس كل الرجال والنساء تقريبا وبصفة دائمة عقود من الزهور حول اعناقهم كما يضعوا زهور منفردة فى شعرهم وفوق احد آذانهم . ويرتدوا ايضا عقود مصنوعة من الاصداف والاسنان ذلك بالاضافة إلى الريش . ويقضى كل من الرجال والنساء وقتا طويلا فى الاستحمام والتعطير وتزين الشعور .

ويعطى التاهيتيون اهتماما كبيرا لتجميل مناطقهم السكنية فداخل المنزل والمناطق المحيطة به تنظف بصفة مستمرة عن طريق الكنس كما تمهد الممرات المؤدية اليه وتبعد عنها المخلفات . اما منازل الرؤساء والضيافة فتزين كما تزرع الزهور الجميلة فى المناطق الفضاء التى تفصل بين المنازل المتناثرة ،

ووحدة الحياة الاساسية فى المجتمع التاهيتى هى الاسرة الموسعه او الكبيره التى تتكون من شقيقتين أو ثلاثة وزجاتهم وأطفالهم. . وإفراد هذه العائلات التى تتناثر فوق رقعة محدوده من الأرض ترتبط سويا من ناحية انحدارها من أب واحد ولذا فقد يكونوا نسبا محليا . وربما يتتبع النسل من جد لكل من الأب والأم لتبقى الذرية فى عده أجيال حيث تتوارث المركز الاجتماعى والامتيازات وحقوق الأرض فيما بينها . ويتوقف فى العادة مركز الشخص على ما ورثه من الذكر ولكن فى بعض الأحيان حينما يكون الانحدار من جد الأم بعيد قد يجد الفرد صعوبة فى اثبات حقوقه . وحيث أنه من المعترف به أن الزواج لابد وأن يكون بين شخصين متكافئين أو متساوين فى المركز لذا ليس هناك حاجة لتتبع النسب وذلك لتقيم المركز .

ويشغل جميع أفراد جزر تاهيتى مكان صغير فى مركزة ومن ثم فيستطيع الأب أن يعطى مسئولياته ومميزاته لأى من أبنائه حيث لايمكن أن يشغل هذه المكانه سوى فرد واحد من أسرته وهذه الظاهرة تفسر تأكيد البولينزين على حق البكورة أو الأبناء البكر Primogeniture . إذ أن الأبن الاول إذا ما وصل إلى مرحلة النضج يأخذ مسؤلية الكبار فى رعاية أخوته والدفاع عن مصالحهم.

أما الابن الثانى فكنوع من الواجب يأخذ مكان الاكبر فى حالة غيابه أو وفاته إلا أن يكبر الابن الاول للشقيق المتوفى . وأصغر الابناء فى الاسرة الكبيرة شخص منكوب لان فرصته ضئيلة فى التميز التتابعى إذ أن مركزة سيظل دائما أقل من أخوته الكبار مادامو على قيد الحياة.

وفى الاسر الكبيرة فى كل مكان تقريبا تسود النظام التسلسل hierarchy بين الاخوة والاخوات بمعنى أن الاخوة الكبار لهم سلطة على الاخوة الصغار غير أن هذا النظام الاجتماعى بين الاخوه والاخوات معقد فى جزر تاهيتى إذ يحدد وضع الفرد فى كل حياته وفى علاقته بالاسر القريبة له . فكل أسرة بل كل نسب فى المجموعة يتوقف مرتبته على أصله ودرجة قرابته للجد الاصلى. فالتسلسل خلال الفرع الاول للمواليد يتتبع تماما فى كل جيل للتعرف على الصاحب الحقيقى للمركز والسلطة الاصلية .

وفى مثل هذا المجتمع نجد القدرة على تتبع الاجداد والتعرف عليهم أمر على جانب كبير من الاهمية حيث يمكن تتبع أصول الافراد الذين يحتلون مناصب رفيعة إلى مايقرب من ٥٠ جيلا . فالفرع الرئيسى للتسلسل وكل فرع يعرف باسم حيث يأخذ الابن البكر أو الابن البكر أو الابن الاول اسم والده حين يخلفه فى وضعه . ذلك إلى جانب اسم فرعى آخر يحدد وضعه فى الجيل الذى يعيش فيه

وهذا النظام فى الاسما، والالقاب يشبه إلى حد كبير نظام النبلاء الاوربى حيث ترتبط الالقاب بأوضاع ومميزات وواجبات ومسئوليات خاصة.

وتتدرج الرتب والمراكز الفرعية من القمة إلى القاع غير أنه من الافضل أن نذكر أن المجتمع يتكون أساساً من ثلاث درجات فعائلات الرؤساء فى النواحى الكبيره تعرف باسم Ari,i ورؤساء الانساب الاقل وعائلتهم ويوضعوا فى مجموعة وسط تعرف باسم Ra atira . اما البقية من السكان فتشملهم الطبقة المعروفة باسم Manahane . ويجب ألا ينظر إلى المجتمعات التاهيتية على أنها عشيرة إذا أن الاختلافات الاجتماعية بينهم تشبه الاختلافات داخل النظام الاسرى . فالطبقات الاجتماعية الثلاث الموجودة لدى البولنزين تضم كل طبقة منها مجموعة من العائلات بأكملها . وتتضمن المراتب الاجتماعية فى جزر تاهيتى سلطات اقتصادية وسياسية ودينية وباختصار تتضمن مبادىء أتوكراتية . فنوع من القوى الروحية التى تسمى باسم مانا Mana توجد فى كل أفراد تاهيتى غير أن درجاتها مختلفة وتتطابق مع الرتب فالطبقة العليا وهى طبقة Ari'i تمتلك كمية كبيرة من هذه القوة المقدسة وذلك لانها أقرب الطبقات إلى حد الاله الذى هو مصدرها بينما الطبقات الاقل فنصيبها من هذه القوة أصغر ويعتقد أن المانا سلطة قوية يمكن أن تكون ضارة إذ ما ذهب إلى شخص أضعف أو أقل مرتبة من التى يجب أن تكون معه . وربما فكرة المحرمات فى مجتمع تاهيتى نشأت أساسا من امتناع احتكاك الطبقة التى لديها سلطة أقوى من المانا من الطبقة التى لديها أدنى سلطة .

وقد نظرت بعض البعثات التبشرية الاولى فى جزر تاهيتى إلى رؤساء تلك الجزر على أنهم حكام مستبدين وذلك بعد أن شاهدوا الازعان الشديد لما يقدم

اليهم وبعد أن لاحظوا أيضا أن الاهالى يدفعون لرؤسائهم نوعا من الجزية وبفحص جميع اعتبارات الموقف فى المجتمع التاهيتى يمكن التوصل إلى أن الاذعان شعور دينى وأن استخدام مصطلح استبداد ليس فى محله . كذلك مايسمى بالجزية ربما يكون مرتبط بما تقدمه الطبقات أكثر من كونه ضريبه ولاسيما وأن كميات كبيرة من الهدايا يعاد توزيعها على الاهالى .

ولايوجد سوق لتبادل المنتجات بين سكان تاهيتى . فالهديا التى تقدم إلى الرئيس أو التى تقدم من رئيس أصغر إلى رئيس أعلى امر ينظـــر اليها على انها وسيلة معقده لتبادل السلع حيث يجمع الرئيس الفائض من الانتاج الذى يعطى له ثم يعيد توزيعه فى الاعياد الكبرى . وقد لاحظ بعض الكتاب الاوائل هذه الظاهرة الغريبة فى حياة سكان تاهيتى حيث وصفوا المجتمع بأنه مجتمع شيوعى وبعض الملاحظين الاخرين الذين لفت نظرهم استغلال الرؤساء نظروا إلى الإمر على انها تجميع الانتاج اكثر من اعادة توزيعه . وكما يبدو انه مـــن الصعب التعميم بدقة ان مجتمع تاهيتى مجتمع استغلالى اومجتمع شيوعى والاصح انه نظام جديد تمام على الخبرة الغربية .

ومن الاشياء الاخرى الخاصة بعادات سكان جزر تاهيتى والتى لفتت انظار الزوار الاوربين الاوائل هو تركهم لاولادهم بصورة متكررة كبيرة الامر الذى جعل الباحثين : يصفوها بأنها ظاهره اجتماعية هامه وفى نفس الوقت اعادة لتوزيع اقتصاد غير متكافىء ففى ظل حقيقة ان جميع الارض والمناصب وراثية يصبح انه لاسبيل من ايجاد طريقة تحفظ توازن واستقرار النظام ان تحاول الاسر ان تستمر فى احجام متساوية عبر الزمن ولكن الاتجاه العادى هو ان تنمو بعض الانساب على حين تقل الاخرى فى حجمها تبعا لظروف غيبه حدود او فقر

الارض الذى قد ينتج عنه اختلافات فى اقتصادية جديدة غير موجه الهم إلا إذا قسمت الإرض ذاتها ثم يعاد توزيعها من آن لآخر وكما يحدث فى عديد من المجتمعات الزراعية البدائية فإن تحـــديد حجم الإسره هـو الوسيلة الوحيده للمحافظة على الحالة الثابتة Status quo فى الأسره خلال الإجيال المتلاحقة . ويمارس سكان تاهيتى قتل الإطفال InFanticide لدرجة ما وذلك للتحكم فى حجم الإسره ولكن فى اغلب الإحيان ينتقل الأطفال من العائلات الكبيرة العدد إلى العائلات ذات الإعداد الاقل . حيث يأخذ الطفل المتبنى لقبه ونصيبه فى الارض من الاب المتبنى ووضعه فى هذا هو وضع الأبن الحقيق على الرغم من أنه قد يقضى وقتا كبيرا فى زياره اعضاء اسرته الإصلية .

وليس من المستغرب ان يعكس الدين الدور الإجتماعى والإقتصادى والسياسى الهام الموروث والذى يؤكد اهمية عباده السلف . فـفى جزر تاهيتى لكل اسره مكانها المقدس الخاص باسلافها كذلك كل مجموعة اكبر من العائلات لها البقعة المقدسة التى تسمى باسم Marae وهى عباره عن مساحه مفتوحه من الأرض مسوره بحائط حجرى منخفض وبها جزء مرتفع فى نهايتها يشبه الهرم الصغير . والمارای مكان للدفن وأيضاً لإقامة الإحتفالات لدينية .

ولعل المارای تعكس النظام الإجتماعى الموجود فى تاهيتى بوضوح . حيث يوجد بها دائرة من المقاعد الحجرية ، كل مقعد منها يـورث لمختلف الروساء الذين يجلسوا عليها فى الاحتفالات الدينية ، وقد نظمت هذه المقاعد تبعا للاهمية الإجتماعيه للرؤساء . وفى الفترة الإولى لنمـــو وتوسع المجتمع التاهيتى دأبت المجموعات المتقاربة التى تهاجر إلى مكان آخر أن تأخذ معها مقعد رئيسها من المارای ليضعة فى مارای جديد فى المكان الذى تستقر فيه ، وقد يظل موضع المقعد

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الحجرى القديم فى المارای الأصليه شاغرا ومن ثم تظل المجموعة المهاجرة مرتبطة بنسبها فى البقعة الأصلية .

وفى الإيام الاولى من التوسع كانت من الإمور العادية الواضحة ميل اشقاء الرؤساء الصغار للرحيل إلى أماكن جديدة وتأسيس مجتمعات جديدة وبذلك تكون محلاتهم السكنية أكثر حداثة وأقل تميزا فى مناصبها الإجتماعية من المجتمع الأكبر وبالمثل تكون ما رأيهم أقل قداسة من المارای القديمة .وفى إطار هـــذه الحقيقة نجـــد أن المارای الكبيرة الموجودة فى جزيرة رایاتی Raiatea الغربية تعتبر أكثر قدسيه من تلك الموجودة فى جزر تاهيتى الإمـر الذى يوحى بان التعمير الأول لجزر بولنيزيا قد أخذ مكانا فى تلك المنطقة قبل غيرها ،

ويرتبط أنماط السلوك الإجتماعى العام والآداب بالدين ونظام الرتب . إذ يعتبر مركز أو مرتبة الفرد مبدأ عام فمصطلحات القرابة العامة التى تستخدم فى مخاطبة الإفراد فى المجتمعات البدائية كجزء من الإداب لإتستخدم فى بولينزيا إذ يحل محلها استخدام الالقاب التشريفية فى مخاطبة الإشخاص . وأقسام القرابة لدى المجتمع البولينزى بسيطة نسبيا . فكل أبناء الإعمام سواء كانوا من الدرجة الإولى أو الثانية Cross or parallel يوضعوا تحت تعريف نسيب Siblings أما أقارب الجيل سواء كبروا أو صغروا فيشار اليهم أيضا بمصطلح فردى عام . وتميز الجيل بالنوع والسن هى الظاهره الوحيده للتقسيم القرابى غير أن أهمية السلف ووراثة المراتب تنعكس فى استخدام الإلقاب بدلا مـــن مصطلحات القرابة فى التخاطب المباشر .

وربما أوضح ظاهرة معروفه فى السلوك الاجتماعى للبولنيزين بتلك المرتبة بفكرة المحرمات Taboo . فكل فرد من أفـــراد المجتمع يحرم عليه بعض

المأكولات التى ترتبط بمركزه الاجتماعى ففى وقت الغذاء مثلا لايستطيع ذوى المراتب الدنيا أن يتناولوا الطعام على أصحاب المراتب العليا ونظرا لأن الرجال أكثر قدسية من النساء والاطفال لذلك لابد وأن يتناولوا طعامهم بعيدا عنهم وبعض الاطعمه العادية محرمة على النساء والاطفال كما تحرم اطعمه خاصة على مراكز بعينها . فطبقة Ari'i العليا طبقة مقدسة جدا لذا فأى شىء تستخدمه يصبح محرما ، وأى طعام يتناوله يصبح سما إذا ما ستخدمه فرد من طبقه أدنى منها . وقد حالت هـــذه العقده فى بعض جزر بولينزيا عن طريق العزل التام للرئيس الاكبر حيث يحمل فى محفه Litter ويغسل ويطعم بواسطة مرافق وفى غرب بولينزيا لايسمح له بمجرد مخاطبة الجمهور إذ يتحدث أخيه الأصغر الذى يعرف باسم متحدث الرئيس Orator chief - بدلا منه . ومن العادات ايضا أن الكلمات التى يستخدمها الرؤساء الكبار فى حديثهم تعتبر محرمات على العامة . ويمكن ان تعرف هـــذه اللغه بالكلمات الدينية كما أنه فى العاده لغة الكهنة .

والتتابع الاجتماعى داخل المجموعة المحلية المتقاربة والذى استقر تبعا لنظام الذرية يتداخل ويتفق مع نظام أوسع داخل المجتمع أو داخل الجزيرة وهو نظام أكثر رقة وأقل غلظة إلا أنه موضوع أساسا على تنظيمات متشابهة . وعلى أى حال فإن هذا النظام لم يكن مستقرا فى جزر سوسيتى قبـــل مجىء الاوربيين ومن ثم لم يكن هناك مفرا لتغير هذا النظام الوراثى عن طريق الحروب فعن طريق حرب أهلية واسعة تم إعاده توزيع الأرض كما أن القوات البحريه تدخلت فى معظم الجزر لكى تضع حدا لعلاقات القرابة التى ارتبطت باوضاع اقتصاديه واضطرابات سياسية . ففى جزر هاواى كان من نتيجة حمله مماثلة أن غير نظام المجتمع بحيث أن أصبحت الطبقة المنتصرة أرقى فى نسبها وأرفع من الطبقة

المغلوبة على أمرها .ولا يوجد دليل واضح يبين ان ما حدث فى هاواى حدث فى تاهيتى وان كان من الممكن أن تكون نتيجة محتملة للحروب .

أما أسلحه الحرب فى جزر تاهيتى فتمثل فى الحربة والرمح والسيوف الخشبية القصيرة وبعض السكاكين المسننة . أما القوس والسهم فيستخدما على نطاق واسع فى الصيد إذ أن استخدامهما محدود فى الحروب ولا يستخدم التاهيتيون دروع الدفاع التى قد تصنع من الأصداف وان كانوا يلجئون فى بعض الأحيان لف محاربيهم بشبكة من الحبال .

والقرى المحصنة لا توجد عادة فى بولينزيا فيما عدا فى نيوزيلندا حيث يحيط جماعات الماورى Maori قراهم بالخنادق . ويبنى التاهيتون فى العادة ملاجىء يمكن الاحتماء بها فى حالة رغبتهم فى مقاومة الحصار . وقد يأخذ التاهيتيون أسرى الحرب كعبيد . ويمارس إعدام الأعداء وتنتشر هذه العادة فى كل جزر بولينزيا غيرأن سكان تاهيتى يفزعون لهذه الفكرة رغم انهم يقدموا بعض أسراهم كضحايا فى احتفالاتهم الدينية .

ويسود فى المباريات نوعا من اخلاقيات الحرب فجميع المباريات تمارس بعنف كما أن بعضها خطير جدا . ومباريات كرة القدم شائعة ومحبوبة لدى سكان تاهيتى لدرجة أن سكان المناطق المختلفة ينظمون مباريات مع بعضهم . وتوجد فى جزر تاهيتى رياضات فردية متعددة فهناك المصارعة والملاكمة والمشى إلى جانب السباحة التى تلقى اهتماما زائدا من الجميع .

والصيد فى تاهيتى يعتبر رياضة وفى نفس الوقت عمل مقدس . فبعد أن يقتل الصيد فى مكان ما تمارس عدة شعائر تتضمن احتفالات فى المعبد واحتفالات خاصة وطقوس للتطهير . ومن المباريات الأخرى مباريات الديوك التى تكون

مصحوبة بمباريات بين الأطفال ذلك إلى جانب الموسيقى والرقص . فجميع البولينزيون محبين للموسيقى لدرجة أنهم طوروا هذا الفن لدرجة تفوق أى جماعات بدائية أخرى . ويستخدمون الطبول الكبيرة والصغيره والناى وعلاوة على اصواتهم الموسيقية التى تصاحب دائما الرقص فى تاهيتى . وقد تمكن سكان جزر هاواى وتاهيتى من تطور اصواتهم الموسيقية بصورة غير عادية حتى انهم تمكنوا من تكوين الكورس الذى يؤدى مقاطع من الأغانى .

والموسيقى الحديثة فى هاواى يغلب عليها الطابع الاوربى كما أن الجيتار الهاواى قدم من البرتغال .

والرقص فى تاهيتى أو كما يعرف باسم Hura أو hula يقوم به بنات الرئيس اللاتى تدربهن خصيصا لهذا الفن . وتقضى العبادات هناك على أن ترتدى الراقصات جنلات طويلة مكسرة ، كما يثبت الريش فى أصابع الراقصين . واستعراض الرقص هو جزء من استعراض كامل يشمل ممارسة أعمال سحرية وبهلوانيه . وكما هو الحال فى معظم المشرق الآسيوى يضلع الرجال بدور المغنين والعازفين كما هم أيضا الممثلين .

وتنظيم الاستعراضات العامة فى تاهيتى من اختصاص مجموعة متخصصة للترفيه عن الزوار وتعرف هذه المجموعة باسم Ariori وهى مجموعة دينيه راعيها أورو Oro إله الحرب والذى باسمه يتم اللعب والرقص والغناء والانشاد . وهذه المجموعة تبعد كلية عن المفهوم الدينى العربى حيث يسمح بها هتك المحرمات والاتصال الجنسى وغير ذلك من الاشياء . فما أن تصل مجموعة الاريورى إلى مقرها المحلى حتى يبدؤا فى مزاولة أنشطتهم ضاربين عرض الحائط بكل القواعد

والأصول الاجتماعية وأفراد هذه المجموعة غير مسؤلين عن شيء مهما كان عمرهم إذ أنهم لا يملكون شيئا كما أنهم ليس أطفال .

وعلى الرغم أنه غير معروف من هو الشخص الذى تقبل عضويته فى هذه المجموعة أو كيف يصبح عضوا بها إلا أنه من الواضح انها تضم باستمرار الابناء الصغار المطرودين من العائلات الكبيرة Large Families وقد ذكرت بعض الارساليات الأولى التى ذهبت إلى جزر سوسيتى أن جماعـــة الاريورى قد تكونت أساسا لتكوين مجموعة بغاء من أجل تحديد النسل . كما أنه نظرا لأنهم يتركون أولادهم لذا فقد اعتقد المبشرين ان عاطفة الأبوة ليس موجودة هناك والحقيقة كما هو ملاحظ بين المجتمعات البدائيه الأخرى ان الاطفال يعتبرون فى العادة بركة كبيرة وانهم من الاشياء المحببة اليهم جدا .

ويصحب ميلاد الطفل عديد من الشعائر التى يمارسها أفراد الأسرة ، وإذا كان الطفل ذات مرتبة عالية فتتم الشعائر فى احتفال عام . وفى العادة يحضر عملية الوضع الطبيب القس الذى يحيط به حشد من الأقارب . وبعد أن يدفن الخلاص فى المارای ويوضع الحبل السرى فى صندوق ويدفن فى أحـــد حجرات المارای يقام احتفال التسميه The naming ceremony الذى يعتبر من أهم مراسيم الاحتفال إذا ما كان الطفل ولدا ذا مرتبه عاليه .

ويمضى الطفل معظم وقته مع اقرانه الأطفال ، ويترك فى السنوات الأولى لينشىء حرا نسبيا . ومع نمو الطفل العمرى يبدأ أهالى الطفل فى تعليمه وتوجيه سلوكه الاجتماعى . وقد يعطى الأبناء البكر الصبيه ذوى المراكز العالية تدريبا خاصا وذلك لكونهم سوف يرثوا مركز العائلة الاجتماعى . وجزء من هـذا التدريب يتجه لكونه الأبن الأكبر حيث يكون مسؤلا مسئولية كاملة نحـــو

الإطفال الاخرين ذلك إلى جانب تعليمه سلوك النبلاء من كرم وسخاء وشجاعة ... الخ .

وعندما يبلغ الصبى مرحلة البلوغ يقام له احتفال يحذر فيه عليه الأطعمة المحرمة Taboo ومنذهذه اللحظة لا يستطيع الصبى أن يتناول أى طعام تطهيه المرأة أو يأكل فى صحبة النسوة . فالتحريم هى علامة النضج لكل من الذكر والاناث .

ويظاهر الأولاد فى مرحلة الطفولة ولا سيما إذا كان من طبقة راقيه ولكن بأجل الزواج فى العادة حتى مرحلة بلوغ متأخرة ويأجل أكثر بالنسبة للرجال والفترة بين البلوغ والزواج فترة تتسم بالحريه وممارسه تجارب الحب وفى الطبقات الدنيا للفرد حرية اختيار الزوجة حيث لا يتضمن الزواج ارشادات قيمه غير أنه لا يشجع الزواج بين الأقارب . أما الطبقات العليا فالتكافىء الاجتماعى أمر ضرورى ومن ثم فزواج أبناء العمومة سائد

وتشهد مراسيم الزواج احتفالا كبيرا يكون مصحوب بتبادل الهدايا والأغانى والرقص. وبعد الزواج تكون المهمة التمهيد لانجاب الولد الأول والتأكيد على انه سوف يحمل صفات المركز الجديد ويأتى ذلك عن طريق إعفاء الزوج ذوى المقام الرفيع وزوجته من كل واجبات واعطائهم اطعمه دسمه واغتسالهم وتعطيرهم فى نفس الوقت تؤدى الشعائر فى المعبد لكى تساعد على حدوث حمل لهذا الطفل .

ومن السهل فسخ الزواج ولاسيما بين العامه . وبعد الطلاق يظل الأطفال مع الأم أو تتبناهم أسر أخرى يكون اعدادها قليلة لأن الاسر التى يزيد عدد أطفالها قد تلجأ إلى الاجهاض أو قتل الأطفال .

وعند الوفاة يدفن الأطفال والكبار من العامة بدون مراسيم جنائزيه وذلك

على النقيض من جثمان الرؤساء التى تحفظ لأكبر مدة ممكنه فى مكان بنى لهذا الغرض . حيث تجرى محاولة لتحنيطه وذلك عن طريق نزع المخ والاحشاء ودهان الجلد بالزيت وتعريضه للشمس وبعد تحلل الجسم تأخذ الجمجمة وتوضع فى المارای وقد تستمر مراسم الحزن لفترة طويله ويلجأ الاقارب من آن لآخر لاحداث جروح فى اجسامهم بواسطة سكاكين كما تظل زوجه الرئيس المتوفى إلى جانب جثه زوجها لفترة طويله من الزمن ربما كرمز باق لعادة قديمة تقتضى بقتل الزوجه الارمل ويدعو القسيس روح الميت لكى تكون راضيه فى عالمها الآخير ولاتعود ثانية إلى زوجته . وإذا كان المتوفى رئيسا هاما تتوقف كل الأنشطة فى ضاحيته أو اقليمية لمدة ايام تكون كافيه لرحلة روحة .

ويعتقد سكان تاهيتى أن مركز الروح الامعاء وأن الروح تخرج بعد الموت من الفم والانف لتذهب بعيدا . وتبعا لبعض الروايات تذهب هذه الروح إلى الجنة أو إلى أرض الاجداد التى توجد فى مكان ما فى الجهة الغربية .

وتختلف مضامين الاساطير والمعتقدات اختلافا كبيرا فى جزر بولينزيا غير أن هناك سمات مشتركه بينها فاساطير الخلق جميعها من النوع الذى يمكن تسميته بالنوع التطورى ، فالالهة المختلفة تحمل نفس الاسماء على الرغم من ان اعمالا خاصا تنسب اليها وتختلف من مجموعة جزيرة إلى أخرى . حتى بين سكان جزر تاهيتى يوجد بينهم عديد من اساطير الخلق . وكقاعدة تشمل الاساطير فكرة العدم فى البداية وأن الظاهرات الطبيعية والإنسان والحضارة خلقها الالهة وبعد ذلك حدثت احداث خاصة ارتبطت بتاريخ الانسان المعروف .

والعدد الاجمالى للآلهة هائل ويختلف من مكان لآخر غير أن قليل منهم له السيادة على معظم جزر بولنيزيا . فالالهة المعروف باسم Ta'aros هو اله الخلق

فى جزر تاهيتى وهو عادة آله كبير فى الجزر الأخرى . إلى جانب الاله اورو Oro وتانى Tane ورو Ro'o وتو Tu . وقد يعتبر بعض الالهة وفى العادة واحد من بين الالهة السابقين هو السلف الذى انحدرت منه مجموعة محلية أو حضارة معينه وبعض الالهة الأخرى لهم قوة السيطرة على بعض الظواهر الطبيعية مثل البحر والرعد والريح ، والبعض الاخر هم الراعين لحرف معينة أو وسائل الترفيه ففى جزر سوسيتى يعتبر الالهالخاص بوسائل الترفيه وهو الإله oro هو أهم الإلهة إذ انه اله جمـــاعة اريورى Ariori كما أنه أله الحرب . وإلى جانب مجموعة هذه الإلهة توجد مجموعة أخرى تشمل الهة اصغر ترتبط باشباح الاجداد والأرواح .

ولكل جزيرة من جزر مجموعة سوسيتى اوركلها Oracle الخاص الذى يستشار قبل البدىء فى نشاطهام أو عمل خطير. كذلك يمارس التساوسة أعمال الشعوذه والتنبأ عن طريق التأمل داخل جوزه هند مقطوعاحديثا وشرح ما تنبأ عنه الخيوط المحفورة فى لب الجوزه من سائلها أى تقرأة جوزة الهند كما يقرأ الفنجان فى بعض المجتمعات المعاصرة .وفى بعض الاحيان تتقمص الروح قساوسة بعينهم تجعلهم فى حالة شعوذة حيث يصدرون كلمات واصوات غير واضحة ويعتقد أن هذه الاصوات هى صوت الروح التى تتحدث من خلال وسيط والتى يقوم بشرحها قساوسة أخرين . وهناك بعض الرجال الذين يعتبروا سحرة إذ بامكانهم جلب الموت عن طريق ممارسة بعض الشعائر السحرية على اظافر أو شعر أو جزء من ملابس الضحية ويستعرض هؤلاء الرجال قوتهم بالمشى فوق الصخور الساخنه .

ولا توجد مضامين خلقيه معينـــه فى ديانة البولينزين إذ أن دينهم يتضمن أساسا النظام الإجتماعى القائم على حكامهم المقدسين والهادف إلى تدعيم سلطتهم كذلك تمارس الإلهة وظيفة مؤسس القيم بالنسبة للإفراد. فالصلوات التى تؤدى

من أجل الإلهة تمارس دائما عند الاستيقاظ. وقبل تناول الوجبات. وقبل القيام بأى عمل هام ذلك بالاضافة إلى أن القرابين أو الاطعمه المقدمة الالهة توضع كل يوم كنوع من الاحتفال . والتضحية البشرية باسرى الحرب والمجرمين قد تمارس فى معظم الاحتفالات وان كانت تقدم الخنازير والكلاب فى معظم الأحيان كقرابين . ويرجع سبب اقبال الناهيتين على الصلاوات دائما إلى التأثير الذى تركته البعثات البشرية المسيحية الأولى التى ارسلت اليهم ولم تنجح كثيرا فى تعديل معتقداتهم الخاصة بالاسلاف .

ويرجع تاريخ وفود الأوربيين إلى جزر بولينزيا إلى رحلة الأسبان بقيادة كيروس Quiros الذى وصل إلى جزر سوسيتى فى عام ١٦٠٦ . كما وصل فيما بعد فى عام ١٧٦٧ كابتن واليس wallis الانجليزى الذى احتل جزر تاهيتى والتى أطلق عليها جزيرة الملك جورج غير ان إقامته كان قصيرة هناك وبعد ذلك وصل إلى تاهيتى بيجانيفيل Bougounvillo الذى أعلن تبعيتها لفرنسا غير أن معرفة العالم الإنجليزى لجزر تاهيتى تعود إلى رحلة جيمس كوك الشهيرة والتى وصل فيها إلى الجزيرة فى عام ١٧٦٩ على الباخره **endeavour** والتى ضمت بعثة الجمعية الملكية البريطانية لملاحظة الكوكب فينوس فى المحيط الهادى وتكريماً للكابتن كوك فقد أطلق اسمه على مجموعة جزر سوسيتى وقد تمكن علماء البـــاخرة إيندفور من اكتشاف أكبر الجزر والتى ارتبطوا مع أهلها بصداقة قوية . وقد نشر كابتن كوك وأعضاء رحلته فيما بعد وصفاً لهذه الجزر وسكانها حيث اعتبر هذا الوصف مستندا علمياً قيما . وقد قام كابتن كوك بثلاث رحلات إلى بولينزيا آخرها فى عام ١٧٧٨ حيث لاقى حتفه فى جزيرة هاواى فى خلال عملية احتكاك بالاهالى.

ولعل من أبرز الاحداث التى سجلت فى تاريخ احتكاك الأوربيين بسكان

جزر تاهيتى ذلك فى عام ١٧٨٨ حينما وصل الملازم Bligh إلى تاهيتى تحت قيادة الباخرة بونتى Bounty . وقد بقى طاقم الباخرة بدون عمل فى الجزيرة خمسة أشهر نعموا خلالها بكرم الأهالى لدرجة أن بعضهم استقر فى الجزيرة وتزوجوا من عائلات الرؤساء . والحدث المؤسف واكب رحلة السفينة ثم الثورة عليها وعودتها مرة ثانية إلى الجزيرة بدون قبطانها. فالمحلة العمرانية التى أقيمت فى جزيرة Pitcairn تكون من خليط من الأسر التاهيتية وثوار الباخرة الإنجليزية تطورت فيما بعد إلى نظام اجتماعى مثالى ضم الخلف المولد الاختلاط .

وقد زار عدد قليل من المكتشفين جزر تاهيتى قبل نهاية القرن الثامن عشر غير أن الإتصال كان متناثرا ومحدودا . فلا توجد محلات عمرانية حقيقية للأوروبين كما لا توجد سيطرة أوربية طويلة على جزر تاهيتى يمكن تسجيلها ومن ثم لا يوجد احتكاك حضارى كان من نتيجته تغير حضارة السكان بطريقة ذات معنى . التأثير الواضح على حضارة سكان جزر تاهيتى حدث بعد ذلك بواسطة بعثات التبشير الإنجليزية التى ذهبت إلى هناك . فى عام ١٧٩٧ ذهب إلى هناك بعثة دوف Duf الإنجليزية والتى ضمت مبشرين بروتستانيين نجحوا فى اجتذاب الأهالى نحوهم بسبب احترامهم لعادات التاهيتين وبسبب الأحداث السياسية المحلية . وقد تأثر الأهالى بالتكنولوجيا الآلية الغربية وبروحهم القومية واحترامهم لمجموعاتهم المحلية . ومن ثم فقد كان البولينزيين على استعداد تام لتقبل التعاليم المسيحية .

وقد تمكنت البعثات التبشرية من تغير عدد من العادات المحلية والتى تبدو لهم أنها غير خلقية حيث حرموا ، ارتداء النساء للملابس الفضفاضة Mother Hubbard dresses ، كما حطموا المعابد ومنعوا الموسيقى والرقص

وتغيرت عادات الزواج وقد حاولت بعثة كاثوليكية رومانية فرنسية الإستقرار فى تاهيتى عام ١٨٣٦ . ولكن طردها الأهالى وقد تمكنت بعد ذلك فى عام ١٨٤٣ قوة بحريه فرنسية من السيطرة على الجزيرة لتصبح مستعمرة فرنسية . وقد كان الاستعمار الفرنسى أكثر مرونة من نفوذ الارساليات فسمح لتجار بالانتقال كما سمح بوفود المغامرين إليها .

وكما هو الحال فى أجزاء جزر بولينزيا الأخرى انتشرت الأمراض الأوربية بين الأهالى فى نفس الوقت الذى استوردت فيه الأيدى العاملة الصينية لتعمل فى المزارع . وما لبث أن تمكن الصينيون من أن يكون لهم فاعلية فى المؤسسات الاقتصادية حيث يكونوا الآن ما يقرب من ربع السكان ويسيطرون على الأسواق الداخلية الفرنسية فى المحيط الهادى فمدينة بايتى Papeete المدينة الرئيسية فى تاهيتى هى العاصمة الادارية والاقتصادية للبلاد وحيث تضم الفرنسين والاهالى والصينين غير أنه لم يظهر على الاطلاق أى حاجز طبقى بين التاهيتين والمولدين فجزر تاهيتى الحديثة عبارة عن متروبوليتان بل أكثر من ذلك يبدو أن البولينزين الاصليين أخذين فى الاختفاء نتيجة لعمليه مماثلة تأخذ مكانا لها فى جزر هاواى غير أنه فى بعض الجزر البعيدة التى تقل فى أهميتها عن جزر سوسيتى مازال السكان الاصليين يحتفظوا بطرق معيشتهم الاصلية ، كما ان اعدادهم أخذه فى الزيادة فى هذه الجزر لدرجة انهم يمكنهم الاستمرار فى حياتهم . فقد عرفوا أسواق تجارة الكوبرا أو جوز الهند المجفف كما عرفوا تجارة اللؤلؤ التى بواسطتها يمكنهم الحصول على السلع الأوربية الضرورية لهم .

أهم مراجع الباب الثانى

1 — Karsten, R., Headhunters of western Amazonas, The life and culture of the Jivaro indians of Eastern Ecuador and Peru, Societas Scientiarum Fennica, Vol. 8, No. 1, Helsinki, 1935.

2 — Rivet, p., Les indiens Jiberos, L'anthropologie, Vol. 18,19 1907—1908.

3 — Steward, J. N, and Metraux, A., "The Jivaro" in J. H. Steward (ed.), Handbook of South American indians, Vol. 3, Bureau of american Ethnology, Bull. 143, Washington, 1948

4 — Up de Graff, F W. Head Hunters of the Amazon Seven Years of exploration and adrevture, Garden city, N.Y.,1923.

5 — Bogoras, W.G., New data on types and distibution of Reindeer breeding in Northern Eurasia, proceeding of the 23 rd international Congress of americanists, lancaster, 1930.

6 — Buxton, L.H D., The people of Asia, New York, 1928

7 — Cressey, G.B., asia's lands and peeple, New York, 1934

8 — Jochelson, W., peoples of asiatic Russia, New York 1928.

9 — Laufer, B, The Reindeer and its domestication, Memoirs of the ameriean anthopological association, Vol. 4, No-2 1917

10. Anderson, R., The Buffalo Men, Acheynne Ceremory of petition deriving from the Sutaio, Southweslern Journal of anthopology, Vol. 12, 1956.

11 — Dorsey G A, The Cheynne, Field Museum anthropologieal series. Vol. 9. chicago. 1905.

12 — Ewers, J.C., The horse in Blackfoot Indian culture : with comparative material from other western trikes, Bureau of american Ethnology, Ball. 159, Waohington, 1955.

13 — Lowie, R.N., Indians of the plains, New York, 1924.

14 — Wissler, C., The influence of the horse in the development of plains culture, americen anthropoloyist, Vol. 16, 1914.

15 — Wissler, C. North american Indians of the plains, N.Y., 1934.

16 — Evans - Pritchard, E.E, The Nuer, Oxford. 1940.

17 ———————, Kingship and Marriage among the Nuer, Oxford, 1951.

18 — Herskouits, M.J., The Cattle Complex of East afica, american anthropologist, Vol. 28, 1926

19 — Seligman, C.G. and B.Z, Pagan tribes of the Nilotic Sudan, London, 1932

20 — Arii, T.E., Tahiti, New York, 1947

21 — Cook Capt. J. The Journal and voyages of Captain Cook, London, 1773, 1777,1784

22 — Freeman, O.W Geography of the Pacific. New York. 1951.

23 — Keesing, F M, The South seas in the Modern world. New York. 1941.

24 — ———————, Native peoples of the Pacific world, New York, 1945

25 — Sharp, A., Ancient Voyagers in the Pacific, Wellington, 1956.

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الباب الثالث

المماليك البدائية

ـ الكالينجا فى جزر الفلبين

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الكالينجا

The Kalinga of the Philippine Islands

الكالينجا فى جزر الفلبين

تكون جزر الفلبين جزءا من منطقة حضارية كبيرة تعرف باسم أندونيسيا وعلى الرغم من فترة الاستعمار الطويلة التى استمرت ما يزيد على ثلاثة قرون تحت الحكم الأسبانى ثم أخيرا تحت سيطرة الولايات المتحدة إلا أن الأساس الحضارى لجزر الفلبين يشبه بصفة عامة ذلك الذى يسود فى الجزر الكبرى التى تقع إلى الجنوب الغربى منها . وهذه الحضارة القديمة ليست حضارة بسيطة أو غير مميزة . فكما هو الحال فى جزر أندونيسيا الكبرى يوجد بها عديد من الأصول السلاليه إلى جانب عناصر جنسية مختلطة ذلك بالاضافة إلى أن الحضارات الأصلية قد استقبلت تأثيرات أخرى من الهند والصين كما دخلها الإسلام قبل اكتشاف الاسبان للجزيرة فى عام ١٥٢١ حيث خضعت لنفوذه وسميت باسم الفلبين تكريماً للملك فليب الثانى .

ومن بين الجماعات التى تعيش فى الفلبين فى الوقت الحاضر أقزام النجرو Pygmy Negroes أو النجريتو الذين من المحتمل أن يكونوا أول العناصر التى وصلت إلى الجزيرة . وهؤلاء السكان صيادون وجامعون للطعام وقد تقهقروا إلى أعماق الغابات الكثيفة تحت ضغط الجماعات الأقوى منهم وهم يوجدون الان أساساً فى لوزون Luzon الجزيرة الشمالية .

أما الأندونيسيون فقد جاءوا إلى الجزر بعد ذلك وربما أحضروا معهم حضارة زراعية حيث استقروا فى المناطق الجبلية فى الجزر الكبرى . وأخيراً وفد الملايويون الحاليون أو الملايو الأوائل Deutero - Malayo كما يسموا وذلك تميزا لهم عن طلائع الملايو Proto - Malays والذين يوجدوا بصفة عامة على طول السواحل وفى الأراضى المنخفضة والذين يحملوا حضارات تتصف

مؤثرات هندية ، والتى تمكنت من السيطرة لفترة طويلة على الجزر فى غرب أندونيسيا . وقد أضافت التجارة الصينية بعد ذلك تعقيداً حضارياً جديدا فى جزر الفلبين . وقبل وصول الأسبان وفد إلى الفلبين من الملايو تأثير اسلامى جديد حيث كان التجار العرب على اتصال دائم بجزر أندونيسيا وحينما حكم الأسبان السكان المسلمين فى الفلبين سموهم باسم المور Moros وهى نفس التسمية التى يطلقوها على المسلمين فى أسبانيا وشمال إفريقية .

وينقسم سكان الفلبين فى الوقت الحاضر فى العادة إلى أربعة أنماط تعكس أساساً اختلافات حضارية غير أن توزيعهم ومناطق تواجدهم تؤيد التتابع التاريخى للوفود العناصر الجنسية السابقة . فجماعات النجريتو التى تعيش فى المناطق المنعزلة الغابية هى أقل الجماعات الموجودة فى الفلبين اندماجا فى الحضارة القومية بها . وعلى النقيض من ذلك الفلبينو Filipino . أو الجماعات التى تعيش فى الجزر الوسطى والتى تعرف جماعيا باسم فيسايان Visayans والجماعات التى تعيش فى سهول وأودية لوزون والذين اعتنقوا المسيحية فى بداية فترة الاستعمار الاسبانى . ويشغل المور مواضع مشابهة فى الأرضى المنخفضة والساحلية فى جنوب الفلبين وذلك على الرغم من أن تأثيرهم الحضارى على الحضارة لقومية فى الفلبين أقل من تأثير الفلبينو .

أما الجماعات الأخرى التى تعرف باسم الباجان Pagans أو القبائل المتوحشة wild tribes فيشغلون مساحات كبيرة فى جزيرة مينداناو Mindanao الجنوبية ومعظم شمال لوزون ذلك بالاضافة إلى مواضع منعزله أخرى فى قليل من الجزر ومن بين الجماعات الاخير الكالينجا الذين يكونون جزءا كبيرا من الاندونيسيين وتعتبر جزيرة لوزون أكبر الجزر فى الارخبيل الفلبينى . والجزء الشمالى من

الجزيرة فيما عدا المناطق الساحلية المستوية وأودية الأنهار المنخفضة عبارة عن مناطق جبلية وعرة سكنتها قبائل الباجـــان وأساس الحياة الاقتصادية هنا الزراعة الكثيفة جدا المعتمدة على وسائل الرى وعمل المدرجات ومن ثم فيتسم شمال لوزون بارتفاع نسبة الكثافة بينهم ارتفاعا ملحوظا وتتشابه جميع القبائل فى المنطقة فيما بينها تشابها تاما ولذا فقد اشتهروا تاريخيا ببغضهم للصيد .

ويتحدث الكالينجا لغة قريبة من لغات العائلة اللغوية الملايوويه البولينزية . وقد بلغ عددهم فى عام ١٩٢٩ حـــوالى ٢٤ ألف نسمة ويعيشون تقريبا فى الوسط الجغرافى لمنطقة قبائل الباجان فى شمال لوزون . والسلاسل الجبلية هنا أقل وعورة من السلاسل التى يشغلها جيرانهم النيجويان Tinguian والايفوجوا Fogao فالتربة عند الكالينجانيون أكثر خصوبة ، كما توجد مصادر أكبر لمياه الرى . ويمتاز الكالينجا عن كل جيرانهم فى كونهم يستطيعوا زراعـــة محصولين من الأرز على مدار السنة وينتجون نوعا من الإرز الكبير جدا وهو أفضل أنواع الارز فى العالم وبامكانهم دائما تصدير جـزء منه إلى سكان المناطق المنخفضة .

ويشبه الكالينجا غيرهم من الاندونيسين فى أن صفاتهم الجنسية أقل مغولية من صفات الفلبينو العادى على الرغم من أنهم أيضاً يتصفوا بالشعـر الأسود الخشن المستقيم وأنه لايوجد شعر على بشرتهم البنية كما أن هناك انحراف فى الجفون . والكالينجا طوال القامة وقد وصفهم بارتون Barton بانهم عراض الاكتاف ضيق الارداف أنيقين أقوياء ، والكالينجا وغيرهم من القبائل الجبلية قد تأثروا كثيرا بالطبيعه فى صفاتهم وذلك عن طريق وشم أجسامهم وحشو و تسويد Blackening أسنانهم وتزين الشعر ووضع الزهور فى ثقوب الاذن . ويترك شعر كل من الجنسين لينمو طويلا إلى الخلف كما يقطع على هيئة قصة من الأمام:

والملابس بسيطة فهى على هيئة حزام أو رباط يأخذ حرف G أو بنطلون قصير بالنسبة للرجال أما النساء فهو عبارة عن السارونج Sarong (١) . وفى بعض الأحيان يرتدى النساء والرجال صدرى قصير جدا حيث يترك جزءا كبيرا من الصدر عاريا .

أهم محصول زراعى لدى الكالينجا الأرز ، ويليه فى الأهمية محصول الموز وقصب السكر والبطاطا والبسله . أما أشجار الاريقة Areca palms فتزرع من أجل الجوز الذى يمضغ فى كل مكان فى نطاق تواجد الحضارة الأندونيسية . وتزرع كذلك أشجار جوز الهند والبامبو . ويربى جاموس الماء أو الكاراباو Carapao والخنازير والطيور وقليل من الماشية كحيوانات مستأنسة ، وتأكل لحوم جميع هذه الحيوانات بما فيها الكلب غير أن الاستخدام الرئيسى لجاموس الماء هو حرث وتسوية الحقول . ويأكل البعض كما يشرب لبن الجاموس والأبقار غير أن انتاج كل منهما ضعيف حيث يستخدم فقط كدواء للاطفال الضعاف .

وعلى الرغم من الزراعة كثيفة ومنتجة إلا أن وسائلها بسيطة فتسوية الأرض وحفر القنوات المائية كلها انشاءات وأنشطة تنفذها أيدى عاملة تستخدم جاورف خشبى بسيط . وإعداد الحقل بعد تسوية وعمل أحواضه يتم عن طريق عدد من من الجاموس الذى يدفع للدوران مرارا فى الحقل إلى أن تتحول التربة إلى كتلة سميكة وعميقة من الطين حيث يزرع بعد ذلك محصول الأرز ثم يشتل باليد كما يحصد ويزرع باليد أيضاً . وبعد الحصاد وقبل أن تغمر الأرض بالمياه من جديد استعداداً للزراعة تجمع التربة العليا وتكوم من أتلال صغيره والتى يزرع

---

(١) اللباس الرئيسى لكلا الجنسين فى ارخبيل الملايو ويتألف من قطعة من القماش تكتنف الجزء الأدنى من الجسم على شكل أنبوبة

عليها بعض نباتات الحدائق .

ويبنى الكالينجانيون منازل جيدة وواسعة وهم مرة أخرى مثل مواردهم يفوقون فى هذا الصدر كل القبائل المجاورة لهم . فمنزل الكالينجلى العادى على شكل مربع طول ضلعه يتراوح مابين ١٥ و ٢٠ قدما ويشيد على أكوام ترتفع بضعة أقدام فوق الأرض وإذا ماكان صاحب المنزل ثريا فيأخذ المنزل شكل المثمن Octagonal وتصنع الارضية والجدران من أسلاخ البامبو على حين يبطن السقف من السعف . وقد يوجد عدد من التعديلات الاضافية فى تركيب المنزل فقد يصنع مدخنة فى سقف المنزل أو قد ترفع أرضية المنزل عند جوانب الحائط لتكون مكان للنوم . أما موضع الموقد فيحدد فى مؤخرته بينما يبنى فى مقدمة المنزل مايشبه البلكونة الضيقة ، وأرضية البامبو من أسهل ازالتها ولذا فيمكن للزوجة أن تحملها إلى النبع عدة مرات أسبوعيا لغسلها وتنظيفها .

ويعتمد التنظيم الاجتماعى عند الكالينجا أساساً على نظام القرابة على الرغم من أنه يوجد تنظيم حكومى وسياسى هام والذى يتجاوز عنه فى بعض النقاط . فالأسرة البسيطة المكونة من الزوج والزوجة والأطفال وأحيانا بعض الاقارب المتصلين هى المجموعة التى يضمها منزل . وقد يتجمع سويا مجموعة من المنازل وساكنيها ليكونوا عشيرة والتى تعتمد الرابطة بينها على الثنائية أكثر من الوحدوية أى يعتمد على أساس أبوى أو أموى . فالفرد يعرف كقريب إذا كان متصلا بأحد جدى الإب أو الام بحيث يمكن ارجاع قرابة الفرد فى الجيل الواحد حتى العم الثالث .

ومصطلحات القرابة التى تستخدم فى المخاطبة تتبع النظام البولينزى الذى يفصل بين الاجيال المختلفة غير أنه يعمم بينهم . ومن ثم فمصطلح Apo يشير إلى

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

الجد أو ابن الجد أو أى قريب آخر ينتمى إلى جيل الجد ويستخدم هذا المصطلح للدلالة على الاحترام الشديد ولهذا فيميز القريب عن طريق مخاطبته بهذا المصطلح حتى ولو كان من سنه . أما مصطلحى Ama و ina فيستخدما الاشارة تبعا إلى الأب والأم ولكن قد يمتد استخدامها فى بعض الأحيان إلى أقارب هذا الجيل .

وتوجد مصطلحات أخرى تستخدم فى الاشارة أكثر من استخدامتها فى المخاطبة وذلك لتميزا أوضح لاقارب بعينهم كتمييز أبناء الأعمام عن أبناء النسايب أو أبناء العم الثانى عن أبناء العم الأول أو غير ذلك ولكن لايوجد أى مصطلحات للتفرقة بين أبناء العمومة اللزم وأبناء العمومة المخلطين وذلك ربما بسبب نقص الزواج من الاباعد . ومصطلحات المخاطبة بسيطة جدا وعمومية وربما سبب ذلك أن وظيفتها كعناوين للاحترام أكثر منها ألقاب حيث تستخدم الاسماء الشخصية فى المخاطبة والاشارة ولايشذ عن ذلك إلا فى حالة الحمى والحماه فكما هو الحال فى كل المجتمعات البدائية لابد أن يلقيا احتراما زائدا بمعنى أن مصطلحات القرابة تفضل هنا استخدامها فى المخاطبة عن اسمائهم الشخصية .

وقد ترتبط أفراد العشيرة أو مجموعة الاسر مع بعضها بالزواج الذى قد يجمع بين عائلات متباعدة أو غير متقاربة والريف مزدحم بالسكان وذلك بالمقارنة بمناطق معظم الجماعات البدائية وأنه طالما وجدت رابطة القرابة كأساس للتنظيم الاجتماعى فإنه من المرغوب فيه أن تتوسع الروابط القبلية أو العائلية لاكبر مدى ممكن ولذا يحرم الكالينجا الزواج من الاقارب الذين تصل درجة القرابة اقل من ابن العم الثانى . ولاتأخذ هذه القاعدة الاخيرة صفة الدوام .

اما الليفيرات Levirate أو السورورات Sorcrate أى زواج الاخ لارملة أخيه أو زواج الأخت لأرامل الاخت الاخرى والذى يعتبر شكلا عاما للزواج

فى المجتمعات والحضارات البدائية فلا وجود له فى مجتمع الكالينجا . وإذا كانت الروابط قد تقوى بين العشائر المختلفة نتيجة لتكرار الزواج بينهم غير أن الكالينجا حريصين دائما على الرغبة فى توسيع روابطهم لا عرض جبهة إذ يرددون أنه لاداعى لضياع الزواج فاعائلة أخرى يمكن أن تنضم الينا بزواج واحد .

والإقليم كوحدة سياسية وجغرافية للمجتمع يتكون من الاسر أو العشائر التى بينها نوعا من النسب ورابطة القرابة . وقد خلق هذا الموقف نتيجة الزواج القرابى ، فالزواج خارج الحدود الاقليمية مرفوض . ومن ثم فالاقليم هنا يشبه فى كل نواصيه العملية القبيلة . وعلاقة أى أقليم من هذه الاقاليم بالاقليم الاخر لابد أن تكون مضطربة أو فى حالة السلام لابد أن يكون هناك بينها اتفاق عن طريق الوسائل السياسية أكثر من الطرق المعتادة بين الجماعات البدائية والتى تربط بينها القرابة الحقيقية . ويعتبر الكالينجا فى هذا الصدد مثلا واضحا للمجتمع الموجهة بالقرابة والذى خلق بدايات القانون العام ونظم العلاقات الداخلية فى الاقاليم عن طريق التنظيم داخل القبيلة ذاتها . وبعبارة أخرى فيعتبر الكالينجا مثلا لبداية لتنظيم الإرض كدولة فرضت على تنظيم أدبى على أساس كامل من القرابة

ويعتبر اقتصاد مجتمع الكالينجا بدائيا من نواحى عديدة فهو يرتكز على توزيع البضائع على الإنساب ولكن كنظام اجتماعى سياسى فله بعض صفات المجتمع المدنى . ويتضمن المميزات القبلية اشياء عديدة مثل سهولة الحركة من اجل الصيد والقنص داخل الحدود واراضى الرعى ، وتقسيم الصائد لفريسته على الإقارب ، والتركيز على الكرم واعطاء الهدايا ، وعلى الصالح العام لكل العشيرة فى أى عمل يقوم به أى فرد من المجموعة . فقد دخل إلى الحياة الإقتصادية بطريقة او اخرى شيوعية بدائية حيث لايوجد شخص مكتفيا ذاتيا .

وقد تطور اتجاه الملكية الخاصة على أى حال كثيراً فى بعض النواحى الاقتصادية ومن ثم فهناك فى ثروة الأفراد داخل العائلات .

فحق استغلال الفرد لأرضه معروف وذلك إذا ما توسع الشخص فى العمل بها من أجل انتاجها . فعلى سبيل المثال مجموعات البامبو البرى فى متناول الجميع ولكن إذا ما قام شخص بتنظيفها وترتيبها ففى هذه الحالة له حق وضع يده عليها . ونظراً لأن الأراضى الجبلية فى مجتمع الكالينجا غير صالحة للرى لذا فزراعتها تتطلب مجهوداً ضخما حيث لا بد من تنظيفها وتسويتها ثم عمل أحواض وحرثها وشق قنوات مياه اليها . وحيث أن مثل هذا العمل يتطلب وقتا طويلا وعدد من أفراد الأسرة لذا فينظر اليها على انها من ممتلكات الأسرة . ونظرا لأن الرى يجدد التربة فلا تنزع حقول الارز بمعنى أن حقوق المستأجر قد تعطى داخل فرعه فى العائلة .

أما الاراضى التلالية غير المروية حيث يزرع البطاطا والبسلة فقد تفقد خصوبتها بعد عامين أو ثلاثة ومن ثم فهى أراضى مهجورة ، فقد يبقى المزارع الاصلى حق استأجرها وإذا ما فعل ذلك يكون له الحق فى العودة لزراعتها مرة ثانية ، وإذا ما بقيت فترة طويلة دون زراعة ورغب فرد آخر أن يزرعها فلا بد للشاغل الأول أن يعطى إذن للثانى . بمعنى أنه لا بد أن يزرعها بنفسه أو يعطى هو حق زراعتها لآخر .

وإذا ما امتلك شخصا حقل أرز فلا حقوقا كاملة له عليه ، فلا يستطيع التصرف فيها كما يشاء إذ أن الأرض تمتلكها الأسرة وأن المالك الحالى يمكنه أن يبيعها فقط فى حالة الازمة الخطيرة حيث يتدخل كبار العشيرة فى هذا الصدد كما أنه لا يستطيع توريث الأرض بسهولة إلى هؤلاء الذين ليس لهم حق الميراث

على وجه الخصوص فى صالح السلف والاباء . فاكبر الأبناء يرث أفضل حقول أبيه فى الوقت الذى يقيم فيه منزله ، كما أن الابنة الكبرى ترث أفضل أراضى أمها . أما الابن الأصغر فيحصل على أراضى أقل جودة بينما الطفل الاصغر سواء كان الأخ أو الاخت ففى العادة يمكثا مع والديه بعد الزواج ويحصل فى نفس الوقت على ما ابقياه والديه من ممتلكات لكى يقيما أودهم أو أى ممتلكات أخرى حصلا عليها بعد توزيع ممتلكاتهم السابقة على بينهم .

وقد كان من نتيجة التأكيد على نظام السلف ان تمتع الابناء الكبار سواء كانوا ذكورا أم اناثا بمراكز جيدة فى المجتمع غير أنهم ليس لهم السيادة دائما كما هو الحال فى بولينزيا حيث يورث الممتلكات والوضع الاجتماعى للأب إلى أكبر الأبناء بدون تقسيم ويصبح الاخ الأصغر تابع كامل له .

ووضع المرأة فى مجتمع كالينجا وضع مطمئن تماما وذلك لأنهم يورثوا كما يورث الرجال تماما . ووجود فرعين متوازين من الممتلكات أى من الأب والأم تجعل الزواج هش وذلك لغياب الملكية الزواجية . وتستطيع المرأه أن تطلق زوجها بحرية بدون قلق على المصاعب الاقتصادية وذلك لأنها تملك السيطرة على ممتلكاتها . وحينما يموت رجل متزوج فلا ترث أرملته أى ممتلكات له لأنها من صالح الابناء .

وحقوق ملكية المياه تخضع لنفس الاسس التى تطبق على الأرض فالشخص الأول الذى يستغل النظام المائى له الحق الأول فى استخدامه وعلى الزراع المنتفعين أن يدفعوا له لكى يأذن لهم بتحويل المياه إلى حقولهم ، وإذا كانت المساحة كبيرة للحقول التى تستخدم المياه من مجرى واحد تصبح حقوق التدفق معقدة ولكن دائما يتبع نظام الاسبقية للمستغلين الاصليين حيث يحق لكل واحد

منهم أن يوزع المياه الواردة اليه من أعلى المجـــرى . وفى حالات نادرة حيث يروى مصدر مياه واحد أكثر من اقليم تحدث المنازعات الدائمة . وقد يبدو ذلك أمراً لا مفر منه إذ أن المياه دعامة أساسيه للاقتصاد ولأن الاقطاع والصراع الطويل أو الحروب بين الاقاليم التى تشارك فى المياه قد تؤدى إلى كارثه ولذا تكون العلاقات السياسية بين الجماعات هى نتيجة لهذا التداخل .

عامل آخر يتصل ببعض سمات الدولة السياسية لمجتمع الكالينجا كية التجارة داخل الاقليم الكالينجاوى وبينهم وبين الاقاليم الاخرى . ففكرة انتقال الملكية لإعتبارات متعددة رسخت بقوة . ففى معظم المجتمعات البدائية تتم التجارة عن طريق تبادل الهدايا ، ولكن حتى ولو كانت التجارة مجرد مقايضة شىء بأخر فإنها تجارة مباشرة ولا يشترط وجود نقـود فى العملية . ففى مجتمع كالينجا لا يوجد نظام نقـدى إذ خصصت سلعة معينة كوسيلة لتبادل ومقياس للقيمة ومن ثم فهم قريبين من هذا النظام .

فكل القيم الكبيرة تحسب بالنظر إلى قيمة الجاموس كما أن الدفع يكون غالبا بالجاموس . الوحدة الثانية الاصغر هى الخنازير إلى أن يصل إلى نوع من وحدة التبادل اطلق عليها بارتون Barton اسم Heirlooms وهو أي شىء ذات قيمة خاصة يورثه جيل إلى جيل ومناع الكالينجا يستخدم كعملة للتبادل لأنها لا تستهلك ولأنها يجمعوها ونظرا لأنها تضم أنواعا عديدة من الامتعة وعلى درجة كبيرة من الإختلاف فى القيمة . وبعض تقييمهم يشبه أحيانا التبادل الحديث فى كونه مجرد رمز له قبول جماهيرى أكثر منه قيمة حقيقية .

وكما هو الحال فى أندونيسيا فكل شىء تقريبا كالسرير أو الطبق أو البلاص أو الحلق أو العقد أو أى شىء تحتفظ به الاسرة لفترة طويلة يكتسب نوع من

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

القيمة التذكارية . فحلق ذهبى أو سلسلة من الخرز ربما يكون لها تاريخ يعرفه كل فرد ومن ثم تكون قيمته مرتفعة وبالعكس الاشياء الجديدة أو التى تاريخها حديث تصبح قيمتها أقل .

وحينما يباع جزء هام من ممتلكات فرد فلا بد وأن يعطى جزءا من الثمن المشترى به كهديه لمجموعة الاقارب مع إختلاف فى نسبة العطاء تبعا لدرجة القرابة . وكلما زادت أهمية الشىء المباع كلما اتسعت دائرة القرابة المستفيده من مبلغ الهدية . وتظهر هنا نوعا من الشيوعية البدائية حيث يأخذ شاغل أو مالك حقل الارز النصيب الاكبر . وتتركز الملكية الفردية فقط فى الملابس الشخصية والادوات والزينة . والخلاصة أنه بالنظر إلى الملكية ونمو النظام النقدى والقانون والسياسة والحكومة نجد أن مجتمع كاليفورنيا يقف على الطريق بين المجتمع القبلى المقارب والمجتمع المتمدين .

ويؤثر فى البيع وكيلين عن البائع أحدهما يمثل أقارب الزوجة والاخر الرجل حيث يناقش صورة البيع وإذا ما تم الاتفاق بين الاقارب يسمح بالبيع بعد تحديد السعر ومن ثم يبحث الوكلاء عن المشترى . وفى منزل المشترى وبعد المداولة يأخذ الوكيل وعاء من رف المشترى ويضعه على الارض حيث يتأمله كل فرد لبضعة دقائق فى سكون تام . فإذا ما عطس أحد فى تلك الاثناء أو صدر عن أحد فعل غريب تلغى الصفقة .

وإذا لم يحدث شيئا يلتقط المشترى الإناء ويعطيه للبائع ، وتكون هذه العملية بداية سلسلة طويلة من الاحتفالات تنتهى بالدفع . ويأتى أقارب البائع بعد ذلك فرادا ليساوموا على انصبتهم . حيث يكون هناك تفاهم مع المشترى على الجزء الذى سيدفع لهم ، كما أن المشترى ذاته بالطبع سيدفع جزءا لأقاربه كما أنه لن يكون

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المالك لها الوحيد بعد شرائها .

وإذا ما أخر البيع أو قسط فيتضمن الدفع فى هـــذه الحالة فكرة الدين ، حيث لا يسقط الدين بموت المدين إذ تورث كل الإلتزامات . وقـد يجمـع الدين أحيانا عن طريق وضع اليد على أملاك قبيله المشترى ولـكن فى معظم الأحوال تبذل محاولة لتوبيخ الدائن وإذا لم يستجيب فى بادىء الأمر ولاسيما إذا كان من منطقة أخرى فإنه يضع يديه على ممتلكاته بمعنى أن المدين قد يذهب إلى بيت الدائن ويقيم فيه ولايجرء أحـد على طرده لأنه يكون فى منزلة الضعيف المقدس وهذا ما يدفع الدائن ليبذل مجهود كبير لجمع المال من أقاربه .

والتجارة بين الأقاليم المجاورة قد تكون عاملا قويا وراء نشوب الحرب بينهم إلا أنه مجتمع كالينجاقد إتخذ من التجارة وسيلة لإقامة عـــلاقات سلمية داخـل الاقليم . فإنتشار مؤسسات المشاركه التجارية قد ساعدت على صياغة هذه العلاقة السلمية التى تسود فى الاقاليم التى يقطنوها ، فمسئولية التجار تقوية العلاقات السلمية بين أقاليمهم . وهذه قد تكون وظيفة سياسية فى مضمونها إذ ان التجـــار هو المتحدث عن إقليمه والممثل له فى أى علاقة من الأقاليم الأخرى . ويظهر عنصر قوى للمجتمع البدائى فى هذا التنظيم إذ ان التاجر أو المسئولين عن هذا النشاط يكون اخوة إحتفالات وتنطبق عليهم كل التزامات الاخوة الحقيقيين .

وقد يظهر مفهـوم الدولة فى الاقليم من الأشخاص المعروفين باسم بانجات Pangato ، وهؤلاء الرجال الذين يمثلوا ارستقراطية الاقليم لهم نفوذ عـلى بقية أفراد المجتمع ومهمتهم الأساسية هى حفظ السـلام فى الأقليم . بمعنى ان البانجات ينظر لمصالح كل الناس وليس مصالح ذوية فحسب . ويمكن للشخص أن يصل إلى منصب بانجات عن طريق شخصيته القوية كما انه لابد أن يكون ارستقراطيا من

أسرة غنية وفى نفس الوقت تكون له الصفات الشخصية التى تجعل الآخرون يحترمونه .

وفى سبيل إستقرار مجتمع كالينجا يكون دور البانجات الرئيسى هو دور الوسيط فى المنازعات ، فإذا ما وقع ضرر على أى مجموعة من فرد من مجموعة أخرى فقد يؤدى ذلك إلى قيام الحرب بينهما ولذا يحاول البانجات ان يسوى النزاع عن طريق دفع تعويض مرضى للمجموعة المضارة . ويعد مثل هذا العمل من سمات المجتمعات المتمدينة ، كما انه عند الكالينجا مظهرا من مظاهر السيطرة على أسلوب الحياة وذلك نظرا لعدم وجود قوة قانونية منظمة يمكنها أن تصدر أحكام يقبلها عرفى النزاع .

وإذا ما فرض تعويض على الشخص المذنب إلا انه ليس من الضرورى فى مجتمع كالينجا أن يأخذ على الفرد ضمان يحول دون تكرار ما افترض بل يترك الفرد ليصلح من نفسه حتى لا يفقد مركزه . ويبدو بصفة عامة ان نظام كالينجا السياسى يمارس وظيفة وساطه متقدمة أكثر من كونها وظيفة تشريعية حقيقية. فاقرب إلى القوة الملزمة وأبسط مفهوم للدولة يتمثل فى تهديد البانجات الذى يدفع إحترام الأهالى له وخشيتهم ايها إلى اجبارهم على قبول أحكامه .

والحدود الاقليمية لمجتمع كالينجا هى حدودا تذكارية لدولة حقيقية فى نظر الأجانب أكثر منها فعلية . فقد تحدد الحدود الاقليمية ويعاد تحديدها لا عن طريق أفراد العشيرة فحسب بل بواسطة كل أفراد الأقليم ، كما أن فكرة العضوية فى الأقليم تشبه فكرة المواطنة والتى يمكن تعريفها بمقومات أكثر من مصطلحات القرابة ! مثل الميلاد والاقامة داخل حدود الأقليم. فقد تبرم المعاهدات كما تحترم العلاقات التجارية الخارجية وتحمى .

وقد تكون الحـــدود الاقليمية النمطية لكالينجا صورة أخـرى لمجتمع عشائرى راقى Supra kingship society على الرغم من المجتمع القبلى الأصلى لايشمل أى طبقات عائلية من المفهوم الحديث الا أن عشائر كالينجا القوية المتأصلة تنقسم بواسطة أسر نووية مستقرة والتى تشغل مستويات متميزة فى الإقتصـاد العام وترتبط فى ذلك بوضعها الإجتماعى فعلى قمه التنظيم الطباقى توجد جماعة البانجات القليلة العـــدد العظيمة التأثير . وتحتهم توجـد طبقة الكادانجيـان Kadangyan التى تضم جماعـــة الارستقراطية من مجموعات العشائر . ومن ثم الطبقة العادية أو المتوسطة المعروفة باسم باكنانج Baknang وطبقة الفقراء أو الكابوس Kapus . والفرق بين الطبقة العليا والطبقة السفلى كبير لدرجـة ان العديد من طبقة الكابوس لا يمتلكون شيئا ولذا لابد وأن يعملوا إجـــراء ولاسيما وان بعض الأغنيـــاء يمتلكون أراضى تكفى لتشغيل عدد من الاجداء لزراعة الأرض عن طريق المشاركة . وتشبه العلاقة بين المالك والمستأجر علاقه التبعيه فلابد للمستأجر فى مساعدة سيدة إذا ماوقع عليـه سوء أو أصيب بضرر بينما على السيد أن يساعد المستأجر فى أوقات مرضيه وأزماته . فهى علاقه سيد مالك بشريف مفلس ، غير أن العلاقه تشبه القرابه بل أكثر من اثنين متقاربين فى بعض الأحوال .

وتنظم الحياة اليوميه فى كالينجا علاقات القرابة فى مجتمع قبلى نمطى . ولا يشذ عن ذلك إلا بعض الحالات القليلة النادرة التى تطغى فيها الإعتبارات السياسية القومية على مصالح العشيرة . وفى معظم الأحـوال لم يفقد الكالينجانيون السمات الكاملة للمجتمع البدائى إلا انهم قـد أضافوا قليلا من المظـــاهر السياسية لكى يتمكنوا من معالجة أمورهم الخاصة . فنظام العشيرة فى أخذ الثأر مثلا لم يتوقف

بمعاهدة السلام أو بتأثير البانجات ، فدفع التعويضات والحادثات التى تأخـــذ مجالا هنا بين الجانبين المشتركين فى الواقعة تهدف إلى عـدم الرغبة فى الصـراع بينها لسبب أولآخر وفى الواقع قد ترتبط اعتبار شخصية بقيادة مجموعة صيـد الرؤوس Head - hunting وهى إحدى الوسائل البدائية للحصول على المركز المرموق بعيدا عن الوسائل الموروثه لواحد فقط هو الذى يمكنه قيادة مجمـوعة صيد الرؤوس حيث يضع وشما مميزا ويحترم رأيه فى المناقشات الهامة .

وينظر دائما إلى جملة صيـــد الرؤوس على أنها عمل إنتقامى ولـكنها تعتبر لدرجة كبيرة عمل غير شخصى . فالضغينة ضد شخص من عشيرة أخرى أو ضد جماعة تعيش فى اقليم بعيد قد تورث لعدة أجيـال ولذا فالانتقام قد يوجـه إلى أحفاد مؤسس الضغينة . وهكذا قد تحدث الاعتداءات بسهولة وتهاجم مجموعة أخرى لم يسمع أفرادها عن أسباب الانتقام أو عن الرغبة فيه .

وتتكون الجملة فى العادة من خمسة أو ستة رجال الذين يتسللون إلى حدود الخصم وينتظروا فى الادغال إلى أن يتصيدوا أحد . وبعد أن تقتل الفريسة تنزع الرأس من الجسد وتحمل معهم إلى أقليمهم حيث يعقدوا احتفالا كبيرا توضع فيه الرأس على عصى ويرقص الجميع حولها ثم تتناول المجموعة المحاربة بعد ذلك المخ ممزوجا بعصير قصب السكر . وتمارس هذه الشعائر من أجل اعتقادهم أن احضار رؤوس اعدائهم تزيد من خصوبة حقولهم وحيواناتهم المستأنسة ونسائهم كما انها تحسن الثروة العامة . ويحرص الابناء الصغار على وجه الخصوص للاضطلاع بدور فى مجموعة الحرب وذلك لأن مركزهم أقل من مركز المولود الأول وأن المكافأة التى سيمنحها الأب لهم عقب إداء المهمة قد تذهب لاعطائهم بعض الحقوق التى اعطاها من قبل لاخيه أو يعطيه مجالا لاختيار حقول أخرى .

ويعتبر ميلاد الطفل الأول للزوجين حادث هام حيث أن ميلاديثبت الأسرة على الرغم من الذرية بعدذلك أقل قيمة ، وتعتبر زواج الكالينجا نوعا من الزواج الأختيارى Trial marringa إلا أن يأتى الطفل الأول . وسلسة الاحتفالات والأعياد التى يقوم به أقارب الزوجين ليست مجرد لاعلان مولد طفل والترحيب به كعضو جديد إنما لاشهار أن المجموعتين أى مجموعة الأب ومجموعة الأم قد اتخذا سويا بقدوم هذا الطفل .

ودخول الطفل فى مجتمع كالينجا أمر طبيعة وذلك عن طريقة تقليد الطفل للأشخاص الكبار . والشىء الوحيد الذى يلقن للطفل هو تاريخ المجموعة العشائرية ولاسيما فيما يتعلق بالمشاكل والأعداء والديون وما يتضمن هذه المسائل بين علاقات جماعات أخرى . بعض الأمور الأخرى مثل جغرافية المنطقة ، والأمثلة الشعبية والاساطير والرقص والدين فجميعها يتعلمها الفرد من المجتمع عفويا فكما أن المفروض ألا يتعلم الأطفال المشى أو الكلام كذلك ليس هناك محاذير نحو أى سلوك معين حتى ولو كان خطر على الطفل .

وما أن يتقدم الأطفال فى مرحلة الطفولة حتى يبدؤا تدريجيا فى ممارسة أنشطة البالغين . فيشجع الصبية على وجه الخصوص للشجاعة وعدم رهبة القتلى فحينما يحضر مجموعة صيد الرؤوس أو مجموعة الحرب جثة عدو إلى مكان العشيرة يسمح للأطفال بطعنها وقطع لحوم من عظامها . وقد يتخذ البالغون خطوة اجرىء من ذلك فيدرب أبناءه على اشياء حية فعلى سبيل المثال قد يشجع على الانقضاض على قروى فجاءة وطعن معقدة بالرمح وقد يحنى الصبى مركزا هاما بين اقرانه نتيجة لهذا العمل .

وما أن يصل الأطفال إلى سن عشر سنوات حتى يتركوا منازل ذويهم ويذهبوا

إلى نوع من المنامة العامة مع مجموعة اقرانهم من نفس النوع وسرعان مايترك الصبيان والفتيات للاختلاط بحركة وتقضية أوقات ممتعة . فعدم مسئولية الكبار التى تسبب مشكلة للاباء فى المجتمع الحديث ـ تعتبر هنا مسائلة طبيعية بل أن حرية الأولاد تأكد بابتعادهم عن مقر الابوين ، غير أن الزواج الذى يحدث طالما اعتبر الغلام ناضجا يصحبه كثيرا من التغير .

وينشغل أطفال الكالينجا دائما بالزواج منذ صغرهم فقد يخطب الاباء لابنهم فتاة قبل ولادتها . فقد يتقدم والدى الطفل بالعرض بطريق غير مباشر أولا حتى لا يشعروا بخجل إذا رفض مباشر من عائلة البنت . وإذا ما قبل العرض يتناولون الهدايا وتقام وليمة . وقد يتبادل المجموعتان بين ذلك الهدايا بأستمرار طالما هذا الاتفاق قائم. وقد يقام حفل كبير يحضره أقارب المجموعتين وذلك كإشهار لخفل زواج الصبى والفتاه . وبعد ذلك يعيش الزوجان فى منزل اسرة لمدة ثلاثة أو أربعة شهور ينتقلوا بعدها إلى مقرهم الخاص والذى يكون فى العادة بالقرب من منزل الفتاة . وبعد ميلاد الطفل الأول تقام حفلة يعطى فيها أهل الولد الهدايا إلى جميع أقارب اهل الفتاة حيث يعتبر الزواج منذ هذه اللحظة قائم على اساس متين .

والطلاق مسألة شاسعة بين زواج الاطفال ولكن قد يحدث ايضا بعد ميلاد الاطفال . والسبب فى معظم الأحيان يعود إلى فشل احد الزوجين فى القيام بمسئولية المنزلية ، أى الطلاق بسبب عدم لثقة أو الغيرة الجنسية فنادر جدا . فالزوج عليه أن يقوم بالاعمال الصعبة فى الحقل مثل الحرث ونسوية الأرض وتنظيفها كما عليه أن يتحمل جميع أمور الأسرة من بيع وشراء وسياسيه أو المشاركة فى الانتقام لضرر اصاب العشيرة. أما امرأة فيتقصر عملها أساسا فى المنزل وفى المساعدة فى الزراعة وحصد المحصول .

وقد يلجأ بعض الرجال فى طبقة أغنياء كالينجا إلى إبقاء خليله لهم فى قرى غير تلك التى يقيمون بها . وهذا أمر معترف به فى نظام كالينجا حيث تشعر المرأة فى هذه الحالة أن زوجها غير قانع . وقد يعترف بالأطفال غير الشرعيين غير أنهم لا يصلون أبداً إلى مراكز مرتفعة وذلك لأنهم لا يستطيعوا أن يرثوا أكثر من نصيب بسيط من ثروة أبيهم . وفى حالة عدم إنجـــاب الزوجة يلجأ الرجل للحصول على خليله حيث تساعده فى الاختيار زوجته .

ويعتقد الكالينجانيون أن المرض والموت المصاحب للضعف من فعل أرواح شريرة وغيور بها الأسلاف قضى نحبهم . ولذا فقد تتضمن شعائر الحزن نحر بعض الحيوانات كقربان لهذه الأرواح وإقامة الصلوات من أجلها . وقد يستغرق الشامان فى صلواته وشعائره فترة طويلة من الزمن تستمر يوم ونصف وذلك من أجل طرد الروح الشريرة من المريض . وفى مجتمع كالينجا نجد أن مهنة الشامان تتركز كلية فى أيدى النساء الكبيرات حيث يقلن أن أرواحن قد تزوجت من أرواح فيما وراء الطبيعة وأن الشعائر نقام لهم عن طريق الأرواح . ولا يوجد إلا قليل من الرجال الذين يمتهنوا وظيفة شامان غير أنهم يعملوا أساسا فى إقامة شعائر جماعات الغزو ولا يهتمون بالأجور الفردية .

وحينما يموت شخص مريض فإنهم يسيرون لمسافة طويلة من أجل إبعاد أرواح معينة وهى التى سوف تأكل الميت . وقد يوضع الميت جالسا على كرسى عريض حيث يجلس إلى جواره أرملته أو أرملها طوال الوقت الذى تستمر فيه الحداد . يقف كذلك والدة ووالد المتوفى مع أقاربه أمام المنزل ليصرخوا بأصوات عالية . وإذا كان المأتم لرجل مسن فتتسم المسيرة بالفرح والغناء وتقام وليمة وقد تبقى الجثة بدون دفن لفترة مابين ٣ و١٠ أيام وتدفن بعدها فى حقول

الأرز . وفى اليوم العاشر يرتل الشامان أدعية لطرد الروح لعالم السماء عالم أرواح الأسلاف وبعد ذلك يوضع الأرز المطبوخ وعصير القصب المخمر وفى بعض الأحيان قبعة إلى جانب القبر لمدة أسابيع .

وتشمل آلهة كالينجا عددا من طبقات المخلوقات والتى أهمها إله كابونجان Kapungan الذى من أجله يضحى بالخنازير والدواجن والذى يعتقد أنه يزيد من خصوبة الحقول . ذلك إلى جانب الآلهة التقليدية الممثلة فى آلهة الرعد والبرق والرياح وبعض الأمراض المعينة ، والآلهة الجديدة للظواهر والأقاليم الجغرافية . ومن العجيب أنه فى مجتمع زراعى لا توجد آلهة للشمس أو القمر. ومن مجموعة الآلهة أو الأرواح الآلهة المخيف بولايا bulaiyao الذى يقبض ويأكل أرواح الموتى ، والآلهة أنيتو Anitu الذى يظهر على هيئة أشباح وأرواح الموتى والذى يلام دائما على المرض وسوء الحظ . وقليل من أرواح الأسلاف لها قدرة على معاقبة خلقهم على الأفعال الخاطئة ولا سيما تلك الأفعال التى تعتبر ضد مصلحة الأسرة . وقد تقترب هذه من دين مجتمع الكالينجا الذى يتضمن قيما خلقية وروحية .

ويقدم الرقص والموسيقى عند الكالينجا بأنه شعائرى لدرجة كبيرة غير أنه قريب من دينهم . فأعداد البامبو المختلفة الأطوال تعطى كما هو الحال عند غيرهم من الأندونيسيين أصوات مختلفة وهى أداة الإيقاع الرئيسية لديهم. أما عن الرقص فيذكر بارتون Barton « أن شيء جميل أن ترى الرجال يتقدمون ويتراجعون بينما تنبعث ضربات الموسيقى من الأفواه وتحيط بهم النساء اللاتى تراعين التوقيت ليتقدم للرقص فى مواجهة الرجال والكالينجانيون مولعون بالالوان البراقة لذا فقد يضعون على رؤوسهم أو فى آذانهم باقات الزهور » .

غير أن هذه الصورة لا توجد حاليا فى حياة مجتمع الكالينجا إذا أن الارداف الضيقة والأجسام النحيفه للرجال قد غطت بملابس قذره مهلهله كما ترتدى النساء ملابس فضفاضه لاشكل لها . وقد تمكنت مدارس البعثات البشرية والتى ضمت مدرستين أحدهما كاثولوكيه والأخرى بروتستانتية من ترك تأثير واضح ذلك بالاضافة إلى اكتشاف المناجم فى اقليم كالينجاوبناء الطرق قد وضع نهاية لعزلة المجتمع الكالينجاوى .

وقد حاول الامريكيون القضاء على نظـــام المجموعة صيد الرؤوس Head hunting منذ أن بسطوا نفوذهم على المناطق الجبلية الشمالية فى لوزون بعد عام ١٩٠١ غير أن العادات الخاصة بالعدل والتى من بينها نظام صيد الرؤوس كان من الأمور الهامة فى مجتمع كالينجاحتى عام ١٩٤٠ إذ إن المنازعات المحلية كانت ما تزال تدفع السلطات للقيام بعمل ضدها ففى عام ١٩٤٧ ظهر عنوان رئيس تحت باسم « حرب قبائل كالينجاتنتهى تقريبا» فى جريدة فلبينيه وتضمنت المقال ما يلى.

الحرب الاهلية فى كالينجا بين قرية مابونجتوت Mabongtut ولوبواجان Lubuagan وما نجالى mangali وتانوران Tanudan قد انتهت حديثا بتدخل الملازم ماريو بانس Banson وانطونيو كانو حاكم لوبواجان وتبعا للمعلومات المستقاة من تلك القريتين فقد كانت الحرب مستمرة بينهما فى الماضى غير انه عقد بينهما حديثا معاهدة صلح أو على أى حال فحتى شهر أغسطس كان رئيس قرية مابونجتوت الذى عقد الصلح قد مات وفى هـــذه الحاله كان على توقيع معاهدة جديده وإلا تتجدد الحروب القديمة مرة أخرى .

وفى هذه الظروف الغريبه لم تبذل أى محاولة لتجديد المعاهدة بين القريتين ومن ثم بدأت الاضطرابات حينما تمت محاولة للقضاء على رئيس تانوران. ومنذ

تلك اللحظة بدأت الاضاع تسيء واستعدت الفريقان للحرب طبقا لتقاليد اسلافهم مع الفارق فى نوعية الاسلحة التى سوف يستخدموها الآن ولحسن الحظ فان تدخل الملازم بانس ورئيس كانو قد حال دون سفك الدماء فعقدت معاهدة جديده وتبادل رؤساء القرى الرماح كرمز للسلام واقاموا احتفالات استمرت اسبوعا .(شكل ١٣، ١٤، ١٥)

أما المؤسسات الأخرى المعترف بها فى النظام الكالينجاوى فقد برهنت على قدرتها على الاستمرار فنظام دفع التعويضات ظل دائما مقبولا كفدية أو بديل ويأخذ الان شكلا واسعا : فلفترة طويله وحتى الآن مازالت المؤسسات والتنظيمات الكالينجاوية تمارس كامل صلاحيتها على الرغم من أن حكومة الجزر تفرض قانونها فيها ومن ثم يعاقب المذنب فى كالينجا مرتين أحدهما من الحكومة والأخرى من عشيرته .

أما ديانه كالينجا فتموت ببطء غير أن الديانه المسيحية لم تتمكن بسهولة من أن تحل محلها . فقد قبل عدد من الكالينجاوين عضوية الكنيسه المسيحية غيرانهم وجدوا من الصعب اتباع تقاليدها .

وبصفة عامه نجد أن تأثير الحضارة الأوربية على الجماعات البدائية فى الفلبين لم يكن أفضل حالا من تأثيرها على الجماعات البدائية الأولى التى تعيش فى الاماكن الأخرى من العالم . فقد ظهرت الاوبئه بينهم فى فترات متعددة غير أن بارتون قد ذكر فى عام ١٩٤١ أن سكان كالينجا قد زاد عددهم . ويعمل تقريبا كل الرجال الشبان فى المناجم ، كما أن الثروه الاضافية الناتجه عن هذا العمل حسنت مستوى معيشتهم وبالاضافة إلى ذلك فقد نجحت الحضارة الاوربيه فى القضاء على أفه الماشية وزيادة الرعاية الطبية فقللت من نسبة الموتى بين الأطفال . وقد كانت اسهل وأسرع طريقة لتغير أسلوب حياة السكان فى هذا المجتمع البدائى هو الحاقهم بالمدارس نظير أجر يومى ومن ثم فيمكن التنبؤ ان أفراد مجتمع كالينجا سوف يتحولون قريبا إلى موطنين فلبيين كاملين وذلك من وجهة النظر الحضارية والقانونية

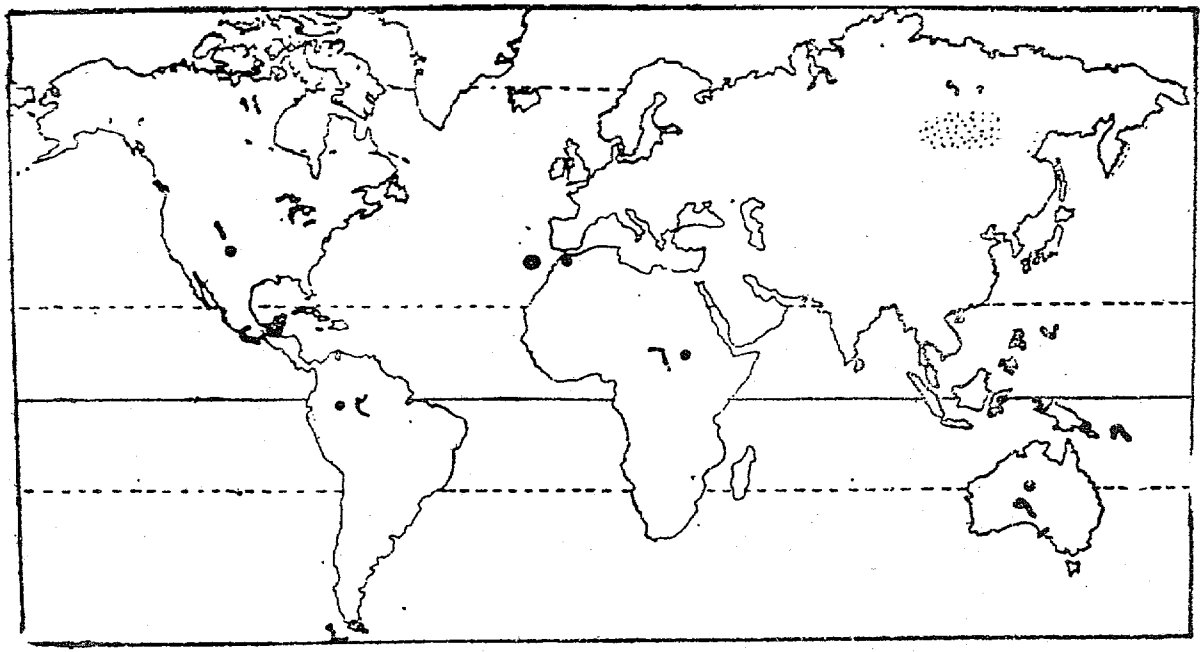

شكل (١٣) توزيع بعض الجماعات البدائيه

١ ـ الشين
٢ ـ المايا
٣ ـ الجيفارو
٤ ـ الياغان
٥ ـ المديونه
٦ ـ النوير
٧ ـ الكالينجا
٨ ـ التروبرياند
٩ ـ الارنتا
١٠ ـ التانجوس
١١ ـ الاسكيمو

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

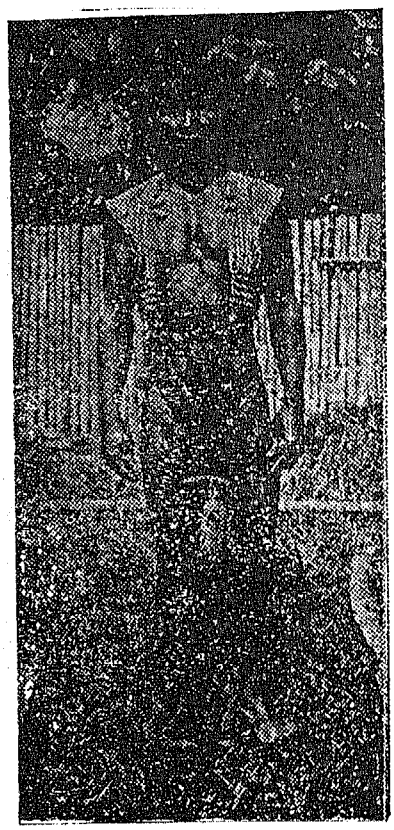

شكل (١٤) شاب من كالينجا

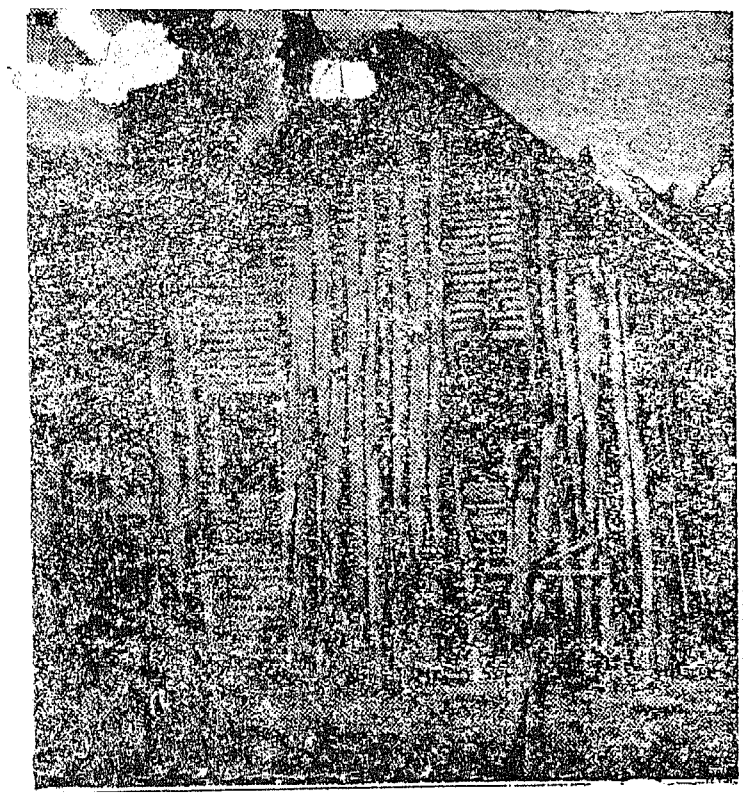

شكل (١٥) كوخ الكالينجا

Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

المـــــايا

The Maya of Mexico

المايا

يرتبط التطور الحضارى للهنود الامريكيين بمصدرين تاريخيين هامين الأول هى حضارة الانديز التى استمرت مزدهرة إبان امبراطورية ألانكا وحتى نهـــايتها . والمصدر الثانى هى حضارة أمريكا الوسطى ذلك الإقليم الذى يتفق مع الهضبة الوسطى جنوب المكسيك لتشمل يوكتان وجواتيمالا وجزءاً من هندوراس فى أمريكا الوسطى. هذان المصدران كمركزين للحضارتين بكل ما تعنيه كلمة الحضارة حيث نظم المجتمع على أساس مدنى وكان الأساس دولة مدن city-state أكثر منه نظام عشائرى . وقد ميز هذا النظام كل القبائل الأخرى الهندية الأمريكية.

وقد كان إقليم أمريكا الوسطى وحدة حضارية وإن كان قد حال دون تجانسه الكامل الاختلافات الجغرافية والسيادة السياسية لبعض الأمبراطوريات الصغيرة التى بسطت نفوذها على مساحة من الأرض . غير أن هذه الدول المنفصلة والتى وجدت فى الإقليم قد شاركت جميعها فى الملامح الأساسية لحضارة أمريكا الوسطى .

ومن أشهر هذه الدول أو الممالك مملكة الازتك Aztec والتولتيك Toltec واللتان تركزتا حول مدينة المكسيك . وقد وجدت ممالك أقل شهرة ولكن اشتملت على بعض التطورات الحضارية المؤثرة . فمملكة ميشواكان Michoacan بالمكسيك إلى الشمال والغرب من الأزتك كانت جزءا من أمبراطورية حربية قوية استطـــاعت أن تحتفظ بحدودها بين جيرانها . ذلك بالإضافة إلى أنه قد عثر على عدد من المواقع الأثرية إلى الشرق والجنوب من مدينة المكسيك مثل موقع شولولا cholula الذى يضم تطورات حضـــارية مشابهة وزابوتيك Zapotec وميكستيك Mixtec إلى الجنوب منها فى Oaxaca ومواقع أولميك